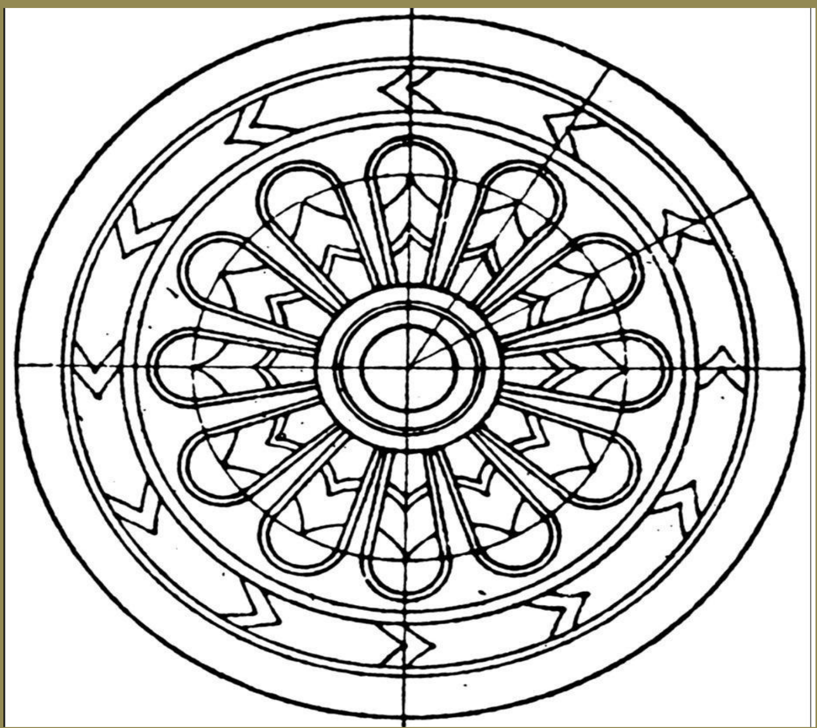
فواز فرحان

التعاليم السومرية

الجزء الثاني



فواز فرحان

التعاليم السومرية

الجزء الثاني

الطبعة الألمانية

2026

1Buche GmbH ... Oststrasse 72 ... 33332 Gütersloh
Email : info@1Buch.de Tel : 052419615700

دار الكتاب الأول للطباعة والنشر .. مدينة كوترسلوه ـ المانيا الاتحادية

فواز فرحان

التعاليم السومرية ــ الجزء الأول

الاهداء

الى الأجيال التي تبحث عن الحقائق

في جوهر الأشياء

المقدمة

إلى جانب ما تنطوي عليه دراسة ديانة البابليين والآشوريين من أهمية ذاتية، فإن لها أهمية إضافية تكمن في التأثير الكبير الذي مارسته حضارة وديانة سكان وادي دجلة والفرات الشمسانية على ديانات الشرق الأوسط وحياتها. وليس من قبيل المبالغة القول إن الإلمام ببعض جوانب الديانة الإيزيدية يُعد أمراً لا غنى عنه للفهم السليم لتطور الديانات في الشرق وخاصة الدرزية والعلوية.

إن إعادة قراءة الكثير من النصوص الدينية الايزيدية قادنا الى العودة الى سومر بعمق أكبر في البحث والتحرّي، وستُظهر قائمة المراجع الواردة في نهاية هذا الكتاب مدى ما أدين به لجهود باحثين آخرين، غير أنني أود أن أضيف أنني قرأتُ جزءاً كبيراً من النصوص الدينية باستثناء تلك المكتوبة باللغة السومرية في نصوصها المسمارية الأصلية، من الصعب استيعاب حقيقة أنه قبل ما يزيد قليلاً عن قرن من الزمان، كانت الكتابات واللغات التي حُفظت فيها سجلات الحضارات العظيمة في وادي الرافدين (دجلة والفرات) مجهولة تماماً. وتُعد الأعمال الحديثة التي أجراها البروفيسور مالوان في موقع نينوى استمراراً للجهود التي بدأها لايارد في الموقع ذاته عام 1845. وقد تمثلت النتيجة المباشرة لحفريات لايارد في اكتشاف مكتبة آشوربانيبال؛ إذ أتاح هذا الاكتشاف المذهل آلاف الألواح المسمارية للدراسة، بانتظار العثور على المفتاح الذي يكشف أسرارها. وقد تحقق ذلك بفضل مهارة ومبادرة السير هنري رولينسون، الذي نجح في فك رموز النقش العظيم المكتوب بثلاث لغات في لالش ومع امتلاكهم لهذا المفتاح، شرع العلماء في استخدامه لفك رموز الألواح المكتشفة في نينوى، وكان أول إنجاز مذهل من نصيب عبقري عصامي يُدعى جورج سميث، وهو مساعد في المتحف البريطاني. فبينما كان يعمل على ترميم الألواح المتضررة، تبين له أن أحدها يحتوي على القصة البابلية للطوفان وهي أسطورة شكلت، كما سنرى لاحقاً، اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش الأكدية الشهيرة. قام سميث بترجمة النص وأعلن عن اكتشافه الذي سرعان ما ثبتت صحته ومصداقيته، رغم ما أبداه العديد من العلماء من تشكيك في البداية. وهكذا بدأت العملية الرائعة لإخراج كنوز الحضارات السومرية والبابلية والآشورية الهائلة إلى النور بعد قرون طويلة من النسيان. ورغم الإنجازات الكبيرة التي تحققت منذ أن ترجم جورج سميث قصة الطوفان وكشف للعالم عن أوجه التشابه المذهلة بين القصة الايزيدية للطوفان ونظيرتها البابلية، إلا أن الطريق لا يزال طويلاً وهناك الكثير مما ينبغي إنجازه، إذ لا تزال آلاف الألواح بانتظار النسخ والترجمة، فضلاً عن الاكتشاف المستمر لمجموعات جديدة من الألواح في مواقع أخرى بلاد الرافدين. ولهذا السبب، فإن أي

كتاب يتناول الديانة البابلية والآشورية لا بد أن يصبح قديماً وغير مواكب للمستجدات في غضون سنوات قليلة، مع تراكم المواد الجديدة وإتاحتها للدارسين ففي كل يوم يترجم ما هو جديد بالنسبة للباحثين في هذا المجال.

حتى الإقرار بوجود فروق جوهرية بين الثقافتين المتقاربتين لبابل وآشور هو أمر حديث العهد نسبياً، إذ تطلب الأمر التغلب على قدر كبير من التشكيك العنيد قبل التسليم بحقيقة أن وراء حضارتي بابل وآشور تكمن طبقة أقدم عهداً، ألا وهي حضارة السومريين، وطقوسها الآدانية وهم شعب يختلف في اللغة والعرق عن الغزاة الساميين الذين أخضعوهم وامتصوا ديانتهم وثقافتهم إلى حد كبير، مع احتفاظ السومريين بلغتهم الخاصة، وبلا شك، بجزء كبير من ديانتهم وتقاليدهم. ومن أبرز الإنجازات العلمية التي تحققت خلال القرن المنصرم منذ أن بدأ "لايارد" التنقيب في تلال سنجار ونينوى، إعادة اكتشاف العديد من الحضارات القديمة التي ظلت مدفونة جزئياً أو كلياً تحت الثرى لآلاف السنين. ففي غضون عمر إنسان واحد تقريباً، والثقافة السومرية وما تفرع عنها من حضارتي بابل وآشور، والإمبراطورية الحثية العظيمة وفك رموز كتابتها التصويرية الغامضة، وأخيراً وليس آخراً، الحضارة الهندية القديمة عند مصب نهر السند، وتحديداً في موقعي "موهينجو دارو" و"هارابا". وقد أدى ذلك إلى نشوء اهتمام عام جديد بكيفية عيش هذه الشعوب القديمة وطريقة تفكيرها، ولا سيما طبيعة المعتقدات الدينية التي مارستها؛ إذ بات يُدرك بشكل متزايد وجود وحدة جوهرية تجمع بين كافة الحضارات. وبدأ دارسو الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان يدركون أن الأسطورة البابلية قد تكون جديرة بالدراسة تماماً كالأسطورة لدى شعب "الإيبو"، نظراً لما قد تسلطه كلتاهما من ضوء على ردود فعل الإنسان الأول تجاه بيئته وأنماطه الاجتماعية المبكرة. ولقد أصبحت العديد من الكتب المرجعية القديمة في هذا المجال متجاوزةً وغير مواكبة للتطور السريع في المعرفة الحديثة، ومن الأمثلة المثيرة للاهتمام على ذلك الكتاب الذي لا يزال يحتفظ بقيمته العالية: "ديانة الساميين" للمؤلف "دبليو. روبرتسون سميث"، إذ وردت في الصفحة التاسعة عشرة منه عبارة تقول: "من الناحية الدقيقة، لم تكن الأساطير تشكل جزءاً جوهرياً من الديانة القديمة". من أبرز نتائج الأبحاث الحديثة في سجلات الديانة السومرية والبابلية المبكرة، ذلك الضوء الذي سلطته على الجانب المحوري المتعلق بالطقوس التي حافظ عليها الايزيديون الى اليوم ...

إن جزءاً كبيراً من هذه المادة الجديدة التي لا تزال تتزايد بسرعة يظل مدفوناً بين طيات الموسوعات والدوريات العلمية المتخصصة، ولا يتسنى للقارئ العادي الاطلاع عليه بسهولة، لذا يهدف هذا الكتاب إلى وضع نتائج أحدث الأبحاث العلمية بين يدي هذا القارئ، وتقديم عرض موثوق ومُحدَّث للمعتقدات والممارسات الدينية لهؤلاء السكان القدامى في وادي الرافدين (دجلة والفرات)، الذين تركت حضارتهم أثراً بالغاً في شعوب الشرق الأدنى الأخرى، ولا بُد من ذكر انهم تعرضوا لظلم كبير. وقد أُشير آنفاً إلى أن العلماء يقرون اليوم بعدم وجود فروق جوهرية بين الحضارتين

الآشورية والبابلية، ومن ثم، فإن الخطوط العريضة لدين البابليين والآشوريين في هذا الكتاب تركز أساساً على العناصر المشتركة بين الحضارتين، مع الإشارة في مواضعها المناسبة إلى ما قد يبرز من انتشار ديانتهما الى عموم العالم وفي هذا السياق، قد يكون من المناسب استعراض رأي البروفيسور سيدني سميث، وهو المرجع الحديث الأبرز في تاريخ آشور، إذ يقول: "لم تكن سمة 'غياب الطابع الفردي' لدى الآشوريين آنذاك أمراً استثنائياً مقارنةً بالرومان، الذين تبنّوا هم أيضاً ديانةً شمسانيةً اخذت منها الاديان العصرية الشيء الكثير . ولذا، فمن الأجدى التركيز على السمات المميزة القليلة لممارساتهم الدينية، إذ يبدو أن هناك سمتين فقط راسختين في تلك الحقبة (أي منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد): تتمثل الأولى في مكانة الإله آدي ، وتكمن الثانية في بروز آلهة الحرب، أو في طغيان السمات الحربية على آلهة معروفة. ورغم صعوبة تكوين تقييم دقيق للديانة الشمسانية الآشورية وما أفرزته من ممارسات محددة استناداً إلى الأدلة المتاحة حالياً، إلا أن آراء العديد من الكُتّاب المعاصرين التي توحي بأن تلك الأرض لا تقدم ما يثير اهتمام الباحث في مسيرة التطور البشري هي آراءٌ مجافية للصواب تماماً".

علاوة على ذلك، تميزت ذائقة الآشوريين بالانفتاح والشمولية، فلم يكونوا مقيدين بالالتزام بالفوارق الغير الجوهرية التي كانت سائدة ومعترفاً بها في بابل. فعلى سبيل المثال، لم يركز كهنة بابل الشمسانيون على ما يبدو إلى ملحمة جلجامش (التي عُثر على نسختها البابلية الوحيدة، التي يعود تاريخها إلى الفترة ما بين 2100 و1900 قبل الميلاد، في مدينة "أوروك")، في حين أن الآشوريين قد درسوها. كما أن القصيدة الفريدة المعنونة "سأُسبِّح لرب الحكمة" التي تم استنساخها بالكامل في سفر أيوب وإن اختلفت طريقة العرض كانت مقبولة لديهم. ولقد كان للعالم القديم دَيْنٌ كبير لهذا الانفتاح الفكري، كما أننا ندين له بمعرفتنا بهذه الأعمال التي تستحق تحليلاً أكثر عمقاً وتفصيلاً مما نالته حتى الآن، وذلك لكي ندرك قيمتها الحقيقية في تاريخ تطور الروح البشرية. فإذا كان الانفتاح على أفضل ما هو متاح من نتاج فكري يُعد سمةً من سمات الثقافة، فإن الآشوريين كانوا شعباً مثقفاً، إذ لا وجود للخرافات الفجة في آدابهم، أو استعدادهم لتبني معتقدات دينية وشبه دينية غريبة عن الشمسانية، أو شغفهم بجمع شتى أشكال الأدب الديني الايزيدي، أن تحجب عنا تقدير مزاياهم الحقيقية.

يُقدم هذا الموجز للعلاقة بين الديانة الآشورية والديانة البابلية الموحدة في البانتيون الشمساني في مقدمة هذا الكتاب لتوضيح السبب الذي يجعل من المستحيل تناول الديانة الآشورية في معالجة مستقلة ومنفصلة عن بابل. وبشكل عام، يمكن القول إن الديانة البابلية التي شُيدت على الأسس التي وضعها السومريون كانت تشكل نظاماً اعتقد مترجموا الالواح يمزج بين السحر والدين، ويرتكز في جوهره على الخوف من الأرواح الشريرة وغيرها من العناصر غير المتوقعة أو الخارجة عن السيطرة في البيئة الاجتماعية. ومن ثم، لم يكن ممكناً أخذ هذه الديانة وتطبيقها بشكل مجتزأ

أو انتقائي، بل كان لزاماً على الآشوريين تبنيها كمنظومة متكاملة، مع مراعاة بعض الاختلافات الطفيفة التي أُشير إليها آنفاً.

إن عدم المام الكثير من الذين تصدوا لترجمة الألواح بالديانة الايزيدية جعلهم يمتلكون أفكاراً خاطئة وناقصة عن جذور الشمسانية في بلاد وادي الرافدين ، مثلاً هم لم يفهموا أن الايزيدية كانت تقوم على علمين هما الظاهر والباطن وأن طريقة تفسيرهم للوجود لها مميزات لا توجد عند الشعوب الأخرى، فالكرامات التي كان يتحلى بها الكثير من كهنة بابل وآشور كانوا يسمونها خارقة وسحر وتنجيم، لذلك تبقى عملية الالمام الشامل بالعلوم الايزيدية مهمة لمن يتصدى للكتابة عن الحضارة السومرية ..

الفصل الأول

أسرار الحضارة

إن الحضارة الآشورية والبابلية وتاريخها العظيم لم يصنعهما شعب واحد . فقد ساهم في صنع هذه الحضارة رجال من أصول مختلفة على إعتبار أنها مرّت بآلاف السنين وكانت الأمل الهادي لملايين البشر للتعلم في جامعاتها ومدارسها والعيش في ظل نظامها ، كما يحدث في كثير من الأحيان في تاريخ شعوب العالم ، يحمل التاريخ طابع الوحدة وليس التنوع العرقي . وحتى في العصر الحديث ، ومع كل الموارد المتاحة لنا تدفعنا للهجرة وطلب العلم من بلدان مختلفة ، فإنه من الصعب في كثير من الأحيان التمييز بين السلالات العرقية المختلفة وتتبع تأثيرها في تحركات التاريخ . لذا فلا ينبغي لنا أن نندهش من الصعوبة الكبيرة التي واجهناها في تتبع الانتماءات العرقية للشعوب التي صنعت التاريخ في آشور وبابل لكن الواضح بعمق كانت عقيدة الدولة هي الشمسانية . ففي أقدم فترة تعود إليها السجلات الأثرية المباشرة ، نجد شعبًا كان يمتلك بلاد بابل ، نطلق عليه نحن البابليين . وقد وجدنا أن سجلاتهم المكتوبة كانت في جزء منها لغة سامية ، وهي لغة وثيقة الصلة من حيث الأشكال والمفردات بالفرع الشمالي من عائلة اللغات السامية ، والتي تعد الآكادية والآرامية من الأمثلة المعروفة عليها وأولى اللغتين في عالمنا القديم وبداياته . ولكن عندما نجمع كل هذه السجلات الأولى معاً ، يتبين لنا أن أعدادًا كبيرة منها ثنائية اللغة ، وهذا يعني أن هناك لغة أخرى إلى جانب اللغة البابلية السامية والمسمارية بقيت اللغة الأكثر غموضاً لأنها كانت لغة دينية أكثر مما تكون لغة عادية . وتظهر هذه اللغة الأخرى في هذه النقوش في هيئة لهجتين ، إحداهما تسمى (لغة بلاد أكاد) والأخرى (لغة بلاد سومر) . ولأن الأخيرة تحتوي على الأشكال الأقدم فإنها تسمى الآن اللغة السومرية ، والأخرى تعتبر لهجة منها . وفي هذه اللغة السومرية المسمارية وإن كانت قد كتبها جزئياً على الأقل البابليون الساميون ، يكمن الدليل على وجود شعب سومري أصيل إمتدت سلالته لأكثر من ثلاثة آلاف عام وسبعمائة . وهم ينتمون بشكل واضح حتى الآن إلى فترة ما قبل التاريخ المُسجّل في حياة بابل . ولا نعرف عن صلاتهم العرقية إلا حقيقة سلبية واحدة وهي أنهم لم يكونوا وافدين بل سكان أصليين للمنطقة منذ القِدم .

ولغتهم ملتصقة بجذورهم البدائية في نشوء أول حضارة على كوكبنا ، وقد ارتبطوا على أسس لغوية بكل من الأكاديين وفيما بعد بالآشوريين وفيما بعد بالشام والمركَة الشمالية (أراض مقدّسة للشمسانيين كان يمنع عبور العامة لها) .

ولكن الدليل كبير في حد ذاته وغير مشكوك في ثقله حتى لو كان أكثر شمولاً ، لأن اللغة في نهاية المطاف ليست دليلاً على العرق بل على الاتصال الاجتماعي ..

ولكن برغم أننا لا نستطيع أن نقول من هم هؤلاء السومريون بشكل واضح لأن هناك أكثر من نظرية طرحت في هذا المجال أقواها تلك التي تحدث بها زكريا سيتشن ، فإننا في موقف يسمح لنا بإثبات بعض الحقائق المتعلقة بعملهم في العالم وعلاقاتهم بالبابليين . إنهم هم الذين اخترعوا نظام الكتابة المسمارية كأول نظام كتابة على وجه الأرض ، وهو نظام معقد ومصطنع في الواقع ونسميها لغة الصفير وتقوم على أربعة أعمدة وهي أحرف (نارية وهوائية ومائية وترابية) لهذا كانت لغة العلماء وكهنة المعابد المقدسة الذين يتواصلون مع أبعاد تجاوزية ، ولكنه مع ذلك يمثل تقدماً رائعاً على الكتابة المصورة الأكثر تعقيداً والتي تطورت على أساسها . وعندما هزم البابليون السومريين واستولوا على أراضيهم تبنوا على الفور نظام الكتابة هذا واستولوا معه على الأدب الذي كرسه . وكان هذا الأدب مخصصاً بشكل خاص لوصف أشكال العبادة ، وترانيم مدح الآلهة الشمسانية ، والصلاة من أجل المغفرة من الخطايا ، والتعاويذ للخلاص من دورة الضرورة . وكان من الطبيعي أن يرغب البابليون في الاحتفاظ بهذه المادة الدينية بلغتها القديمة لأنه كان محرماً النطق بها في غير هذا المجال والحضارات التي تبنت هذه اللغة جميعها إلتزمت بقدسيتها الى تلك الدرجة التي دفعتهم لتشفيرها لتبقى عصية على غير الشمسانيين ، ولأنه لم يكن من المتوقع أن تكون فعالة إلى هذا الحدّ تُرجمت المقاطع الترابية منها إلى لغتهم الأم (ترجمة الأحرف الترابية سمح به كهنة سومر) . لذلك نشأت عادة توفير ترجمة بين السطور لهذه النصوص الدينية الايزيدية إلى اللغة البابلية . لقد احتلت اللغة السومرية الآن نفس المكانة التي احتلتها اللغة اللاتينية في الحياة الدينية في العصور الوسطى . ولم يتبق سوى أنها ستتقدم إلى مكانة مماثلة لتلك التي احتلتها اللغة اللاتينية في الحياة العامة في نفس الفترة . وقد حدث هذا أيضاً ، حيث لم تكن النصوص الدينية مكتوبة بهذه الطريقة فحسب ، بل كانت النصوص التاريخية أيضاً مكتوبة بهذه الطريقة . وتوقفت هذه العادة تدريجياً ولم يعد يتم ذكر اللغة السومرية أو استخدامها ، لكن نظام الكتابة الذي ابتكره السومريون استمر في الاستخدام الكامل حتى سقوط الكومنولث السومري ..

لقد هزم البابليون السومريين بالفعل في مراحل لاحقة ، ولكنهم هزموهم بمعنى أعلى فالحرب كانت حروب طاقات روحية وفكرية تجعل المنتصر يتسيد البلاد ولم تكن حروب دموية ، وكانت حضارتهم بشكل عام ودينهم بشكل خاص مدينين بديون عميقة لهذا الشعب العريق المعروف بعظمته بين الأمم والذي يقف على حدود التاريخ البشري ليشكل محور بدايته الأولى ..

في بداية الألفية الرابعة قبل الميلاد تقريباً ، وجد الشعب السومري الذي كان قد بلغ بالفعل حضارة عالية خالية من الأسلحة والحروب ، أرضه وقد غزاها حشد ضخم من البرابرة ، إذ لا بد أنهم كانوا يتصورون أنهم كذلك . وكان هؤلاء من البرابرة الشرقيين ، وكانت بلاد بابل هي الأرض التي شهدوا فيها أول تطور قومي لهم قائم على التطوّر الجيني النقي البعيد عن التلاعب والتجميل ، والتي انتشروا منها في غرب آسيا ليحققوا نجاحات عظيمة كآكاديين وكنعانيين وآراميين . وقد تخلى الناس عن هذه النظرة الضيقة بعد أن وزعت الأمة السومرية المتفوقين والعلماء على الأراضي الخصبة ووفرت لهم مدن للعلماء فيها أجواء تساهم في تقدمهم الروحي والفكري بعيداً عن ضوضاء المدن وتجارتها ، انهم طالما أعلنوا عنها ودعموها بعلم فائق ، ولم يعد من الممكن أن نذكر إلا قِلة من الأسماء العظيمة بين أتباعها المعاصرين . وهناك رأي ثانٍ يرى أن السومريين كانوا يقسّمون مواطنيهم على أسس علمية بحتة إستناداً الى نسبة الذكاء ومجموعة من الملفات التعريفية الدقيقة لكل شخص وأسرة ، إما الذين كانوا يخالفون الشريعة الشمسانية ويعربدون في المعابد كانت الدولة تبعدهم الى الجزء الشمالي الشرقي أو الجنوبي من المملكة العظمى . ومن العبث أن ننكر أن هناك سندًا لغوياً قوياً لهذه النظرة في القرابة المعترف بها بين اللغات الآرامية واللغات المصرية الهيروغليفية والقبطية . ولكن بعد أن قيل كل شيء لصالح هذا الرأي ، لا تزال هناك اعتبارات أكثر قوة لصالح وجهة نظر ثالثة ، وهي أن الآكادية كانت لغة منبثقة من المسمارية ومنها إنبثقت الآرامية كحاوية للغات عديدة برزت فيما بعد في الشرق الأوسط ، وانتشرت الآرامية حتى في أرض كنعان في أقصى الغرب . ويبدو أن هذا الرأي الأخير يكتسب أتباعًا جددًا على الدوام ، ويمكن القول الآن إنه مقبول بشكل عام من قبل العلماء المعاصرين . لقد هزم البابليون السومريين بعلومهم وليس بشيء آخر كما أثبتت أغلب الألواح التي تمت ترجمتها بين عام 1970 و2005 ، وطردوا بعضهم ، واستوعبوا الباقين من الذين وافقوا على الإعتراف بالهزيمة . وخلال المسار الطويل لتاريخهم ظلوا ثابتين وغير قابلين للتغيير مثل المصريين . لقد كانوا أقوياء في الحرب في البداية ، لكنهم تخلوا تدريجياً عن روح الحرب وأصبحوا مكرسين لفنون السلام لدرجة أنهم عجزوا عن الدفاع عن بلادهم من الغزو فقد كانت فكرة المحبة والمعرفة تقودان الى الخلود تسيطر على المجتمعات في سومر وبابل وآشور ، وهو ما حدث مراراً وتكراراً خلال تاريخهم الطويل وهو العيش بوداعة مكنت أعداءهم من إحتلالهم بسهولة . ومع ذلك ، كانت حيويتهم عظيمة وتميزت فرديتهم العرقية إلى الحد الذي جعلهم ينتصرون دائماً في النهاية ويستوعبون الفاتحين من خلال الحوار المقنع والفلسفة النوعية التي إمتلكوها لتغيير عقول أعداءهم وإستيعابهم . وكما تغلبت ثقافتهم الشمسانية المميزة على ثقافة السومريين الآدانية التي كانت حكراً على كهنة من الدرجة الرفيعة والمتقدمة ولم تكن تعطى للعامة من الشعب إلاّ بعد تفتح بصيرتهم الروحية ، فقد تغلبت أيضاً على الكاشيين والعيلاميين ، وتلك السلالة الطويلة من الشعوب الأقل شأناً

التي غزتهم جزئياً أو استقرت بينهم بسلام . وكان البابليون مخلصين في المقام الأول للدين والأدب الايزيديين ، كما تشير بقاياهم في الألواح المنقوشة التي نقلها كل من رولينسون لايارد وبوتا فيما بعد . وكانوا هم الذين أقاموا أكبر المعابد التي رآها العالم على الإطلاق ، ولأن المواد المستخدمة كانت قابلة للتلف ، فقد أعادوا تشييدها وترميمها . وكانوا هم الذين زودوا هذه المعابد بالكتب والطقوس الدينية والترانيم والصلوات ، وجمعوا آلاف الألواح التي تسجل كل عمليات البناء هذه وتمنح المجد والشرف للآلهة التي ألهمت العمل وكانت بابل ترسل الى لالش سنوياً عشرات المتطوعين لخدمة الحرم الايزيدي وإسناد كهنته بالمساعدات ..

لقد نشأ الآشوريون من الشعب البابلي حسب الألواح المترجمة ، وذلك لأن آشور كانت مستعمرة من بابل . ورغم أنهم كانوا من نفس الدم والعرق ، فقد تحولوا تدريجياً إلى شعب مختلف تماماً . فقد كانوا أقل تعرضاً للغزو خلال جزء كبير من تاريخهم من البابليين ، وظلوا من دماء شمسانية أكثر نقاءاً ولم يتزاوجوا خارج نطاق طبقاتهم الدينية . وظلوا حتى النهاية يعتمدون على شعب الجنوب في الدين واللغة والأدب وعلى لالش في تعيين تواريخ الأعياد وأداء الطقوس . وكان مناخهم ينتمي إلى المنطقة المعتدلة والباردة وليس شبه الاستوائية ، وكانت فصول الشتاء القاسية التي تضرب جزءاً على الأقل من مملكتهم الكبيرة سبباً في تقوية أجسادهم ، في حين عملت جهودهم المبكرة في الغزو على تقوية أجسادهم تدريجياً إلى الشكل الذي كانوا عليه طيلة تاريخهم . فقد أصبحوا شعباً عسكرياً من ناحية ، وشعباً تجارياً من ناحية أخرى . ولقد اعتادوا منذ وقت مبكر على الدم والنار ، فأصبحوا مختلفين تماماً عن البابليين المحبين للسلام ، ويمتلئ تاريخهم بأعمال قاسية لا مثيل لها تقريباً . لقد كان الآشوريون يحرقون البيوت والمدن وحقول الحبوب ، ويتركون وراءهم الخراب والدمار . ولكنهم بفضل هذا الغزو تمكنوا من إقامة الإمبراطورية الكبرى ، وأفاقوا من أعبائها ، وتعلموا كيف يحكمون وكيف يدمرون ، وابتكروا أساليب للإخضاع والحكم ، والتي طبقها بعد ذلك شعب يشبههم كثيراً في بعض النواحي ، ألا وهو الرومان . ومع هذا التطور في فنون الحرب وممارسة الحكم ، حدث نمو كبير في التجارة . فقد غزا التجار الآشوريون الشرق بأكمله وحققوا مكاسب من الشراء والبيع ، ومن النقل والتخزين . وقد أقنعوا الملك بالغزو في أكثر من مناسبة لزيادة مجال عملياتهم ومدى حصولهم على المال . ولا شك أنهم ساهموا في الحضارة من خلال المقايضة والتجارة ، وهذه النتيجة توفر تبايناً ساطعاً مع التفاصيل المرهقة للدماء والنار التي كانت لتملأ اللوحة بأكملها لولا ذلك . ولكن الآشوريين ، على الرغم من أنهم كانوا منخرطين إلى حد كبير في الحرب والتجارة ، كانوا يدركون افتقارهم إلى الحضارة ، وكانوا ينظرون بحسد إلى الحضارة المتفوقة في بابل بسبب علومها الشمسانية . ولقد قلد بعض ملوكهم البابليين في إنشاء وتخزين المكتبات التي تحتوي على كتب الدين والأدب الايزيديين ، وليس فقط في الروايات المتباهية عن الغزوات الدموية . وشهد آخرون على جاذبية الثقافة

البابلية بغزو أجزاء من ذلك البلد حتى يتمكنوا من العبادة في أضرحته القديمة وإضافة الألقاب الملكية إلى أسمائهم ، التي منحها لهم الكهنوت الوراثي ، الذي انحدر من ماضٍ سحيق . وهكذا امتزجت في الطبيعة الآشورية عناصر البربرية والحضارة ، والآن يتجلى أحدهما والآخر في العمل الذي قاموا به في العالم . ولكن عندما نستعرض التاريخ بأكمله ، كما في بانوراما ، يجب أن نعترف بأن البربرية تسود الحضارة وأن الانطباع الإجمالي أقل ملاءمة من الانطباع الذي يتركه البابليون علينا ، لكن الرأي الأكثر صلابة والوارد في ما ترجمته الألواح الآشورية أنهم كانوا مسؤولين على شعب يفتقر الى الإيمان العميق كالسومريين والبابليين مما كان يحتم على الدولة الآشورية إستخدام القوة لضمان عدم تمرد رعاياها عن دين الدولة ..

لقد فرّ الكثير من الآشوريين بإتجاه الأناضول وأرمينيا وجورجيا وبلاد الإغريق بسبب قسوة الطقوس الايزيدية وقوانينها فمن كان ينتهك قدسية الأربعاء كان يتعرّض لأقسى العقوبات وكذلك الذين كانوا يخالفوا أي بند في الشريعة الشمسانية التي كانت تشكل عقيدة الدولة الآشورية ، بينما العقوبة في بابل كانت أخف وطأة حيث كانت تسقط عنهم المواطنة ويتم إبعادهم الى عيلام وسربيل زهاب وقصر شيرين ويزد وهي مدن بناها السومريين من أجل إبعاد المخالفين والمتجاوزين على القانون وكان يطلقون عليهم بالمعربدين ..

وفي عهد سرجون الأول المنحدر من سلالة أكدية وصل عدد أيام العطل الدينية الى 260 يوماً في السنة وهذا الأمر لم يكن يرغب به فقد كانت الدولة في ثلثي السنة معطلة لا سيما في أوج نهضتها الثقافية والتجارية ، كان سرجون يحمل لقباً ملكياً مباركاً من المملكة السومرية وهو شروكين الأول حامل الأسرار المقدّسة ..

قرر سرجون الأول في السنوات الأخيرة من حكمهِ إعلان علمانية الدولة ووقف تعيين المزيد والمزيد من الداسنيين كمجيورين في المعابد الايزيدية ، كان الداسنيون يمتلكون ما يزيد عن عشرة آلاف مجيور في عموم المملكة السومرية كخدم أوفياء للمعابد فأعلنوا تمردهم على سرجون وإعتبروه كافراً بالشمسانية ومقدساتها ، بينما كان في البلاط الملكي الآشوري عشرات الوزراء والنواب من الداسنيين مع سرجون في خطوته إعلان علمانية الدولة ، أدى ذلك الى حرب شرسة بين الداسنيين والسلطات الملكية دامت سبعة أعوام وتسببت بنزوح عشرات الآلاف الى ماردين ووان وجورجيا وأرمينيا وأور. ميان والى حلب وآدي . لب وأور سالم ..

إنتصر سرجون في النهاية بعد أن أقفل طريق النوران لسبعة سنوات في عام 1900 قبل الميلاد الى عام 1883 قبل الميلاد وتسببت الحرب في إفراغ مدينة داسن من سكانها وإحتاج الأمر لسنوات عشرة حتى يعود عشرة آلاف من سكانها من مجموع 120 الفاً كان عدد مجموع السكان خوفاً من بطش السلطات الملكية بهم ..

وبعد فترة طويلة من صعود البابليين والآشوريين إلى السلطة في العالم وسيطرتهم على القرار السياسي العالمي ، عرف الوادي العظيم شعباً آخر أطلق على نفسه اسم خالتو أو كالدو والحقيقة أن التسمية الأقرب الى الخالدين وكان معروفاً لدى شعوب العالم بأنهم الأقلية التي تحكم في السرّ ، ولدى اليونانيين باسم الحكومة الخفيّة ، ومنهم أطلقنا عليهم اسم الخلدونيين . ولا شك أنهم كانوا غير ظاهرين الى السطح وسيطروا على تنصيب اغلب الحكومات في العصر القديم إلاّ أن الجميع من الذين تصدوا لترجمة المخططوطات أكدوا أنهم هم من كانوا يضعون الحكومات في بابل ، إن دينهم وأسلوب حياتهم وتكيفهم مع العادات الملكية كلها تحمل نفس الطابع الذي يحمله البابليون الملكيون . إن أصل الكلدانيين ، مثل أصل البابليين ، هذا ما لا يشك فيه أحد حتى ديانتهم الشمسانية وطرق عبادتهم . ومن تلك المنطقة بدأوا سلسلة طويلة من الغزوات التي أكسبتهم في النهاية السيطرة على بابل ، وجعلتهم ورثة الشعب البابلي في الحضارة والإمبراطورية . في البداية كانوا بدواً ومزارعين للتربة ، لكنهم أصبحوا رجالاً في المدينة وشكلوا ممالك مدن صغيرة مماثلة لتلك التي كانت موجودة في الأيام الأولى للحضارة البابلية .

ولكن خطوط تطورهم كانت أكثر شبهاً بخطوط تطور الآشوريين منها بخطوط تطور البابليين . فقد طوروا براعة عسكرية وأسسوا إمبراطورية عظيمة بالسيف . وكان امتدادها نحو الغرب يتميز بسفك الدماء وتدمير مراكز الحضارة القديمة . ولكنهم في وقت لاحق عملوا على تعزيز أهداف الحضارة وأصبح ملوكهم رعاة للعلم . وربما كان من الواجب أن نعتبرهم في هذه المرحلة الأخيرة قد فقدوا حياتهم الوطنية وشخصيتهم وأنهم تحولوا بفعل الحضارة البابلية التي غزوها . فالسومريون والبابليون والآشوريون والكلدانيون هم الشعوب التي صاغت التاريخ الذي سنرويه هنا . وإلى جانب هؤلاء كان هناك العديد من الشعوب الأخرى الأقل شأناً والتي ساهمت في الحركات التي سنرويها ، ولكن من الأفضل أن نترك تحديد خصائصها لوقت ظهورها في السرد ، لأنها كانت ثانوية وليست أساسية في الدراما الكبرى ..

وعلى النقيض من المصريين ، أولى كل من الآشوريين والبابليين ، وخاصة البابليين ، اهتماماً كبيراً بالتسلسل الزمني ، ساعيين بعدة طرق مختلفة إلى الحفاظ على ترتيب الأحداث وبناء العمود الفقري لذكرياتهم التاريخية . ولا بد أن المادة الزمنية التي تم إنتاجها بهذه الطريقة كانت واسعة النطاق للغاية ، لأن الأجزاء التي وصلت إلينا هي شهود صامتون على المواد التي لم يتم استردادها بعد أو التي دمرت تماماً والتي كانت مجرد أجزاء منها . ولا بد أن التسلسل الزمني لتاريخ هؤلاء الناس يعتمد في المقام الأول على المواد الزمنية الخاصة بهم ، ولكن من بعض الكتاب اليونانيين تم تأمين المواد المفيدة . ويمكن تجميع كل هذه المواد هنا بالترتيب ، مصحوبة بملاحظات حول قيمتها واستخدامها ، كمصدر للتسلسل الزمني ..

الآثار البابلية والآشورية .

المواد الزمنية البابلية .. لقد ترك لنا الكهنة والمؤرخون وكتاب التاريخ البابليون كمية هائلة من المواد المتعلقة بالتسلسل الزمني ، والتي أصبحت الآن في حالة مجزأة ، ولكنها توضح بوضوح مدى الأهمية التي أعاروها لترتيب الحقائق التاريخية حسب التسلسل الزمني المناسب . ويمكن ترتيب هذه المصادر الأصلية على النحو التالي ..

ـ قائمة الملوك البابليين أ. قائمة مختصرة بأسماء ملوك العديد من السلالات البابلية ، والتي تدهورت الآن بشكل سيئ ، مع فقدان العديد من الأسماء . وبجانب اسم كل ملك ، يُعطى عدد سنوات حكمه ، وفي نهاية كل سلالة أيضًا ملخص لسنوات حكم جميع ملوك تلك السلالة ..

ـ قائمة الملوك البابليين ب. قائمة بالملوك البابليين ، تحتوي على أسماء وسنوات حكم ملوك السلالتين الأولى والثانية ، مع سنوات حكم كل منهما، وكذلك الملخص كما كان من قبل ..

ـ لوح زمني بابلي للأسرة الأولى (مذكور هنا باسم ج). لقد تم اكتشاف لوح تاريخي قيم للغاية في مجموعات المتحف البريطاني ، يرجع تاريخه إلى عهد عمي–سادوجا ، ويذكر قوائم بالأحداث المهمة في سنوات حكم جميع ملوك الأسرة الأولى حتى عمي–سادوجا . وفي نهاية كل قائمة من الأحداث ، يُذكر عدد السنوات التي حكم فيها كل ملك . والحقيقة المزعجة في هذه القائمة هي أن الأرقام الواردة فيها لا تتفق مع الأرقام الواردة في اللوحتين أ و ب على سبيل المثال ، في اللوحتين أ و ب ، حكم سوموابي 15 عاماً ، ولكن هنا 14 عاماً ، وكذلك بالنسبة لسومو–لا–إيلو ، يُذكر هنا 36 عاماً بدلاً من 35 عاماً ، وبالنسبة لسين–موباليت 20 عاماً بدلاً من 30 عاماً ، وبالنسبة لحمورابي 43 عاماً بدلاً من 55 عاماً ، وبالنسبة لسامسو–إيلونا 38 عاماً بدلاً من 35 عاماً . وقبل اكتشاف هذا اللوح ، كان جميع علماء التاريخ يتبعون القائمتين أ و ب عن كثب قدر الإمكان . يجب الآن تغيير هذا الإجراء والتفكير في اللوحة الجديدة ، لأنها كتبت بينما كانت هذه الأسرة لا تزال على العرش ، والملخصات تتفق تماماً مع القوائم السنوية للأحداث الرئيسية ..

شظايا من سجل بابلي (أن ذكرها البعض باسم س). لوح مكسور بشكل سيئ، يحتوي في الأصل على ستة أعمدة ، منها العمود الخامس مكتمل تقريباً ، وأجزاء من العمودين الثاني والرابع باقية الآن . يحتوي على ذكر موجز لأحداث مهمة معينة في عهد ملوك بابل من سلالات الأراضي البحرية وبازي ..

السجل البابلي (ب). لوح كبير يحتوي على مائة وستة وسبعين سطراً من الكتابة ، يرجع تاريخه إلى السنة الثانية والعشرين من حكم داريوس الأول ، ويحتوي على سجلات موجزة للأحداث الرئيسية في عهد ملوك بابل من نبوناصر إلى سوسدوكينوس، وملوك آشور من تغلث فلاصر الثالث إلى آشوربانابال ..

شظايا من سجل بابلي عن نبونيد نبو ـ شرو لوح صغير مكسور يحتوي على سجل لأحداث السنوات الأخيرة من حكم نبونيد واستيلاء كورش على بابل ..

شظايا من سجل بابلي ولوح غير مخبوز ، يبلغ حجمه في الأصل حوالي ثماني بوصات مربعة ، يحتوي على روايات عن الحملات التي قام بها بعض ملوك بابل الأوائل ضد الأعداء الخارجيين . أقل من ثلث اللوح محفوظ . يبدأ ما تبقى في عهد كاداشمان–خاربي ، ابن قره خاردش . أسلوب هذا السجل مشابه جداً لأسلوب إحدى القوائم الآشورية لدرجة أنه من المحتمل أن تكون الأخيرة قد نُسِخَت من هذه القائمة . بالإضافة إلى هذه البيانات المباشرة الواردة في النقوش لأغراض زمنية بحتة ، تحتوي النصوص البابلية من الأنواع الأخرى ، التاريخية والعقدية ، على العديد من الإشارات إلى التواريخ والتزامن وما شابه ذلك . يمكن تجميع أهم هذه الإشارات هنا مع التعليقات الضرورية على معناها أو دلالتها ..

حجر حدودي يرجع تاريخه إلى السنة الرابعة من حكم الملك بلنادين أبلي . في هذا النص ، ورد أنه من جركشار ، ملك بلاد البحر ، إلى نبوخذ نصر الأول ، كانت هناك ستمائة وستة وتسعون سنة . لا يبدو هذا رقماً دقيقاً ، وإذا استطعنا أن نربطه بحقيقة معروفة لنا بالفعل ، فسيكون ذا قيمة كبيرة . لكن الملك الوحيد المعروف لنا (المعروف باسم ملك بلاد البحر) هو جول كي شار (أو كور؟) الملك السادس من الأسرة الثانية . الأسماء ليست متطابقة ، على الرغم من أن العديد من العلماء يحكمون على أنها تعني نفس الشخص . حيث يوجد شك كبير ، فمن غير الآمن أن نؤكد كثيراً على البيان الزمني المذكور هنا . من المحتمل أن توضح التحقيقات المستقبلية الأمر من كل الشكوك ..

في نقش من نقوش نابونيد نجد هذا البيان في إشارة إلى أحد الملوك الأوائل لقد رأيت وقرأت اسم حمورابي ، أحد الملوك القدامى ، الذي بنى إيبارا وأهرامات المعبد وقبابها المخروطية على الأساسات القديمة قبل سبعمائة عام من برو نابو رياش ، ومثل الإشعار السابق ، فإن هذا أيضًا مشكوك في تطبيقه وبالتالي فهو مشكوك في ثقله . نعرف ملكين باسم برونابو رياش ، ولكن نظراً لأنهما حكما معاً في فترة قريبة جداً ، فإن الاختيار بينهما لا يحدث فرقاً كبيراً . كانا معاصرين لأمينوفس الثالث ملك مصر ، ويجب تحديد تاريخهما في حوالي عام 1400 قبل الميلاد . إذا حسبنا سبعمائة عام إلى الوراء من هذا التاريخ ، نحصل على عام 2100 قبل الميلاد كفترة حمورابي .

ومع ذلك ، لا يمكن التوفيق بين هذا التاريخ وقوائم الملوك البابليين ، والتي وفقاً لها يجب وضع حمورابي في حوالي عام 2300 قبل الميلاد . لم يتم اقتراح حل يلبي الموقف حتى الآن لهذه الصعوبة . إن الطريقة الأكثر إغراءاً للخروج من هذا المأزق هي تغيير مدة الأسرة الثالثة ، والتي كانت خمسمائة وستة وسبعين عاماً وتسعة أشهر ، والتي يقترح

روست ثلاثمائة وستة وتسعين شهراً ، ولكن إذا تم ذلك ، فإننا ببساطة نغير مصادرنا ، ونضطر إلى التخمين . ويبدو من الحكمة في الوقت الحاضر الالتزام بقوائم الملوك ، والسماح لهذا الرقم الدائري البالغ سبعمائة عام بالوقوف دون تفسير ..

في نص آخر لنابونيدوس ، توجد مرة أخرى إشارة زمنية إد أوبار ، معبده في سيبار–أنونيت ، والذي لم يبنه أي ملك لمدة ثمانمائة عام ، منذ شاجاراكتي ورياش ، ملك بابل ، ابن كودور بل . بحثت عن نقش أساسه ، ووجدته ، وقرأته . حكم نبونيد من 555 إلى 539 قبل الميلاد ، وإذا عدنا إلى الوراء ثمانمائة عام ، فإننا نصل إلى فترة حكم شاجاراكتي بورياش حوالي عام 1355 قبل الميلاد . ويبدو الآن من الصعب تحديد هوية هذا الملك . فمن الواضح أنه ينتمي إلى سلالة الكاشيين (الأسرة الثالثة) ، وبما أن اسم كودور (خدرو) بل قد تم تحديده باعتباره رقم 26 في قائمة الملوك ، فلا يبدو أن هناك شكاً كبيراً في أن الملك المقصود هنا هو شاجاراكتي شورياش ، الذي وصلت إلينا بعض نقوشه . وفي التسلسل الزمني المؤقت المعطى هنا ، يقع تاريخ هذا الملك في الفترة من 1298 إلى 1286 ، وهو ما يقترب بدرجة كافية من التاريخ الذي ذكره نبونيد ..

وفي نفس النقش الذي كتبه نبونيد نجد ملاحظة زمنية أخرى تعود بنا إلى الماضي البعيد (حجر الأساس لنارام سين ، الذي لم يجده أي ملك قبلي لمدة 3200 عام هذا أظهره لي شمش سيد إيبارا العظيم) . وإذا قبلنا هذا ، فإننا نعود إلى عام 3750 قبل الميلاد فيما يتعلق بتاريخ نارام سين ، وبالتالي إلى حوالي عام 3800 قبل الميلاد بالنسبة لأبيه سرجون الأول . ويدور حول هذا التاريخ جدال لا ينقطع . ففي البداية ، كان مقبولاً بشكل عام ، على سبيل المثال ، من قبل أوبيرت ، وتيلي ، وهوميل ، وديليتش . ومن هؤلاء اقتنع هوميل فيما بعد بأن التاريخ مرتفع للغاية واقترح تقليصه إلى 3400 قبل الميلاد . وقد جادل ليمان بذكاء لصالح تقليص تاريخ نارام سين إلى 2750 قبل الميلاد ، وأعرب وينكلر عن شكوكه بشأن هذا التاريخ . إن هذا الأمر لا يرقى إلى مستوى الإثبات

فلم تظهر بعد أدلة إيجابية من أي من الجانبين ، ويبدو من الأفضل في الوقت الحاضر أن نتمسك بتاريخ 3800 قبل الميلاد على سبيل التجربة ، في انتظار مزيد من الضوء على هذا الموضوع . ومن غير المحتمل أن يكون مؤرخو نابونيدوس قد وضعوا أمامهم قوائم تحمل التواريخ إلى الوراء حتى الرقم الدقيق 3200 . ويبدو هذا الرقم تقريبياً وربما كان المقصود أن يُحسب على هذا النحو . ولكن تجاهله تماماً يعني تركنا في الظلام دون نقطة واحدة محددة للحساب ..

كما قدم لنا آشوربانابال في سردياته عن الحملات المنتصرة في عيلام ملاحظة زمنية . لقد أعاد إلى مكانه الأصلي تمثالاً لإلهة أخذها خودرو–نان–خودي إلى عيلام قبل 1635 عاماً – أي حوالي 2285 قبل الميلاد . ويبدو أن

هذا مؤشر ثمين للوقت ، لأن الرقم لا يبدو وكأنه رقم تقريبي ، ولا يوجد سبب للشك في دقته الجوهرية . ولا توجد أي صعوبة خاصة في ربطه بالحقائق التاريخية والزمنية الأخرى ..

ترك سنحاريب أيضاً تاريخاً محدداً للغاية في أحد نقوشه . يقول (آدي وشيسين ، إلهي إقلالات ، اللذان أخذهما مردوخ نادين آخي ملك أكاد في زمن تغلث فلاصر ملك آشور وأحضرهما إلى بابل ، بعد مرور أربعمائة وثمانية عشر عاماً ، أخرجتهما من بابل وأعدتهما إلى إقلالات) . إن هذا الرقم ، مثل الرقم السابق ، لا يبدو رقماً تقريبياً ، بل هو نتيجة لحساب دقيق أو نتيجة مباشرة لوثائق مبكرة . ومع ذلك ، فقد تم التشكيك فيه كثيراً في الأزمنة الأخيرة . يقترح روست قراءة الرقم 478 من أجل ربطه بشكل أفضل بما يبدو له أنه ترتيب الأحداث الذي تتطلبه الحقائق الزمنية الأخرى . من ناحية أخرى ، يقترح ليمان قراءة الرقم 318 بدلاً من 418 ، لأن هذا الرقم يبدو أكثر ملاءمة للموقف كما تتطلبه الحقائق الأخرى . لا يبدو أن أياً من هاتين المحاولتين قائم على أساس جيد . من الأفضل قبول رقم مثل هذا باعتباره نهائياً ، حتى لو بدا أنه يتعارض مع الحقائق الأخرى في معرفتنا المحدودة جداً ببابل القديمة . يبدو أنه في ظاهر الأمر أكثر جدارة بالتصديق من أرقام تقريبية مثل 600 و700 و800 و3200 . إننا إذا قبلنا هذا الأمر على سبيل التجربة ، فإنه يجعل حساباتنا على هذا النحو لقد حدد سنحاريب تاريخ تدمير بابل على يد نفسه بأربعمائة وثمانية عشر عاماً . وقد حدث هذا في عام 689 ، وبالتالي ينبغي لنا أن نعود إلى عام 1107 باعتباره تاريخاً أثناء حكم مردوخ نادين آخي.288 ويمكن إضافة حقيقة أخرى مهمة لهذا الحكم إلى هذا التاريخ . فعلى حجر حدودي لمردوخ نادين آخي هناك ذكر لانتصار على آشور في السنة العاشرة من حكمه . ومن الطبيعي أن نربط هذا الانتصار بإزالة التماثيل التي يشير إليها سنحاريب .

وهذا من شأنه أن يجعل عام 1107 هو العام العاشر من حكمه ، وبالتالي فإن عامي 1111 أو 1116 هو العام الأول من حكمه . وهذا تاريخ لا ينبغي لنا أن نتجاهله بسهولة ، ولا يبدو أن الحجج التي ساقها روست وليمان ضده حاسمة ..

وكما ترى عزيزي القارئ أن أغلب الذين ترجموا الألواح السومرية والبابلية والآشورية لم يكونوا يجيدوا لغة الألواح الى درجة أنهم يضعون إفتراضات وجدالات إفتراضية على تواريخ السلالات بطريقة غريبة تكشف جهلهم بلغة هذه الحضارة ، كما أن هناك رسائل بابل السرية التي تضم علوماً متقدمة رياضية وعلمية وغيرها لم نصل اليها نحن البشر لذلك يكون من السذاجة الإعتقاد أن هناك أخطاء في التسلسل التاريخي الزمني ..

هذه هي كل الملاحظات الموجودة في النقوش التاريخية البابلية والتي يمكن تطبيقها بشكل مباشر على مسألة التسلسل الزمني . وقد ظهر في كل حالة أنه لا يمكن التوفيق بينها دائماً دون نوع من الإكراه . كل مخطط زمني تم اقتراحه قد

أجرى بعض التعديلات بطريقة ما ، إما عن طريق تغيير الأرقام أو رفض بعضها تماماً . بالإضافة إلى قوائم الملوك هذه ، والسجلات التاريخية ، والإشارات في النقوش التاريخية ، يضمن عالم التسلسل الزمني بعض المساعدة من التفاصيل الأنسابية . وبالتالي ، غالبًا ما يذكر الملك اسم والده، ويوجد على نقش والده اسم الجد. بهذه الوسيلة البسيطة يمكن ترتيب سلالة بأكملها بالترتيب الصحيح . والأكثر أهمية من ذلك هو المؤشرات الخارجية للعمر ، ويمكن تقسيمها إلى قسمين .. أولاً .. يمكن أحيانًا الحصول على التاريخ التقريبي للنقش ، وبالتالي تاريخ الملك الذي كتب في عهده ، من المؤشرات القديمة . إن دراسة أشكال الحروف وطريقة كتابتها تعطينا في بعض الأحيان مؤشراً على الفترة التي كتبت فيها. وعلى نحو مماثل، ثانياً .. فإن الموضع الذي توجد فيه الكتابة داخل تلة ما يشكل في بعض الأحيان مؤشراً تقريبياً على العمر . وفي بعض الأحيان قد يكون العثور على نص تحت الرصيف معروف العمر دليلاً قاطعاً ، ولكن هذا النوع من الأدلة ، وكذلك الأدلة المستمدة من علم دراسة الخطوط القديمة ، غير مؤكد إلى حد ما، حيث يخضع للعديد من التفسيرات المحتملة في أيدي أشخاص مختلفين . وتتجلى أعظم قيمة لعلم دراسة الخطوط القديمة وعلم الآثار عندما يعطيان وزناً إضافياً للبيانات المباشرة في القوائم أو في النصوص الزمنية طالما أن النصوص الدينية أغلبها منعت من الترجمة والعرض ..

إننا إذا انتقلنا الآن من بابل إلى آشور ، فسوف نجد أن هذا الشعب العظيم ، أيضاً ، كان يولي اهتماماً كبيراً بالتفاصيل الزمنية بشكل دقيق ، وكلياً لأننا أقرب إليهم وجزئياً لأن بقاياهم الضخمة وصلت إلينا في حالة أفضل إلى حد كبير ، فنحن قادرون على التوصل إلى استنتاجات أكثر إرضاءاً مما في حالة بابل .

المواد الزمنية الآشورية .

أولاً .. أنشأ الآشوريون في وقت مبكر قائمة أسماء ، سجلوا فيها أسماء كبار ضباط الدولة على أساس خلافة سنوية منتظمة . في هذه القائمة ، كان اسم الملك الجديد يُدرج دائماً في عام توليه العرش . وبالتالي تم توفير طريقة رائعة للحفاظ على النظام في الإشارات إلى الماضي ، وغالباً ما تذكر النقوش التاريخية ، وخاصة في الكولوفون في ختامها ، اسم أو اسم عام معين ، تماماً كما تذكر اسم الملك الذي كان يحكم . لذلك تم استخدام هذه الأسماء للتأريخ ، تماماً كما استخدم اليونانيون في العصور اللاحقة الأرشونات والرومان القناصل . لا بد أن عدداً من نسخ شرائع الأسماء كانت موجودة ، لأن أجزاء عديدة وصلت إلينا . وقد أمكننا أن نجمع ترتيبها الصحيح إلى حد كبير من خلال قانون بطليموس ، الذي سنذكره أدناه . وعندما نُرتّب على هذا النحو ، فإن الأجزاء التي وصلت إلينا تمتد من عام 902 قبل الميلاد ، عندما كان الاسم هو آشوردان ، إلى عام 667 قبل الميلاد ، عندما كان الاسم هو جابارو.

ثانياً .. قوائم البعثات الآشورية . بالإضافة إلى قانون الأسماء ، الذي يتميز بقوائم الأسماء فقط ، وضع الآشوريون قوائم تكميلية تضمنت أيضاً أسماء الأسماء الممثلين لهم عند حكومات العالم القديم أي السفراء ، وأضيف إلى جانب كل اسم إشعارات قصيرة بالأحداث المهمة التي وقعت في عامه وتاريخه ، مثل البعثات إلى بلدان معينة لغرض إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية وعقد إتفاقيات . وتبدأ شظايا هذه القائمة التي وصلت إلينا في عهد شمشي أداي الرابع (824–812 قبل الميلاد) ، وعلى الرغم من قصرها ، فقد أثبتت أهميتها البالغة . على إحدى هذه القطع ، بجانب الاسم بوريلو ساجالي ، هناك ذكر لكسوف للشمس تحت هذه الكلمات ، في شهر سيوان كان هناك كسوف للشمس . أظهرت التحقيقات الفلكية أن كسوفاً كلياً للشمس حدث في نينوى في 15 يونيو 763 قبل الميلاد ، واستمر ساعتين وثلاث وأربعين دقيقة ، وكان منتصف الكسوف في الساعة 10:05 صباحاً أعطى هذا الحساب الفلكي تاريخاً ثابتاً لسنة الاسم المسمى وبالتالي ثابتاً لكل عام في الشريعة بأكملها .

ثالثاً .. التاريخ المتزامن . بالإضافة إلى هذه القوائم المهمة لدينا أيضاً قوائم بالتزامنات بين بابل وآشور ، بدءاً من معاهدات السلام بين كاريننداش ملك بابل وآشور بيل نيشيشو ملك آشور . إن هذا التاريخ المتزامن مكتوب بأسلوب السجلات القصيرة ، وهو أيضاً مجزأ بشكل مؤسف . وإلى جانب هذه القوائم والسجلات التي تم إعدادها لأغراض التسلسل الزمني ، فقد وصلت إلينا أيضاً نقوش تاريخية معينة مراجع ذات قيمة لأغراض التسلسل الزمني ، ويمكن سردها بشكل ملائم على النحو التالي ..

رابعاً .. إن البيان الذي أدلى به سنحاريب والذي استخرجنا منه تاريخ 1107 في عهد مردوخ نادين آخي ، مفيد أيضاً للتسلسل الزمني لآشور ، لأنه نحصل منه على تاريخ 1107 باعتباره يقع في عهد تغلث فلاسر الأول

خامساً .. من نقوش سنحاريب ، ومن نفس فترة حكمه ، وصلت إلينا ملاحظة تساعد في تحديد ملك آشوري مبكر. في بابل وجد سنحاريب ختماً لتوكلتي نينيب مع نقش قصير ، أضاف إليه نقشاً من عنده ، بحيث أصبح كل شيء على النحو التالي (توكلتي نينيب ، ملك العالم ، ابن شلمنصر ، ملك آشور ، فاتح خالدون . من يغير كتابتي واسمي ، فليدمر آدي وآشور اسمه وأرضه) . يُقدَّم هذا الختم ، ويُعطى ، من آشور إلى آكاد . سنحاريب ، ملك آشور العظيم ، غزا بابل بعد ستمائة عام وأخرجها من ممتلكات بابل . إذا أضفنا إلى عام 689 ، تاريخ تدمير بابل ، هذه الستمائة عام ، نحصل على تاريخ 1289 باعتباره يقع في مكان ما خلال حكم توكولتي نينيب ..

سادساً .. في نقوش تغلث فلاصر الأول تظهر هذه الملاحظة المتعلقة باثنين من الحكام الآشوريين الأوائل (في ذلك الوقت كان معبد آدي وإيزيد ، الآلهة العظيمة سيدي ، الذي بناه في العصور السابقة شمشي أداي ، إسحاقو ملك

آشور ، ابن إشمي داغان ، إسحاقا ملك آشور ، قد سقط لمدة ستمائة وواحد وأربعين عاماً . كان أشوردان ، ملك آشور ، ابن نينيب أبال إشارا ، ملك آشور ، قد هدم ذلك المعبد ، لكنه لم يعيد بنائه ؛ ولم تُوضع أساساته لمدة ستين عاماً) . إذا تم تحديد تاريخ تغلث فلاصر بشكل صحيح أعلاه تحت رقم 4 ، فإن إضافة ستين عاماً إليه ستعطي التاريخ 1167 على أنه يقع في عهد أشوردان و1808 على أنه يقع في عهد شمشي أداد . بما أن التاريخ الذي بدأ فيه تغلث فلاسر بالحساب إلى الوراء غير معروف على وجه اليقين ، فقد تختلف هذه التواريخ بضع سنوات في أي من الاتجاهين ، ولكنها ربما تكون أعلى قليلاً مع هذه التواريخ تنتهي الإشارات الخاصة في النقوش التاريخية الآشورية ، والتي تعد مهمة لغرضنا . لم يتبق الآن سوى أن ننتقل إلى تلك المصادر خارج النقوش البابلية والآشورية ، والتي تحتوي على مواد زمنية ، والتي قد تكون ذات أهمية فيما يتعلق بالمصادر الأصلية . أول هذه المصادر أهمية والتي تصل إلينا من اليونانيين هي في الواقع بابلية ببساطة ، لأنها تستند إلى وثائق بابلية في الأصل تعود لـ بيروسوس . لقد أولينا اهتماماً أعلاه لاستخدام بيروسوس كمصدر للتاريخ ، ويجب أن ننتقل الآن إلى جداوله الزمنية . في هذا نجد واحدة من أصعب المشاكل التي يتعين على المؤرخ التعامل معها . كما تم توضيحه بالفعل ، تم تقسيم كتاب بيروسوس البابلي إلى ثلاثة كتب . الكتاب الأول وصف نشأة العالم والإنسان واستمر حتى الطوفان . أما الكتاب الثاني فقد وصف الطوفان وربما وصل إلى الفترة التاريخية ، أما الكتاب الثالث فقد خصص للفترة التاريخية ..

لقد سبق أن وصفنا الطريقة التي وصل بها بيروسوس إلينا ، ومن السهل أن نلاحظ أن الأخطاء قد تتسلل بسهولة أثناء هذه العملية . ومن المرجح أن تظهر الأخطاء في أي مكان أكثر من قوائم الشخصيات في قوائمه الزمنية ، والواقع أن الأخطاء واضحة جداً . وإذا تناولنا هذه الكتب بالترتيب ، فسوف نرى بسرعة ما إذا كان هناك أي مادة ذات قيمة يمكن العثور عليها فيها . وفقاً لبيروسوس ، حكم عشرة ملوك قبل الطوفان خلال فترة مائة وعشرين عاماً . والسار هو 3600 عام ؛ أي أن هؤلاء الملوك حكموا 432000 عام . وبما أن هذه التصريحات وصلت إلينا في كل من يوسابيوس وسينسيلوس ، فيمكن اعتبارها صادرة بالتأكيد عن بيروسوس . الكتاب الأول . 10 ملوك = 120 سارس – 432000 سنة . إذا انتقلنا إلى الكتاب الثاني ، فسنجد أن هناك فرقاً بين المصادر التي حفظت لنا كتاب بيروسوس ، وكيف يمكن تفسير هذه الأرقام ؟ التفسير الأكثر ترجيحاً هو أن التفسير الأول الذي اقترحه ألفريد فون جوتشميد ، ثم عززه وصححه لاحقاً ، هو أن البابليين قد جمعوا ملوكهم في فترة ما بعد الطوفان في دورة مدتها 36000 عام . وإذا أخذنا الآن من هذا الرقم الرقم 34080 الذي احتفظ به سنسيلوس ، فإننا نكون قد تركنا 1920 عاماً بالضبط لقائمة الملوك التاريخية . وإذا تمكنا من العثور على النقطة التي انتهت عندها

هذه الأعوام الـ 1920، فسوف نصل إلى النقطة التي يبدأ عندها التاريخ البابلي . كانت هناك آراء عديدة حول هذا الموضوع ، لكن إجماعاً في الرأي يتشكل الآن تدريجياً نتيجة لاقتراح قدمه بيسر أولاً . ووفقاً ليوسابيوس ، فقد وردت في كتاب أبيدينوس هذه الجملة (على هذا النحو يحسب الكلدانيون ملوك بلادهم من ألوروس إلى الإسكندر ، أي بهذه الطريقة يحسب الكلدانيون ملوك بلادهم من ألوروس إلى الإسكندر) . ولا شك أن كلمة (خلداي) تعني هنا بيروسوس ، ومن هذا نتعلم أن بيروسوس واصل تاريخه إلى الإسكندر ، وأن الملك المقصود هنا هو بالتأكيد الإسكندر، ابن الإسكندر الأكبر . فهل تنتهي الألف وتسعمائة وعشرين عاماً هنا ؟ من المحتمل أن تنتهي . ومن المرجح حقاً أن تكون قد امتدت إلى العصر السلوقي في عام 312 ، لأن بيروسوس كان ليسعده بالتأكيد أن يشيد بهؤلاء الحكام ، الذين أهدى كتابه إلى أحدهم . وإذا ما عدنا الآن إلى الوراء من عام 312 (أو 311، تاريخ وفاة الإسكندر في بابل) ، فإننا نصل إلى عام 2232 أو 2231 باعتباره عام بداية التاريخ البابلي وفقاً لـ بيروسوس . ولكن بمجرد محاولتنا تحديد المكان الذي نضع فيه هذا التاريخ في تسلسلنا الزمني البابلي ، تبدأ الصعوبات . ويرى ليمان أن هذا التاريخ كان في عهد حمورابي عندما توحدت كل بلاد بابل تحت صولجان واحد وأصبح بل مردوخ الإله الوطني . ومن ناحية أخرى ، يرى روست أنه كان تاريخ بداية الأسرة الأولى . ولا توجد حجة حاسمة لصالح أي من الرأيين ، ومن السهل أن نتخيل أن هذا التاريخ قد يشير إلى حدث آخر ذي أهمية . ومن الحماقة أن نقبل هذا التاريخ مع استبعاد التواريخ التي وصلت إلينا من المصادر البابلية الأصلية ..

يعتقد بعض العلماء (ليمان، روست، ألاركوارت) أن تاريخ 2232-2231 مؤكد من مصدر يوناني آخر ، ويجب أخذ هذا في الاعتبار . يقول سمبليسيوس في تعليقه على أطروحة أرسطو (دي كايلو) أن أرسطو طلب من كاليسثينيس أن يرسل إلى اليونان أي سجلات للملاحظات الفلكية التي قد يجدها في بابل والتواريخ الشمسانية بشكل دقيق . وقد فعل كاليسثينيس هذا ، بعد دخول بابل مع الإسكندر الأكبر في خريف عام 331 قبل الميلاد . بناءاً على سلطة بورفيريوس ، يؤكد سمبليسيوس أن كاليسثينيس وجد مثل هذه الملاحظات تمتد إلى 31000 عام . ومع ذلك ، هناك شك كبير حول هذا الرقم . تقرأ الترجمة اللاتينية لمويربيكا (حوالي عام 1271 م) عام 1903، وهو في حد ذاته أكثر معقولية. وعلاوة على ذلك ، فإن القراءة 31000 ، على افتراض أنها خطأ ، يمكن تفسيرها بسهولة على أسس علم دراسة العصور القديمة . لذلك يصر ليمان على أن القراءة 1903 أصلية ، ويقترح استخدامها على أنها ترجع إلى الوراء من 331 قبل الميلاد ، مما يعني أن 2233 قبل الميلاد هو تاريخ بداية الملاحظات . وهذا يتفق بشكل ملحوظ مع بيروسوس ، وبالتالي يؤكده من الجانب الفلكي .

لكن الصعوبة المتعلقة بالنص قاتلة للثقة فيه . الرقم 31000 موجود في الواقع في شاهدنا الأصلي الوحيد على النص ، ولا يمكن إثبات أن 1903 كان موجوداً بالفعل في المخطوطة التي استخدمها مويربيكا . الرقم 31000 هو في الواقع مثل هذا الرقم الذي قدمه غيره من الكتاب اليونانيين . ويذكر بليني أن عدد السنوات التي ذكرها بيروسوس كان 490.000.303 ، بينما ذكرها ديودورس 473.000.304 . ويبدو أن الأرقام في كل نسخ بيروسوس هذه متشابكة بشكل لا يطاق، ومن غير المجدي محاولة بناء أي هيكل زمني متين عليها ومن المستحيل تماماً التوفيق بين هذا المخطط وما تم حفظه لنا من خلال قوائم الملوك البابليين وسجلات الأحداث . فنحن لا نجد نفس تقسيمات السلالات في الأخيرة ، ولا نفهم من المقصود بالمغتصبين والملوك الميديين والكلدانيين والعرب والجهود العلمية البارعة التي بذلها هوميل للتوفيق بينهم لا يُنظر إليها عموماً على أنها ناجحة على الإطلاق ، ولم تكن المحاولات اللاحقة أكثر ثماراً ومثلها كمثل عدد من المشاكل الأخرى ، يجب ترك هذه المشكلة دون حل ، على الأقل في الوقت الحاضر ..

الفصل الثاني

الجغرافيا وأصول التسمية

إن كل ما تبقى من تاريخ آشور الذي كتبه كتسياس لم يبق منه إلا بضع شذرات متناثرة بين المؤلفين القدماء ، وقائمة بأسماء ملوك مشكوك في صحتها كما ذكرت لأسباب عديدة من بينها عداء المترجم للحضارة وعدم قدرته على القراءة السليمة والدقيقة لأسماء الملوك ، أما ما نُسب إلى هيرودوتس فلم يبق منه أثر . ومن بين الكتاب اللاحقين الذين تناولوا تاريخ آشور ، كان ديودوروس الصقلي ، وهو مجرد جامع ، وهو الكاتب الرئيسي . وفي أعمال يوسابيوس ، والمؤرخين الأرمن الذين نقلوا بدقة ما قرأوه في الألواح ، مثل موسى الكوريني ، قد نجد بعض التفاصيل والتلميحات القيمة المستمدة في بعض الحالات من مصادر أصلية لا تخلو تماماً من الأصالة ونقل الحقيقة ومن اللافت للنظر أننا لا نجد في التاريخ الدنيوي سوى ثلاثة ملوك آشوريين لا نملك أي وصف لأعمالهم. نينوس ، وسميراميس ، وسردانابالوس . ويبدو أن نينوس ومملكته ، مثل كل أبطال الأمم القديمة ، تحولا إلى شخصيات أسطورية ورائعة ، تنسب إليهما كل الأعمال العظيمة والإنجازات الوطنية . ومع أنهم كانوا في الأصل شخصيات تاريخية وسياسية ، فقد اكتسبوا فيما بعد إلى حد ما صفات إلهية ، وتداخلوا مع لاهوت السلالة التي كانوا أول زعماءها ، أو من بين أقدمهم . وقد مر أكثر من ثلاثين جيلاً بين سميراميس وسردانابالوس ، وخلال هذه الفترة احتلت أكثر من سلالة من الملوك العرش الآشوري ، وحافظت على قوة الإمبراطورية . ومع ذلك ، لم يبق من هؤلاء الملوك سوى أسماء مشكوك فيها ، أما عن المؤرخين المعاصرين الذين حاولوا التوفيق بين التناقضات في التسلسل الزمني الآشوري ، واستعادة تاريخ الإمبراطورية الآشورية إلى حد ما من الشظايا التي أشرت إليها ، فأنا بالكاد أعرف من أشير إليه . ومن هذه المواد المتناقضة التي خلفها لنا مجموعة من المترجمين أقل ما يقال عنهم بأنهم يحملون نوعاً من الحقد لا يوصف على حضارة آشور ، ليس من المستغرب أن ينشئ كل كاتب نظاماً خاصاً به ، وقد نتعامل مع كل جهودهم بتجرّد ونقيّمه بشكل علمي وأكاديمي ، دون التعرض لتهمة الشك ، على أنها ليست أفضل من تكهنات بارعة . إن التواريخ التي تحدد بداية الإمبراطورية الآشورية وحدها تختلف عن بعضها البعض بما يقرب من ألف عام ، وحتى عندما تتناول هذه التواريخ أحداثاً تقترب من عصر التاريخ الحقيقي مثل وفاة ساردانابالوس ، وغزو الميديين ، وسقوط الإمبراطورية. فإنها لا تخلو من نفس التناقض النسبي تقريباً . فقد ورد وصف حملات نينوس إلى باكتريا والهند ، والأعمال الرائعة التي ألفتها سميراميس ، وخنث ساردانابالوس مراراً وتكراراً ، وهي تشكل

المكونات الأساسية للتاريخ الآشوري الذي ألفه المؤلفون المعاصرون من الذين إستندوا الى الترجمات الخاطئة أو المشككة في التاريخ الآشوري العظيم . والواقع أن السرد الذي يستند إلى هذه التواريخ ينقل لنا دروساً مفيدة ، فضلاً عن أنه مليء بالأحداث الرومانسية التي تثير الخيال . وعلى هذا فقد تكررت هذه السرديات ، مع تحذير من أن صحتها لا تستند إلى أساس سليم ، وأن من المشكوك فيه أن نعتبرها تاريخاً أو أن نصنفها ضمن الأساطير . ورغم أن اسمي نينوى وآشور كانا مألوفين لنا منذ الطفولة ويحملان معهما أعظم حضارة وفن هندسي عبر التاريخ ولم تصل حضارة في الفن الهندسي الجميل ما وصلته الدولة الآشورية على الإطلاق وبإعتراف أعداءها قبل أصدقاءها ، إن الإرتباط بالانطباعات الأولى التي نستمدها من الكتابات الموحى بها ، فإننا لا نكتشف جهلنا بكل ما يتصل بتاريخهما بل أن هناك من وقف خلف التعتيم على كل ما هو عظيم فيهما أثناء الترجمات ، بل وحتى بموقعهما الجغرافي ، إلا عندما نسأل أنفسنا عما نعرفه حقاً عنهما ، ومن الحقائق الأكثر إثارة للدهشة في التاريخ أن سجلات إمبراطورية ، اشتهرت بقوتها وحضارتها ، قد ضاعت بالكامل بين متاحف باريس ولندن وبقية دول العالم بسبب النظر اليها على أنها غنائم وكنوز عظيمة مالية قبل أن تكون حضارية هكذا للأسف تخسر البشرية علوم العظماء عندما تقع بأيادي لا تفكر إلاّ في الجانب المالي ، وأن موقع مدينة عريقة في اتساعها وروعتها ظل موضع شك لعصور طويلة ؛ ولعله ليس أقل غرابة أن يؤدي اكتشاف عرضي فجأة إلى أملنا في استعادة هذه السجلات ، وتحديد هوية هذا الموقع بشكل مرضٍ يجعلنا نعيد لكل ما هو علمي وحقيقي حجمه الصحيح ..

لقد أثارت الآثار في آشور وبابل والتي كانت في الأساس عبارة عن تلال ضخمة ، من الطين والحطام ، فضول الباحثين لفترة طويلة بسبب حجمها وقِدمها الواضح . وكانت هذه الآثار هي البقايا الوحيدة من فترة غير معروفة فترة سابقة للغزو المقدوني . وبالتالي فإنها وحدها التي يمكن ربطها بنينوى وبابل ، ويمكن أن توفر دليلاً على موقع وطبيعة هاتين المدينتين . وفي الوقت نفسه ، هناك لغز غامض يحيط بمثل هذه الآثار ، مما يدفع المسافرين إلى فحصها باهتمام أكبر من الاهتمام العادي ، بل وحتى بدرجة من الرهبة . وكان يُعتقد أن كتلة ضخمة من الطوب الزجاجي ، محاطة بحطام متراكم على مر العصور ، تمثل البرج نفسه ، الذي استدعى الانتقام الإلهي ، والذي أطاحت به نيران السماء ، وفقاً لتقليد عالمي . ولقد كان الغموض والرعب اللذان رافقا المكان مدعومين بروايات مبالغ فيها عن حيوانات برية كانت تسكن الممرات الجوفية ، وعن قبائل لا تقل وحشية كانت تتجول بين الأنقاض . كما تم ربط التلال الأخرى في المنطقة بالحدائق المعلقة ، وتلك الهياكل الرائعة التي تنسبها التقاليد إلى ملكتين ، سميراميس ونيتوكريس . ولقد زادت صعوبة الوصول إلى هذه الآثار من الفضول والاهتمام اللذين كانا ينظران إليها بهما ، وقد اعتُبِر جزء من بابل بمثابة أثر ثمين ، لا يخلو من الطابع المقدس . أما الأنقاض التي قد يُفترض أنها تشغل موقع

العاصمة الآشورية ، فكانت أقل شهرة وأقل زيارة من تلك الموجودة في بابل . فقد لاحظ العديد من المسافرين التلال الضخمة من الأرض المقابلة لمدينة الموصل الحديثة ، وعندما أشار سكان المنطقة إلى قبر يونان على قمة أحدها ، كان من الطبيعي أن يستنتجوا على الفور أنها تشير إلى موقع نينوى ، ومما يؤسف لهُ أن أغلب الذين زاروا المكان لم يضعوا فرضيات دقيقة حول شكل وطبيعة إنتهاء تلك الإمبراطوريات العظيمة التي إستغرقت من الإنكليز والأوربيين أكثر من مائتي عام لنقل حجارتها وإنشاء مباني حضارية عملاقة منها في القارة الأوربية ..

كما أن هناك نظريات قد لا يحبذها العلم الأكاديمي وهي أن الحضارات كانت نوعية وليست مادية بحتة ، حضارات تبحث بحق لشعوبها عن الخلود وأن كل مناهج التعليم والموسيقى والفن كانت مصممة خيصاً لهذا الأمر وهو موضوع أعتقد أنه أبعد من عقول من ترجم الألواح بضيق أفق وشكل سيء للغاية ..

كان أول من انخرط في فحص جدي للآثار الواقعة ضمن حدود آشور القديمة هو السيد ريتش ، الذي كان لسنوات عديدة مقيماً سياسياً لشركة الهند الشرقية في بغداد . وهو رجل اكتسب من خلال مغامرته واجتهاده ومعرفته الواسعة والمتنوعة ونفوذه النادر على سكان البلاد ، كل ذلك بفضل شخصيته ومكانته ، كل ذلك أهله تمامًا للقيام بهذه المهمة . وكانت الآثار القريبة من الحلة ، الواقعة في المنطقة المجاورة مباشرة لبغداد ، هي التي جذبت انتباهه في المقام الأول ؛ فبدأ أعماله بفحص موقعها بعناية ، وحفر الخنادق في التلال المختلفة . وليس من الضروري أن ندخل في وصف مفصل لاكتشافاته . فقد كانت ذات أهمية كبيرة ، حيث كانت تتألف في الأساس من النقوش والغرانيت والمرمر والحجارة المنقوشة وتابوت خشبي ، ولكن الوصف الدقيق الذي أعده لموقع الآثار كان ذا قيمة أكبر ، وقد شكل الأساس لجميع التحقيقات اللاحقة في تضاريس بابل ..

في عام 1820، عاد السيد ريتش إلى بغداد عن طريق الموصل ، بعد أن أُغرِيَ بزيارة الموصل من أجل صحته . وبعد أن مكث بضعة أيام في هذه المدينة ، أثار فضوله بطبيعة الحال التلال العظيمة على الضفة المقابلة للنهر ، فشرع في فحصها . وعلم من سكان الموصل أنه قبل زيارته بفترة من الوقت ، حُفِرَت منحوتة تمثل أشكالاً مختلفة من البشر والحيوانات في تل يشكل جزءًا من السياج العظيم . كان هذا الجسم الغريب سبباً للدهشة العامة ، وخرج السكان بالكامل من الجدران للنظر إليه . بعد أن أعلن العلماء أخيراً أن هذه التماثيل كانت أصنام الكفار ؛ ودمرها المسلمون ، مثل التلاميذ المطيعين ، تماماً حتى أن السيد ريتش لم يتمكن من الحصول على قطعة منها. كانت خطوته الأولى هي زيارة التلة التي تضم قبر يونان . واجه في المنازل بضعة أحجار تحمل نقوشاً ، ربما تم اكتشافها أثناء حفر الأساسات ؛ وتحت المسجد الذي يحتوي على القبر ، عُرضت عليه ثلاثة ممرات ضيقة للغاية قديمة على ما يبدو ، واحدة داخل الأخرى ، بها عدة أبواب أو فتحات . ثم فحص بعد ذلك أكبر تل في المجموعة ، والذي أطلق عليه

الآشوريون تل كوجك ، وتل كونجي عند العرب ، وحدد محيطه بأنه 7690 قدماً . ووجد بين القمامة بضع شظايا من الفخار ، ولوحاً من المرمر عليه أحرف مسمارية ، وبعض بقايا المباني في الوديان . وفي مناسبة لاحقة ، أجرى مسحاً عاماً للآثار ، نُشر في مجموعة مذكراته ، التي حررتها أرملته ..

تعرض الكثير من الباحثين عن الآثار الى اللعنة والأمراض ما أن لمسوا الكثير من النقوش الآشورية وبقيت مكتبة مدفونة تحت القبر الإفتراضي للنبي يونان سرّاً كبيراً حيث أن كل من كان يقترب منها كان يموت في مكانه ، وقد توفي بالفعل الكثير من العمال الذين كان المستكشفون يستأجرونهم للحفر بهذه الطريقة ، وفي النهاية إستعان الإنكليز بسادة الموصل من الذين كانوا يمارسون طقوس السحر الأسود لمعرفة سرّ موت الناس عندما كانوا يرغبون عبور المكتبة فأكد الجميع لهم أنها محفوظة بطريقة فلكية لا يمكن فتحها أو قراءة الألواح فيها إلاّ بتاريخ فلكي محدد يراعي إصطفاف الكواكب في المجموعة الشمسية ولهُ علاقة بخارطة للتقويم الشمسي الشرقي الذي كان الايزيديون يتبعونه في تاريخهم ..

وبدأ الإنكليز وكل البعثات التي كان تصل نينوى وبابل تراعي هذا الأمر لا سيما وأن الموضوع أصبح أكثر خطورة مما كانوا يتصورون ، كانت تلك حالة من الحالات التي دفعت ريتش للبحث عن علاج لهُ عند سادة الموصل بدلاً من الإعتماد على أطباء في مشافي ..

ولم يحصل السيد ريتش على أية آثار آشورية أخرى من موقع نينوى ، باستثناء كرسي حجري صغير ، وبعض بقايا النقوش ، فغادر الموصل ، ولم يكن يشك في أن قصور الملوك الآشوريين كانت مدفونة في التلال . وفي أثناء إبحاره على طول نهر دجلة إلى بغداد ، زار نمرود ، فذهل من قدمها الواضحة . فقد ربطت حكايات سكان القرى المجاورة بين الأطلال ومدينة نمرود ذاتها ، كما ربطت تقاليد أكثر مصداقية بتقاليد آشور التي كان الثور المجنح محورها ، التي استمدت البلاد كلها اسمها منها قديماً . فجمع بعض الطوب الذي يحمل نقوشاً مسمارية ، ثم واصل رحلته . ثم وُضِعَت القطع التي حصل عليها السيد ريتش في المتحف البريطاني ، وشكلت المجموعة الرئيسية بل والوحيدة تقريباً ، من الآثار الآشورية في أوروبا . وكان صندوق لا يزيد حجمه عن ثلاثة أقدام مربعة يضم كل ما تبقى ، ليس فقط من المدينة العظيمة نينوى ، بل وأيضاً من بابل نفسها ! كانت المتاحف الأخرى في أوروبا تحتوي على بعض الأسطوانات والأحجار الكريمة ، التي جاءت من آشور وبابل ، ولكن لم يتم تصنيفها ، ولا يمكن تحديد العصر الدقيق الذي تنتمي إليه . ولم يكن معروفاً أي شيء عن الفن الآشوري . كانت عمارة نينوى وبابل موضوعاً للتكهنات ، وكان الشاعر أو الرسام يرمّم قصورهما ومعابدهما ، بما يتناسب مع موضوعه أو موضوعه . أدى وصف هيرودوت لمعبد بيلوس إلى تمثيل خيالي لبرج بابل . إن صعوده الحلزوني ، وصالاته التي تتناقص تدريجياً في محيطها ،

وتدعمها أعمدة لا حصر لها ، مألوفة لنا من الرسوم التوضيحية ، التي تزين تقريباً الصفحة الأولى من ذلك الكتاب ، والتي ترتبط بذكرياتنا الأولى هكذا كانت معرفتنا بنينوى قبل أربع سنوات تاريخها ، وموقعها ، وفنونها . وسيحكم القارئ من الصفحات التالية إلى أي مدى من المحتمل أن توسع الاكتشافات الحديثة معرفتنا ..

لقد سادت الكتابة المسمارية ، بعد أن خضعت لتعديلات مختلفة ، وكانت الحروف تختلف في تشكيلها باختلاف البلدان ، في معظم أنحاء غرب آسيا حتى وقت الإطاحة بالإمبراطورية الآشورية على يد الإسكندر الأكبر . ولهذا السبب فإننا مدينون بالفضل في المقام الأول للتقدم الذي أحرزناه في فك رموز النقوش الآشورية ، والأمل في أن نتمكن في النهاية من التأكد بدرجة ما من محتوياتها . لقد حكم الملوك الآشوريون جميع الأمم باستخدام هذا الشكل الغريب من الكتابة . وكانت هذه الأمم تتألف من ثلاثة أعراق رئيسية ، البابليون (بما في ذلك الآشوريون) يتحدثون لغة متحالفة الآكادية والآرامية ، وعندما سجلوا انتصاراتهم ، كما كانت عادتهم ، على الصخور والأعمدة أما الإرشيف فقد كانوا يستخدمون معادن ثمينة في التدوين تليق بإمبراطورية لم تكن الشمس تغيب عن مستعمراتها ، استخدم هؤلاء الملوك اللغات الثلاث التي يتحدث بها رعاياهم ، وكان هذا هو أصل ما يسمى بالنقوش الثلاثية اللغات في سومر وهذا ما أثبتته نقوش نينوى وبابل وتلك التي وجدت في لالش ، والتي توفر الدليل الرئيسي للكتابة الآشورية والآكادية والمسمارية ، إن الألواح التي تحتوي على هذه النقوش مقسمة إلى ثلاثة أعمدة ، يشغل كل عمود نسخة من نفس النقش بإحدى اللغات الوطنية الثلاث ، وكل لغة مكتوبة بتعديل الحرف المسماري الخاص بها . ولحسن الحظ ، تم تحديد محتويات النقوش الأكادية بدقة منذ فترة طويلة ، وتم تقليص الأبجدية والقواعد النحوية إلى نظام . ومع ذلك ، نظراً للعدد الكبير جداً من الأحرف المميزة في النقوش الآشورية ، يوجد ما يقرب من 400 علامة مختلفة ، إن أهم النقوش الثلاثية اللغات التي تم اكتشافها حتى الآن هي تلك الموجودة على قصور جوديا 2450 قبل الميلاد وآدامو 2370 قبل الميلاد في لالش ، فوق قبر جوديا ، وفي الألواح الصخرية في تل بلا . والأخيرة هي الأكثر شمولاً وقيمة على الإطلاق . إن هذه المخطوطات تحتوي على تاريخ الأحداث الرئيسية التي شهدها عهد جوديا ، كما أنها تقدم قائمة طويلة بالدول والقبائل التي خضعت لحكم ذلك الملك ، وأسماء الملوك المهزومين والمتمردين ، وهي توفر أفضل المواد لفك رموز الحروف الآشورية ، حيث تعد الأسماء الصحيحة هي المفتاح الحقيقي لقيمة الحروف . إن نقوش تل بيلا موجودة على وجه جرف مرتفع ، ومن الصعب الوصول إليها لدرجة أن الكولونيل رولينسون نجح وحده في نسخها . لقد طبع العمود الأكادي مع الترجمة ، ولكن العمود البابلي أو الآشوري المقابل لا يزال في حوزته ، وينتظر العالم العلمي بفارغ الصبر نشر نقش يمكن أن يوفر المواد الجديرة بالثقة الوحيدة لفك رموز السجلات الآشورية ..

وفي الوقت نفسه ، نقل الكولونيل رولينسون إلى الجمهور من خلال مجلات الجمعية الملكية الآسيوية ، بعض نتائج تحقيقاته الخاصة والتي كانت ذات أهمية وفائدة كبيرتين ، كما أحرز علماء آخرون ، من بينهم الدكتور هينكس ، تقدماً كبيراً في فك رموز الحروف الآشورية بقدر ما تسمح به الوسائل المتاحة لهم . ونحن مدينون للدكتور هينكس بتحديد الأرقام ، واسم سنحاريب على آثار تل كوجك ، واسم نبوخذ نصر على أحجار بابل وهي ثلاثة اكتشافات مهمة وقيمة للغاية . إن الحالة الفعلية لمعرفتنا بالحروف المسمارية ستمكننا من تحديد المحتويات العامة للنقش ، على الرغم من أنه ربما لا يستطيع أحد حتى الآن تقديم ترجمة حرفية لأي سجل واحد ، أو الصوت

المحدد للعديد من الكلمات . إن عادة نقش النقوش على الحجر، وكذلك على الطين المخبوز ، وهما الطريقتان اللتان تبناهما الآشوريون لتخليد تاريخهم ، تعود إلى أقدم العصور . فقد أعطيت الأوامر الإلهية للإنسان أولاً على ألواح حجرية حسب النظريات البشرية البحتة ، وقد صاح أيوب قائلاً (يا ليت كلماتي تُكتب الآن ! ... وتُنقش بقلم من حديد ورصاص في الصخر إلى الأبد ولم يكن من الممكن أن تكون هناك طريقة أكثر ديمومة لحفظ السجلات الوطنية) ولقد نقلت لنا جدران القصور المنقوشة والألواح الصخرية التاريخ الأصيل الوحيد لآشور القديمة . وكما لاحظ كل دارس للفن الآشوري البابلي ، فإن أفضل الآثار المحفوظة هي القصور ، فهي وحدها التي تمثلها الأطلال في حالة يمكن معها محاولة ترميمها بنجاح ، ليس فقط فيما يتعلق بترتيباتها العامة ، بل وحتى في التفاصيل البسيطة . إن الدور الأبرز الذي لعبته أنقاض القصور في تاريخ العمارة الآشورية معترف به من قِبَل الجميع ، ولكنهم يفسرون ذلك أحياناً بأسباب لا تقبل البحث . (لقد كانوا أقل تديناً وأكثر خضوعاً من المصريين والإغريق ، لذا فقد جعلوا معابدهم تافهة مقارنة بمساكن ملوكهم ، والتي كان المعبد في أغلب الأحيان بمثابة ملحق لها . وفي القصر يبلغ فنهم ذروته . حيث يبذلون كل جهد ممكن ، ويزينون كل شيء) . وإذا نظرنا إلى عمارة القصور الآشورية بشكل كامل ، فلن يكون هناك ما يقال عن مبانيهم الأخرى إلا أنها كانت عظيمة جداً ..

إن التاريخ لا يتناقض مع أي نظرية من هذا القبيل والتي جعلت من نسخ تلك الحضارة يرى في أنها النموذج الأمثل الذي يُحتذى بهِ . إن عدم المساواة المزعوم لم يكن موجوداً . ولم تكن تقوى البابليين والآشوريين أقل حيوية وعمقاً من تقوى المصريين . ولم يكن سيتي أو رمسيس ، الابن العزيز والصورة المرئية لآمون ، الأمير الذي أصبح إلهاً بعد وفاته ، أقل قوة وجلالاً في ممفيس وطيبة من سرجون ونبوخذ نصر في نينوى وبابل لأسباب أخرى وأكثر بساطة لقد كان سرجون ونبو خذ نصر نموذجان لأعظم شخصيتان عبر التاريخ . ففي مصر نجا المعبد من القصر لأنه كان مسكناً بني لساكن خالد ، ولذلك فقد استخدم في بنائه أكثر المواد متانة من خلال هرمز نفسه الذي بنى الكثير من المعابد في آشور قبلها وكان حارساً وسادناً في لالش نفسها وإستخدم الحجر والجرانيت والمرمر ، بينما كان

القصر ، الذي لم يكن أكثر من مكان للراحة ليوم واحد ، وملجأ أقيم بين أشجار النخيل المتمايلة والجداول المتدفقة للمسافر من هذه الحياة إلى الحياة التالية ، كان عليه أن يكتفي بالغرنيت والمرمر بل زينها بأحجار كريمة ونادرة لا تقدر بثمن . أما في بلاد ما بين النهرين فقد استخدمت نفس المواد في بناء مساكن الآلهة والملوك ، كما طبق نفس نظام البناء الذي فرضه المناخ على فئتي المباني . وليس صحيحاً أن إحدى الفئتين كانت قد انتُخِبت من جديد لصالح الفئة الأخرى لقد كانت الهندسة موحدة ، وأن الحضارة في بلاد ما بين النهرين لم تهتم كثيراً بمردوخ وعشتار وآشور بقدر ما كانت تهتم بأمرائها الفاتحين ؛ ومن الخطأ أن نقول إن عمارة القصور كانت كل ما كان لدى آشور لتظهره بل كانت هناك قصور اعظم لم تصلها ايادي المستكشفين تشير لها المخطوطات ومطمورة بطريقة لا يمكن استخرج معالمها قبل عام 2035 والفترة التي تليها . فقد كانت المقابر في مصر أكبر وأهم منها في بلاد ما بين النهرين هذا الشيء لا يختلف عليه اثنان ، ولكن في بلاد ما بين النهرين كان المعبد موضعاً للقدر نفسه من العناية ، سواء في البناء أو الزخرفة ، مثل القصر تعلوه دائماً سبعة أو أربعة قباب مخروطية وبقي هذا الرقم لغزاً محيّراً . وكان ترتيب المعبد أكثر إثارة للاهتمام وأكثر أصالة ، ولم يكن زخرفته الخارجية أقل ثراءاً ، وفي بابل على الأقل فقد كان للشمسانيين طرق مختلفة في البناء تخضع للنظام الشمساني الذي يحكمهم ، كانت النقوش التي يروي فيها الملوك مآثرهم لإعجاب الأجيال القادمة ، تتحدث كثيراً وبفخر عن المعابد أكثر من القصور ، إن بقايا هذه الأخيرة أكثر اكتمالاً ببساطة لأن تطورها الرئيسي كان فوق سطح الأرض ، في حين كان تطور المعابد نحو السماء . ومع وجود مواد مثل تلك التي بُني بها كل من المعابد الأولى والثانية ، كان من المحتم أن تنهار المباني الشاهقة قبل المباني المنخفضة . وعلاوة على ذلك ، كانت أجزاؤها الأكثر إثارة للاهتمام موجودة في الخارج وخاصة حول قممها . ولا بد أن المنحدرات والمزارات بزخارفها السطحية بدأت في الاختفاء بمجرد توقف العناية اليومية بها ..

إن الجزء الداخلي الصلب وحده هو الذي كان كافياً للحفاظ على قصور بلاد ما بين النهرين ، وقبل أن تمر سنوات عديدة ، كان تدهور مادته ليحوله إلى كومة من الطين عديمة الشكل بعد اخذ حجارته واستبدالها بالطوب الذي يصنعه السكان المحليون . وبطبيعة الحال ، كان القصر ، الذي احترق في المقام الأول ثم هجر لتأثير الزمن البطيء ، ليواجه قوى الدمار دون تأثير أفضل من المباني المصنوعة من الرخام والحجر الغالي الثمن كالبريليوم في أماكن أخرى ، ولكنه كان يضم مساحات فارغة كبيرة ، ومربعات واسعة ، وأروقة طويلة ، وغرف واسعة . وفي سقوطها كانت الأسقف ورؤوس الجدران تملأ هذه الفراغات وتدفن الجدران المغلقة إلى ارتفاع كبير في فراش عميق من القمامة التي تحميها . ولم يكن من الضروري إزالة هذه القمامة إلا لكشف مخطط المبنى بالكامل وكثير من زخارفه . وبالتالي يمكننا أن نتعرف على القصر بشكل أكثر حميمية من المعبد ، ولكن ليس من حقنا أن نستنتج من ذلك أن القصر كان

العمل المفضل للمهندسين المعماريين الأكاديين ، أو أنه كان يحتوي على الكلمة الأخيرة لموهبتهم وذوقهم الرفيعين ..

وعلى أية حال فإن القصر الآشوري هو الذي بدأ منذ نحو أربعين عاماً في الكشف لنا عن حضارة مبكرة يمنحها البحث الحديث الآن مكانها اللائق في تاريخ العالم القديم . وفي بداية القرن الحالي نجح النقاد في تحديد تواريخ تقريبية للملوك القليلين من آشور وبابل حسب المؤلفين الكلاسيكيين . وكان هناك شك في أن حكايات كتسياس تضمنت العديد من الحكايات، وبُذِلت جهود شاقة لفصل ما هو صحيح عن ما هو زائف ، ولكن لغة وآداب وفنون هؤلاء الشعوب كانت غير معروفة بالكامل حتى الآن كان موقع الملكية الآشورية الثانية أو العظيمة هو الجزء العلوي من وادي بلاد ما بين النهرين كما أن عدم قدرة المستكشفين على إجادة اللغة لعب دوراً هو الآخر في النقص المعرفي حول الحضارتين . وكانت المدن التي شكلت عواصمها على التوالي تقع جميعها على نهر دجلة الأوسط ، وكان قلب البلاد عبارة عن منطقة على جانبي ذلك النهر ، محاطة بخطي العرض الخامس والثلاثين والسابع والثلاثين . ولقد اتسعت هذه الحدود تدريجياً ، وأصبح مصطلح آشور يُستخدم ، بطريقة غامضة ، للإشارة إلى مساحة شاسعة وغير محددة المعالم تمتد على جميع الجوانب من هذه المنطقة المركزية . وكان هيرودوت يعتبر بلاد بابل بأكملها مجرد منطقة تابعة لآشور . أما بليني فقد اعتبر بلاد ما بين النهرين كلها جزءاً منها . أما سترابو فقد أعطاها ، إلى جانب هذه المناطق، جزءاً كبيراً من جبل آشور وأرمينيا ، وكل سوريا حتى كيليكيا ، وفينيقيا ..

وإذا ما تركنا الحدود التقليدية ، التي تتسم بالغموض وعدم الإشباع ، وبحثنا عن حدود طبيعية معينة يمكننا أن نعتبرها الحدود الصحيحة للبلاد، فإننا نجد في اتجاهين خطاً فاصلاً لا لبس فيه . ففي الشرق تشكل سلسلة جبال زاجروس العالية ، التي لا يمكن اختراقها إلا في مكان أو مكانين ، حاجزاً ذا طابع أكثر وضوحاً ، ولا شك أنه الحد الطبيعي الذي نبحث عنه كجزء اساسي من الدولة الاشورية . وفي الجنوب يفصل خط أقل وضوحاً بين آشور وبابل ، التي يُنظر إليها على أنها بلد متميز ، ويتكون من تقاطع السهل العلوي المرتفع قليلاً مع الطمي في الوادي السفلي . وفي الاتجاهين المتبقيين ، هناك المزيد من الشك فيما يتعلق بالحد الأكثر ملاءمة . وإذا نظرنا إلى الشمال ، فربما نرى جبل ماسيوس باعتباره الحدود الطبيعية ، أو مجرى نهر دجلة من دير بكر إلى تل أور ، أو ربما حتى سلسلة الجبال الأرمنية الواقعة شمال هذا الجزء من نهر دجلة ، والتي ينبع منها هذا النهر بروافدها الأولى . وإذا نظرنا إلى الغرب ، فربما نحصر آشور في البلاد التي ترويها روافد نهر دجلة ، أو نوسعها بحيث تتجنب نهر الخابور وروافده ، أو نغامر أخيرًا بحملها عبر بلاد ما بين النهرين بأكملها ، وجعلها محاطة بنهر الفرات . وعلى العموم ، يُعتقد أن الحدود الأوسع في كلتا الحالتين المشكوك فيهما هي الحدود الأكثر صدقًا من الناحية التاريخية . وتغطي الآثار الآشورية

البلاد بأكملها الواقعة بين نهر دجلة ونهر الفرات ، وتوجد بكثرة على ضفتي هذا النهر الأخير ، مما يعطي مؤشرات لا لبس فيها على احتلال طويل الأمد لتلك المنطقة من قبل شعب بلاد ما بين النهرين العظيم . وتُظهِر النقوش أن الغزاة قد استوعبوا أيضاً مساحة أوسع بمرور الوقت ، وإذا أردنا أن نرسم خطاً فاصلاً بين البلاد التي تم الاستيلاء عليها فعلياً وضمها إلى آشور ، وتلك التي تم غزوها وإخضاعها فحسب ، فلن نستطيع أن نختار حدوداً أفضل من الفرات غرباً ، وسلسلة الجبال الثلجية المعروفة لدى القدماء باسم مونس نيفاتيس شمالاً ..

إذا سُمح لآشور بالامتداد الذي نُسب إليها هنا ، فسوف تكون بلدًا مترامي الأطراف ، ليس فقط أكبر كثيراً من بلاد البابليين ، بل وأيضاً ذات أبعاد كبيرة . تمتد من الشمال إلى خط العرض الثامن والثلاثين ومن الجنوب إلى خط العرض الرابع والثلاثين ، ويبلغ طولها قطرياً من دير بكر إلى الطمي 350 ميلاً ، وعرضها بين الفرات وجبل زاغروس يتراوح من حوالي 300 إلى 170 ميلاً . ربما لم تكن مساحتها أقل من 75000 ميل مربع ، وهو أكثر من ضعف مساحة البرتغال ، ولا يقل كثيراً عن مساحة بريطانيا العظمى . وبالتالي ، فمن خلال حجمها البسيط ، يُحسب لها أن تلعب دورًا مهماً في التاريخ ؛ وخاصة أنه خلال فترة عظمتها ، لم يكن لدى أي دولة تقريباً كانت على اتصال بها مثل هذه المساحة الواسعة من الأراضي ضمن الحدود المخصصة هنا لآشور ، فإن وجه البلاد متنوع إلى حد ما . إن هذه المنطقة ، التي تتمتع عموماً بطابع السهولة ، تضم بعض التلال المهمة ، في حين أنها تقع على جانبيها سلاسل جبلية شاهقة . وفي الشمال والشرق ، تزودها الطبيعة بوفرة من المياه ، حيث تتدفق الجداول في كل مكان من سلاسل الجبال الأرمنية والتركية ، والتي سرعان ما تتجمع في أنهار سريعة ووفيرة . أما المناطق الوسطى والجنوبية والغربية ، فهي أقل غزارة في المياه ، فرغم أن نهر الفرات يغسل الحدود الغربية والجنوبية الغربية بالكامل ، فإنه ينشر الخصوبة على طول ضفتيه فقط ؛ ورغم أن جبل ماسيوس يرسل إلى سهل بلاد ما بين النهرين عدداً كبيراً من الجداول ، فإنها تتشكل في مساحة 200 ميل بين بولز والموصل ، إلا نهرين ، تاركين مساحات شاسعة من الأرض تعاني من نقص هذا السائل الثمين . ويمكن الشعور أيضاً بقرب الصحاري العربية والسورية في هذه المناطق ، والتي إذا تركت لحالها فإنها تميل إلى اكتساب الطابع الصحراوي ، وقد اعتبرت أحياناً أجزاء فعلية من الدولة الآشورية ..

إن التقسيم الطبيعي الرئيسي للبلاد هو التقسيم الذي يفرضه نهر دجلة ، والذي يمتد من الشمال إلى الجنوب تقريباً ، بين تل عبطا وسامراء كانت بيوت سرية للملوك تضم خرائط فعلية لإمتدادات الدولة الآشورية ، ويفصل بلاد آشور إلى منطقتين غربية وشرقية حسب الخرائط السرية . ومن بين المنطقتين ، كانت المنطقة الشرقية أو تلك الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة ذات اهمية دينية ، على الرغم من أنها أصغر بكثير ، هي المنطقة الأكثر أهمية بالنسبة للآشوريين وكان يُمنع تدنيس قوانينها . كانت ضيقة نسبياً في البداية وتمتد الى جبال المرّكا الممتدو من أور . ميان الى

منبيجو (منبج اليوم) ، ثم اتسعت مع نزول مجرى النهر ، حتى بلغت حوالي خط العرض الخامس والثلاثين بعرض 130 أو 140 ميلاً . وهي تتكون بشكل أساسي من سلسلة من السهول الغنية والمنتجة ، التي تقع على طول مجاري الروافد المختلفة التي تتدفق من جبل أرمينيا إلى نهر دجلة ، وغالباً ما تكون ذات طبيعة شبه طينية . ومع ذلك ، فإن هذه السهول ليست متصلة . تتقاطع سلاسل منفصلة من التلال ذات اتجاه عام موازٍ لسلسلة الجبال الأرمينية ، مع البلاد الغنية المسطحة ، وتفصل السهول عن بعضها البعض ، وتزود الجداول والجداول الصغيرة بالإضافة إلى الأنهار المختلفة ، والتي تنبع داخل أو خارج الحواجز الجبلية العظيمة ، وتعبر السهول في طريقها إلى نهر دجلة . التلال نفسها المعروفة الآن باسم جبل مقلوب (بعشيقة) ، وعين الصفرة ، وبير فضلة (الفاضلية اليوم) ، وما إلى ذلك عارية وعقيمة في معظمها . وهي في شكلها مدببة ، وعند النظر إليها من مسافة بعيدة يكون لها مخطط أملس ومستوٍ ، ولكن عند الاقتراب منها عن قرب نجدها صخرية ووعرة . وجوانبها الحجرية الجيرية متقطعة بسبب وديان لا حصر لها ، ولها مظهر جاف ومقفر ، حتى في الربيع تكون عارية عموماً وخالية من النباتات . ويتجلى العقم بشكل أكثر وضوحاً على الجانب الغربي ، الذي يواجه أشعة الشمس الحارة بعد الظهر ، إن المنحدر الشرقي مغطى أحياناً بغطاء ضئيل من أشجار البلوط القزم أو الحشائش المتقزمة . وفي التربة الدهنية للسهول ، تجري الأنهار عادةً بعمق وتختفي عن الأنظار ، إلا في الربيع وأوائل الصيف ، عندما تتضخم الأنهار بشدة بسبب الأمطار وذوبان الثلوج في الجبال ، وتفيض حتى تغمر البلاد المستوية ..

وأهم هذه الأنهار هي نهر الكرنيب أو الخابور الشرقي ، الذي يلتقي بنهر دجلة عند خط عرض 37 درجة و12 دقيقة ، ونهر الزاب الأعظم (الأعلى) ، الذي يغسل أنقاض نمرود ، ويدخل المجرى الرئيسي عند خط عرض 30 درجة تقريباً ، ونهر الزاب الأصغر (الأسفل) ، الذي يحدث تقاطعه عند خط عرض 35 درجة و15 دقيقة تقريباً ، ونهر الأعظم ، الذي يصل إلى سامراء قليلاً ، عند خط عرض 34 درجة تقريباً ونهر ديالى ، الذي يلتقي الآن أسفل بغداد ، ولكن فروعه تدخل أحياناً إلى نهر دجلة عند خط عرض أقل قليلاً من مصب الأعظم . ومن بين هذه الأنهار ، فإن أكثرها شمالاً ، وهو الخابور ، يجري بشكل رئيسي في بلد غير معبر عنه المنطقة الآشورية بين جلامدة ودجلة . ينبع هذا النهر من منطقة جولامريك الواقعة غرب إحدى أعلى المناطق الجبلية في شمال العراق ، ويجري في مسار عام باتجاه الجنوب الغربي حتى يلتقي بفرع كبير آخر يصل إليه من المنطقة الواقعة غرب العمادية مباشرة ، ثم يتدفق إلى الغرب مباشرة ، أو إلى الشمال الغربي قليلاً ، إلى زاخو ، ثم ينحني إلى الشمال بعد المرور بهذا المكان ، ويجري مرة أخرى في اتجاه الجنوب الغربي حتى يصل إلى نهر دجلة. وتبلغ المسافة المباشرة من منبعه إلى

مصب النهر حوالي 80 ميلاً ، ولكن هذه المسافة تضاعفت بسبب انحناءاته . وهو نهر كبير الحجم ، عريض وسريع ، وفي العديد من المواسم لا يمكن عبوره على الإطلاق ، ودائماً ما يكون عبوره صعباً ..

الزاب الأكبر هو أهم روافد نهر دجلة . ينبع بالقرب من كونيا ، في مقاطعة كاراسو ، عند خط عرض 32° '20 ، وخط طول 44° '30، إلى الغرب قليلاً من مستجمع المياه الذي يقسم أحواض بحيرتي وان وأوريميا . يتجه مساره العام لأول 150 ميلاً نحو الجنوب الغربي ، وبعد ذلك يتجه جنوباً تقريباً تقريباً عبر بلاد نهر تياري لمدة 25 أو 30 ميلاً . بالقرب من العمادية ، ينعطف فجأة ، ويتدفق نحو الجنوب الشرقي أو الجنوب الشرقي إلى تقاطعه مع فرع رواندوز ، حيث يستأنف أخيراً اتجاهه القديم ، ويجري جنوباً غربياً عبر أطلال نمرود إلى نهر دجلة . يبلغ طول مجرى النهر بالكامل ، باستثناء المنعطفات الصغيرة ، أكثر من 350 ميلاً ، ومن هذه المسافة نحو مائة ميل عبر الأراضي السهلية ، التي يدخلها بعد وقت قصير من استقباله لنهر رواندوز . ومثله كمثل نهر الخابور ، يمكن عبوره في أماكن معينة وخلال موسم الصيف ، ولكن حتى في هذه الحالة يصل الماء إلى ما فوق بطون الخيول ، ويبلغ عرضه عشرين ياردة فوق ملتقاه بالبخار الرئيسي بقليل ، وبسبب قوته وسرعته، يطلق عليه العرب أحياناً اسم النهر المجنون ..

ينبع نهر الزاب الصغير من ليجوين ، على بعد عشرين ميلاً جنوب بحيرة أرومية ، عند خط عرض 36 درجة و40 دقيقة ، وطول 46 درجة و25 دقيقة . يقع المصدر إلى الشرق من سلسلة جبال زاغروس العظيمة ، وربما كان من المفترض أن تتدفق المياه بالضرورة شمالاً أو شرقاً ، نحو بحيرة أرومية ، أو نحو بحر قزوين ، ولكن نهر ليجوين ، الذي يُدعى حتى عند منبعه زي أو زاب ، يتدفق من أول نهر باتجاه الغرب ، وكأنه مصمم على اختراق حاجز الجبل . ولكن عندما يفشل في العثور على فتحة يلتقي عندها بالسلسلة الجبلية ، ينحرف الزاب الصغير جنوباً وحتى جنوب شرقاً على طول قاعدته ، حتى يستأنف فجأة اتجاهه الأصلي على بعد حوالي 25 أو 30 ميلاً من منبعه ، ويدخل الجبال عند خط عرض 36 درجة و20 دقيقة ، ويشق طريقه عبر السلاسل الجبلية العديدة الموازية ، ويتدفق عمومًا إلى الجنوب الغربي ، حتى ينزل إلى السهل بالقرب من أربيل ، وبعد ذلك يجري جنوباً غرباً وجنوبًا غرباً عبر الجنوب إلى نهر دجلة . ويبلغ مساره بين الجبال من 80 إلى 90 ميلاً ، باستثناء المنعطفات الصغيرة ، ويجري أكثر من 100 ميل عبر السهل . ويبلغ عرضه العادي ، فوق ملتقاه مع نهر دجلة ، 25 قدماً ..

إن نهر ديالى ، الذي يقع في الغالب ضمن الحدود التي تم تعيينها هنا لآشور، يتكون من التقاء نهرين رئيسيين ، يُعرفان على التوالي باسم نهر حلوان ونهر شيروان . ويبدو أن نهر شيروان هو الفرع الرئيسي من هذين النهرين ، ينبع هذا النهر من أقصى شرق وأعلى سلسلة جبال زاغروس ، عند خط عرض 34 درجة و45 دقيقة ، وطوله 47 درجة و40 دقيقة تقريباً . يتدفق أولاً غرباً ، ثم شمال غرباً ، موازياً للسلسلة ، ولكن عند دخول سهل شهرزور ،

حيث تنضم إليه روافد من الشمال الشرقي والشمال الغربي ، يغير شيروان مساره ويبدأ في الجريان جنوباً من الغرب ، وهو الاتجاه الذي يتبعه حتى يدخل البلاد المنخفضة ، عند خط عرض 35 درجة و5 دقائق تقريباً ، بالقرب من سميرآم . ومن ثم إلى نهر دجلة ، يقطع مسافة 150 ميلاً في المسافة المباشرة ، و200 ميل إذا أضفنا فقط المنعطفات الرئيسية . ولا يجوز أن يقل طول المسار بالكامل عن 380 ميلاً ، وهو ما يعادل تقريباً طول نهر الزاب الكبير . أما العرض الذي يصل إليه النهر قبل التقاءه مع نهر دجلة فيبلغ ستين ياردة ، أي ثلاثة أمثال عرض نهر الزاب الكبير ، وسبعة أمثال عرض نهر الزاب الصغير ..

وعلى الجانب الآخر من نهر دجلة ، يصادف المسافر منطقة أقل تفضيلاً من الناحية الطبيعية من تلك التي تحدثنا عنها مؤخراً . فآشور الغربية لا تملك سوى إمدادات ضئيلة من المياه ؛ وما لم يتم توظيف عمل الإنسان بمهارة لتعويض هذا النقص الطبيعي ، فإن الجزء الأكبر من المنطقة يميل إلى أن يكون ، لمدة عشرة أشهر من أصل اثني عشر شهراً صحراء . والطابع العام للبلاد مستوي ، لكنه ليس طمبياً . ويمتد خط من الجبال الصخرية شديدة الانحدار ، ولكنها ليست عالية جداً ، عبر الجزء الشمالي من المنطقة ، ويمتد تقريباً شرقاً وغرباً ، ويمتد من الفرات عند كالح إلى تل الكلك على نهر دجلة . أسفل هذا ، يمتد سهل واسع متموج قليلاً من الجبال الشمالية إلى الطمي البابلي ، ولا يقطعه إلا في منتصف الطريق تقريبًا سلسلة من التلال الجيرية المنخفضة تسمى سنجار ، والتي تغادر نهر دجلة بالقرب من الموصل وتمتد تقريباً من الشرق إلى الغرب عبر وسط بلاد ما بين النهرين ، وتضرب نهر الفرات في منتصف الطريق بين الرقة وكركسية ، بطول حوالي 40 درجة المنطقة الجبلية الشمالية ، التي أطلق عليها سترابو (مونس ماسيوس) ، ويطلق عليها العرب قراجه داغ نحو الغرب ، ونحو الشرق جبل طور ، هي في مجملها بلد خصبة إلى حد ما . تحتوي على قدر كبير من الأراضي الصخرية ، ولكن بها ينابيع وفيرة ، وفي العديد من الأجزاء غابات جيدة . نحو الغرب، تكون المنطقة جبلية أكثر من كونها جبلية ، ولكن نحو الشرق ترتفع بشكل كبير ، والمخروط فوق ماردين مرتفع ومذهل . تتكون المياه المتدفقة من هذه السلسلة ، في الشمال ، من عدد صغير من الجداول ، والتي تصب بعد مجرى قصير في نهر دجلة ، وفي الجنوب ، من جداول أكثر عدداً وأكثر غزارة ، والتي تتحد تدريجياً ، وتشكل في النهاية نهرين مهمين إلى حد ما . هذان النهران هما بيليك ، المعروف قديماً باسم بيليحة ، وخابور الغربي عند الكتاب الكلاسيكيين أبوراس أو شابوراس ..

ينبع نهر بيليك بين التلال الواقعة شرقي أورفا ، على خط طول يبلغ نحو 39 درجة ، وخط عرض يبلغ نحو 37 درجة وعشر دقائق . ويجري مجرى النهر في البداية شرق الجنوب إلى حد ما ، ولكنه سرعان ما ينحرف ، ويمر بمدينة حران ويمتد جنوباً تقريباً إلى ملتقاه على بعد أميال قليلة أسفل الرقة مع نهر الفرات . وهو عبارة عن مجرى صغير

على طول مجراه بالكامل ، والذي قد يبلغ طوله مائة أو مائة وعشرين ميلاً . أما نهر الخابور فهو نهر أكبر كثيراً . فهو يجمع المياه التي تتدفق جنوباً من ثلثي جبل ماسيوس على الأقل ، وله إلى جانب ذلك مصدر مهم يعتبره العرب (رأس النبع) الحقيقي ، والذي ينبع على ما يبدو من نتوء في سلسلة جبال سنجار . ويبلغ طول هذا النهر ، الذي ينبع على خط عرض يبلغ نحو 36 درجة وأربعين دقيقة ، نحو 100 ميل. 40 درجة ، يتدفق قليلاً إلى الجنوب الشرقي إلى تقاطعه بالقرب من كوكب مع جيروجر أو نهر نيسي هيس ، الذي ينحدر من مونس ماسيوس بمسار ليس كثيراً إلى الغرب من الجنوب . يتكون كلا الفرعين من اتحاد عدد من الجداول .

لا يمكن عبور أي منهما لمسافة ما فوق تقاطعهما ، وتحته ، يشكلان نهراً من الحجم بحيث يمكن الملاحة لمسافة كبيرة بواسطة السفن البخارية . مجرى الخابور أسفل كوكب متعرج؛ لكن اتجاهه العام هو جنوب جنوب غرب . الطول الكامل للتيار بالتأكيد لا يقل عن 200 ميل ..

إن المنطقة الواقعة بين مونس ماسيوس وسلسلة جبال سنجار عبارة عن سهل متموج ، يتراوح عرضه بين ستين إلى سبعين ميلاً ، وهو خالٍ تقريباً من المعالم الجغرافية مثل الطمي في بابل . ومن أعلى يبدو كل شيء وكأنه مستوى ميت ولكن المسافر يجد عند النزول أن السطح ، مثل سطح المراعي الأمريكية والكامبانيا الرومانية ، يرتفع وينخفض بطريقة تقدم تبايناً واضحاً مع السهول الطميية القريبة من البحر . وأجزاء كبيرة من المنطقة تعاني من نقص شديد في المياه . ولا تنحدر من سلسلة جبال سنجار سوى جداول صغيرة ، وسرعان ما تمتصها التربة العطشى ، لذا فإن الخصوبة الطبيعية ضئيلة ، والزراعة صعبة باستثناء المناطق المجاورة مباشرة للتلال شمالاً وجنوباً ، وعلى طول مجاري الخابور والبليك وروافدهما . والتربة أيضاً غالباً ما تكون جبسية ، وتدمر إفرازاتها الملحية والنيتروجينية النباتات ، في حين أن الجداول والينابيع في نفس الوقت تنبع من نفس السبب في الغالب ، وهي مالحة وغير مستساغة . ربما لم يتوقف النشاط البركاني في المنطقة كثيراً ، إن توقف على الإطلاق ، قبل الفترة التاريخية . تنتشر شظايا البازلت في العديد من الأماكن في السهل ، وبالقرب من التقاء الفرعين الرئيسيين لنهر الخابور ، لا تظهر فوهات البراكين القديمة بوضوح فحسب ، بل لا يزال مخروط يرتفع من وسط أحدها ، تماماً مثل المخاريط في فوهات إتنا وفيزوف ، ويتكون بالكامل من الحمم البركانية السائبة والسكوريم والرماد ، ويرتفع إلى ارتفاع 300 قدم . يُعتقد أن اسم هذا التل الرائع ، وهو كوكب ، يشير إلى أن البركان ربما كان نشطاً في الوقت الذي تمتد إليه تقاليد البلاد ..

إن المسطحات المائية نادرة في هذه المنطقة إلى الحد الذي يجعل بحيرة الخاتونية الصغيرة تستحق وصفاً خاصاً ، تقع هذه البحيرة بالقرب من النقطة التي يتغير عندها طابع سنجار ، وتنحدر من سلسلة صخرية عالية إلى تلال منخفضة متكسرة . وهي ذات شكل مستطيل ، ويشير محورها الأكبر إلى الشرق والغرب تقريباً ، ويبلغ طولها حوالي أربعة

أميال ، وعرضها الأقصى أقل قليلاً من ثلاثة أميال . وضفافها منخفضة وأجزاء منها مستنقعية ، وخاصة على الجانب المؤدي إلى الخابور ، الذي لا يبعد أكثر من عشرة أميال . وفي وسط البحيرة شبه جزيرة جبلية متصلة بالبر الرئيسي بواسطة ممر ضيق ، وخلفها جزيرة صغيرة مغطاة بالأشجار . وتكثر في البحيرة الأسماك والطيور المائية ، وتعتبر مياهها ، على الرغم من ملوحتها ، مفيدة بشكل ملحوظ للإنسان والحيوان ..

إن سلسلة جبال سنجار ، التي تقسم غرب آشور إلى سهلين ، سهل شمالي وسهل جنوبي ، عبارة عن سلسلة من الحجر الجيري المنعزلة ، ترتفع فجأة من البلاد المنبسطة ، التي تسيطر عليها لمسافة شاسعة على كلا الجانبين . الحجر الجيري الذي تتكون منه هذه السلسلة أبيض ، ولين ، ومليء بالحفريات ، وهي تنفصل عن جوانب الجبل في شكل رقائق ضخمة ، والتي تنكسر أحياناً إلى سلسلة من الخطوات العملاقة ، بينما تظهر أحياناً المظهر العمودي للبازلت . إن جوانب سنجار مزينة بودي لا حصر لها ، ومن هذه الجداول الصغيرة تنبع مياهها ، والتي سرعان ما تنتشر بسبب الري ، أو تمتصها السهول العطشى . إن جوانب الجبل قابلة للزراعة عن طريق المصاطب وتنتج محاصيل جيدة من الذرة والفواكه الممتازة ، وغالباً ما تكون القمة مشجرة بأشجار الفاكهة أو أشجار الغابات . من الناحية الجغرافية ، يمكن اعتبار سنجار بمثابة استمرار لتلك السلسلة من التلال التي تغلق على نهر دجلة في الغرب ، من تكريت تقريباً إلى الموصل ، ثم تترك النهر يضرب عبر السهل في اتجاه من الشرق إلى الغرب تقريباً حتى مدينة سنجار . هنا تغير الجبال مسارها وتنحني إلى الجنوب الغربي ، حتى تمر بالبحيرة الصغيرة الموصوفة أعلاه ، ثم تهبط فجأة إلى حد ما ، وتغرق من سلسلة مرتفعة إلى تلال منخفضة متموجة تمر إلى الجنوب من البحيرة ، ثم تختفي تماماً في السهل . وفقاً لبعض الناس ، تنتهي سنجار هنا ، ولكن ربما يكون من الأفضل اعتبارها ترتفع مرة أخرى في تلال عزيز ، التي تقع بين الخابور والفرات ، وتمتد في نفس الاتجاه الجنوبي الغربي من عربان إلى زيلابي . إذا تم قبول هذا باعتباره المسار الحقيقي لسنجار ، فيجب أن ننظر إليه على أنه يرمي بحافزين مهمين . إن أحد هذه الجبال يقع بالقرب من طرفها الشرقي ، ويمتد إلى الجنوب الشرقي ، ويفصل سهل الزرقة عن المستوى المركزي الكبير . ومثل السلسلة الرئيسية ، فهو من الحجر الجيري ، ورغم انخفاضه ، فإنه يحتوي على عدة قمم ملحوظة تعمل كمعالم من مسافة شاسعة . ويطلق العرب عليه اسم كبريتيه، أو (سلسلة الكبريت) ، نسبة إلى نبع كبريتي ينبع عند سفحه . أما النتوء الآخر فيقع بالقرب من الطرف الغربي ، ويمتد نحو الشمال الغربي ، موازياً لمجرى الخابور العلوي ، الذي ينبع من جانبه عند رأس العين . ويُطلق اسم عزيز على هذا النتوء ، وكذلك على استمرار سنجار بين العربان والحلبي . وينقسم إلى وديان وهضاب لا حصر لها، تزخر بالحيوانات البرية ، وتكاد أشجار البلوط القزم تغطيها . وتكثر فيه مجاري المياه ..

ورد إسم سنجار في النقوش الآشورية ونقوش لالش أول مرة في العام الثالث قبل الميلاد تحت إسم مُركب هو شين ـ غال والتي تعني في اللغة الآكادية والآشورية (غلال الجبل الذي طوّق السفينة) أو السن الذي إرتطمت به السفينة وورد التعريف في إطار قصة الطوفان الشهيرة ، وفي القاموس الآشوري وردت تحت إسم سين ـ جار وهو يتطابق مع التعريف الأكدي للكلمة ..

وإلى الجنوب من سلسلة جبال سنجار ، تعود البلاد إلى نفس المظهر المستوي الذي يميزها بين سنجار ومونس ماسيوس . وتحيط سلسلة من الحجر الجيري المنخفض بوادي دجلة من الموصل إلى تكريت ، وبالقرب من الفرات تكون البلاد أحياناً جبلية بعض الشيء ، ولكن النظر يسافر عمومًا عبر مستوى شاسع متموج قليلاً ، لا تقطعه المرتفعات ، ولا يدعمه سوى القليل من النباتات . ويبالغ زينوفون في وصفه للأرض المسطحة ، ولكنه في غير ذلك دقيق بما فيه الكفاية (كانت البلاد في هذه الأجزاء عبارة عن سهل في جميع أنحائها ، ناعم كالبحر ، ومليء بالشيح ، وإذا نبتت هناك أي شجيرة أو قصب آخر ، كانت لها رائحة عطرية حلوة ، ولكن لم تكن هناك شجرة في المنطقة بأكملها) . ولا تزال المياه أكثر ندرة من السهول الواقعة شمال سنجار . والجداول المنحدرة من تلك السلسلة ضعيفة للغاية لدرجة أنها تضيع في السهل قبل أن تمتد أميالاً عديدة . وفي حالة واحدة فقط تبدو قوية بما يكفي لتكوين نهر . إن نهر الثرثار الذي يتدفق عبر أنقاض الحضر ، هو في ذلك المكان مجرى مائي كبير ، ليس واسعاً جداً في الواقع ولكنه عميق جداً لدرجة أن الخيول يجب أن تسبح عبره . لم يتم تتبع مساره فوق الحضر ، لكن يبدو أن التخمين الأكثر ترجيحاً هو أنه استمرار لنهر سنجار ، الذي ينبع في منتصف السلسلة تقريباً ، بطول 41 درجة و50 دقيقة ، ويتدفق جنوب شرقاً عبر الصحراء . يبدو أن الثرثار وصل في وقت ما إلى نهر دجلة بالقرب من تكريت ، لكنه ينتهي الآن في مستنقع أو بحيرة إلى الجنوب الغربي من تلك المدينة ..

إن الجغرافيا السياسية لآشور لا تحتاج إلى أن تشغل قدراً كبيراً من اهتمامنا . فلا يوجد دليل محلي على أن البلاد كانت في زمن الملكية العظيمة مقسمة رسمياً إلى مناطق ، كانت تُلحق بها أسماء معينة ، أو كانت تعتبر منفصلة سياسياً عن بعضها البعض ، ولا تظهر مثل هذه التقسيمات في الكتابات الكلاسيكية حتى زمن الجغرافيين اللاحقين ، سترابو ، وديونيسيوس ، وبطليموس . ولولا أن العهد القديم قد ذكر مناطق معينة داخل المنطقة التي أطلق عليها هنا اسم آشور ، لما كان لدينا دليل على أنه تم الاعتراف بأي تقسيمات على الإطلاق في العصور المبكرة . ومع ذلك ، فإن أسماء بادان آرام ، وآرام نهاريم ، وجوزان ، وحلاح ، وربما هزاب ، تشير في الكتاب المقدس إلى أجزاء معينة من الأراضي الآشورية ، وبما أن هذه الأجزاء تبدو متوافقة إلى حد ما مع أقسام الجغرافيين الكلاسيكيين ، فإننا نميل إلى الشك في أن هؤلاء الكتاب ربما كانوا في كثير من الحالات ، إن لم يكن في أغلبها ، يتبعون التقاليد أو

السلطات القديمة والمحلية . لذا ، فسوف نلاحظ الأقسام الرئيسية للجغرافيين الكلاسيكيين بإيجاز ، على الأقل بقدر ما يمكن فهمها ..

وفقاً لسترابو ، فإن المنطقة التي تقع فيها نينوى كانت تسمى أتوريا ، ويبدو أن هذه الكلمة هي آشور ، وقد تم تحريفها قليلاً ، كما نعلم أن الفرس كانوا يطلقون عليها هذا الاسم عادةً . ويقسم البلاد السهلية المجاورة إلى أربع مناطق دولوميني، وكالاشين ، وحزيني، وأديابيني . ولا يمكن تقديم أي وصف لدولوميني ، التي يذكرها سترابو في مكان واحد فقط ، والتي أغفلها مؤلفون آخرون تماماً . ولا بد أن تكون كالاشين ، التي ربما تكون كالاسين التي تحدث عنها بطليموس ، هي المنطقة التي تتحدث عن كالاح (نمرود) ، أو البلاد الواقعة شمال نهر الزاب العلوي مباشرة . وحزيني ، مثل دولوميني ، مصطلح لا يمكن تفسيره . وعلى العكس من ذلك ، فإن أدياميني (أمادين) تعبير جغرافي معروف . إنها بلاد نهري الزاب أو الدياب ، وتشمل إما كامل آشور الشرقية بين الجبال ونهر دجلة ، أو تُطبق بشكل أكثر صرامة على المنطقة الواقعة بين الزاب العلوي والسفلي ، والتي تتكون من سهلين كبيرين يفصل بينهما تلال كاراتشوك . وعلى هذا النحو ، فإن أربيليتس ، السهل الواقع بين كاراتشوك وزاغروس ، يقع ضمن آدياميني (أمادين أو عمادية) ، ولكن في بعض الأحيان يتم اعتباره منطقة مميزة ، وفي هذه الحالة يجب أن تقتصر آدياميني على السهل بين الزابين ، دجلة ، والهاراجوك . يجب اعتبار شالونيتيس وأبولونياتيس ، اللتين يبدو أن سترابو يضعهما بين هذه السهول الشمالية وسوسيانا ، على أنهما تقسمان بينهما البلاد الواقعة جنوب الزاب الأصغر ، وأبولونياتيس (التي تسمى بهذا الاسم نسبة إلى عاصمتها اليونانية ، أبولونيا) الواقعة على طول نهر دجلة ، وشالونيتيس على طول الجبال من ممر دربند إلى جيلان . ويبدو أن مدينة شالونيتس أخذت اسمها من عاصمة تدعى شالا ، والتي كانت تقع على الطريق العظيم الذي يربط بابل بجنوب إكباتانا ، وكانت تُعرف في العصور اللاحقة باسم حلوان . وتحت أبولونياتيس ، وعلى ضفاف نهر دجلة (مثل تلك المنطقة) ، كانت تقع مدينة سيتاتشيني (التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى عاصمتها سيتاتشيني التي يُحسب اسمها عموماً على أنها آشورية ، ولكن يبدو أنها تُعتبر على نحو أكثر دقة إقليماً سوسيانياً) . وهذه هي التقسيمات الرئيسية لآشور الواقعة شرق نهر دجلة ..

إلى الغرب من نهر دجلة ، يُستخدم اسم بلاد ما بين النهرين عادةً ، مثل آرام النهرين ، للإشارة إلى البلاد بأكملها الواقعة بين النهرين العظيمين . وهنا أيضاً عدة مناطق ، لا يُعرف عنها إلا القليل ، مثل أكابين وتيجينا وأنكوباريتيس . وفي الشمال على طول جوانب جبل ماسيوس من نصيبين إلى الفرات ، يبدو أن سترابو يضع الميجدونيين ، ويعتبر البلاد ميجدونيا . وتحت ميجدونيا ، نحو الغرب، يضع أنثيموسيا ، التي يمتدها حتى نهر الخابور . ويبدو أنه يعتبر

المنطقة الواقعة جنوب الخابور وسنجار مأهولة بالكامل بالعرب . ويذكر بطليموس، بدلاً من ميجدونيا التي ذكرها سترابو ، منطقة أطلق عليها اسم غوزانيتس ، وهذا الاسم مرتبط بشكل جيد بمنطقة جوزان المذكورة في الكتاب المقدس، والتي ربما تكون الأصل الحقيقي لـ (ميجدونيا) عند الإغريق . ويبدو أن جوزان تمثل كل البلاد العليا التي تنبع منها الروافد الأطول لنهر الخابور ، في حين أن هاله ، التي تقترن بها في الكتاب المقدس ، والتي يسميها بطليموس خالكيتيس، ويجعلها حدوداً لجوزانيتس، قد تشير إلى المنطقة الواقعة على النهر الرئيسي، حيث تنحدر من رأس العين . ولا يوجد تسمية خاصة للمنطقة المحيطة بالمصادر العليا لنهر بيليك في سترابو ، ولكن يبدو أنها تسمى في الكتاب المقدس آدان (آرام آديا) ، وهو الاسم الذي تم تفسيره على أنه (سوريا المسطحة) ، أو (البلاد الممتدة من سفح التلال) . وفي أواخر العصور الرومانية كانت تُعرف باسم أوسروين ، لكن هذا الاسم لم يكن مستخدماً إلا نادراً قبل زمن الأنطونيين ..

الفصل الثالث

العاصمة العظيمة لآشور

كان موقع العاصمة الآشورية العظيمة يُنظَر إليه عموماً على أنه ثابت بدرجة كافية من اليقين في المنطقة المقابلة مباشرة للموصل ، سواء من خلال التقاليد المحلية أو من خلال تصريحات الكتاب القدامى ، ولكن اكتشاف الرحالة المعاصرين لبقايا معمارية رائعة على مسافة كبيرة من هذا الموقع ألقى الشك على الاعتقاد السائد ، وجعل الموقع الحقيقي لنينوى القديمة مرة أخرى موضع جدل . عندما تم الكشف لأول مرة عن المنحوتات النبيلة والقصور الضخمة في نمرود ، كان من الطبيعي أن نفترض أنها تشير إلى الموقع الحقيقي ؛ لأنه بدا من غير المحتمل أن تزين أي مدينة إقليمية مجردة بسلسلة طويلة من الملوك بمباني على هذا النطاق العظيم والغني بالزخارف في آن واحد . يُعتقد أن مقطعاً من سترابو ، وآخر من بطليموس ، يؤكد هذه النظرية ، التي وضعت العاصمة الآشورية تقريباً عند تقاطع الزاب الأعلى مع دجلة ، ولفترة من الوقت تغير الرأي القديم ، وأصبح اسم نينوى مرتبطاً بشكل عام جداً في هذا البلد بأطلال نمرود ..

وبعد فترة وجيزة بدأ مدعي منافس في المناطق الواقعة إلى الشمال . وقد أظهرت الحفريات التي أجريت في قرية خورساباد أن قصراً فخماً ومدينة كبيرة كانت موجودة في ذلك الموقع في العصر الآشوري . وعلى الرغم من الاعتراض الواضح بأن أطلال خورساباد تقع على مسافة خمسة عشر ميلاً من نهر دجلة ، الذي كان يغسل جدران نينوى قديماً وفقاً لكل كاتب ذي وزن ، فقد افترض المنقب أن اكتشاف العاصمة كان محجوزاً له ، وأن العمل الرائع الذي يمثل النقوش البارزة والنقوش في خورساباد ، والذي نُشر في فرنسا تحت عنوان (نصب نينوى) ، تسبب في قبول نظرية م. بوتا في العديد من أجزاء القارة ..

وبعد فترة من الوقت ، جرت محاولة للتوفيق بين الادعاءات المتنافسة من خلال نظرية ، نالت عظمتها القبول ، على الرغم من عدم احتماليتها . واقترح البعض أن الآثار المختلفة ، التي كانت حتى ذلك الحين موضع نزاع بشأن الاسم ، كانت في الواقع كلها ضمن دائرة نينوى القديمة ، التي وصفت بأنها مستطيلة الشكل ، أو مربعة الشكل ، يبلغ طولها ثمانية عشر ميلاً وعرضها اثني عشر ميلاً . وكانت بقايا خورساباد ، وتل كوجك ، ونمرود ، وكرمليس تمثل الزوايا الأربع لهذا المربع الواسع ، الذي احتوى على مساحة 216 ميلاً مربعاً ، أي حوالي عشرة أمثال مساحة لندن ! وتأكيداً لهذا الرأي ، تم الاستشهاد أولاً بالوصف الذي قدمه ديودوروس ، والذي استمد على الأرجح من

كتسياس ، والذي يتوافق مع كل من النسب والمسافات الفعلية ، ثم البيانات الواردة في سفر يونان ، والتي تضمنت مدينة ذات أبعاد مماثلة . وكان من الممكن الاستشهاد بموازاة بابل ، وفقاً للوصف الذي قدمه هيرودوت ، كحجة إضافية ، حيث أنه قد يبدو من المعقول أن نفترض أنه لم يكن هناك فرق كبير في الحجم بين المدن الرئيسية للإمبراطوريتين المتقاربتين ..

لقد أجمع علماء الآثار ومترجمي الألواح المستخرجة بأن الخرائط التي وجدوها توحي بأنها واحدة لأروع المدن الهندسية الجميلة المؤلفة من مربعات ومستطيلات ودوائر توحي بأن من وضع الهندسة المعمارية للمدينة بأنهم كانوا من أروع المهندسين المعماريين الذين مروا على الحضارات ، ولا يختلف إثنان أن تلك الخرائط تبيّن أن سكان نينوى كانوا مهتمين كثيراً بتأثير الأشكال الهندسية على الوعي البشري وتطوره وكذلك تؤثر في التطور الروحي والنظام الجيني الذي يشكل محور الوجود في الكائنات ..

ولكن هذه النظرية جذابة من عظمتها ، ومنسجمة مع تقارير الإغريق ، ولكن قام المسؤولين عن اللجان الأثرية في المتحف البريطاني بإستبعادها لسببين ، أحدهما تاريخي والآخر طوبوغرافي . إن أطلال خورساباد ، وكرمليس ، ونمرود ، وبعشيقة وبحزاني تحمل على أحجارها ألقاباً محلية مميزة ، وقد وجدنا هذه الألقاب مرتبطة بمدن مميزة في النقوش التاريخية . فكما لاحظنا من قبل ، نمرود هي كالح ، وخورساباد هي دور سرجينا ، أو (مدينة سرجون). وكرمليس لها أيضاً اسمها الخاص دور خديدة (بغديدا) ، أو بيت خديدة (مدينة الإله آدي) . والآن لا يعتبر الكتاب الآشوريون هذه الأماكن أجزاءاً من نينوى ، بل يتحدثون عنها كمدن متميزة ومنفصلة . وكانت كالح لفترة طويلة عاصمة ، بينما ورد ذكر نينوى كمدينة إقليمية . إن سرجون قد بنى دور سرجينا ، ليس في نينوى ، بل بالقرب من نينوى . ولابد أن نتذكر أن الكتاب المقدس يميز كالح على نحو مماثل كمكان منفصل عن نينوى ، وبعيد عنها إلى الحد الذي جعل هناك متسعاً لبناء مدينة عظيمة بينهما . وبينما يطلق الجغرافيون اسم أتوريا أو آشور على المنطقة المحيطة بالبلدة الأولى ، فإنهم يطلقون على المنطقة المحيطة بالبلدة الأخرى اسماً مميزاً ، وهو كالاشين . ومرة أخرى عندما نفحص البلاد عن كثب ، نجد أنه لا توجد علامات على وجود أي مدينة متصلة على المساحة المشمولة ضمن المواقع الخمسة نمرود ، وكرمليس ، وخورسباد ، وبعشيقة ، وبحزاني ، ولا أي بقايا لأسوار أو خنادق تربط بينها ، بل إن المواقع الأربعة نفسها محصنة بعناية فيما قد يكون داخل المدينة وفقاً للنظرية التي نفحصها كما هو الحال في الاتجاهات الأخرى . ربما لا تكون هناك حاجة إلى إضافة شيء آخر ، إلا لمواجهة الحجة المستمدة من ديودوروس ، وهو أن المواقع الأربعة المذكورة لم توضع بحيث تشكل المربع المستطيل الذي وصفه ، بل تمثل زوايا معين مائلة للغاية عن العمودي ..

إن الكثير من النظريات والآراء التي كانت تعكس الحقيقة بالقول أن الحضارة الآشورية كانت حضارة عظيمة بشعبها وبفنها الهندسي الجميل تلاقي رفضاً من لجان المتحف الملكي البريطاني والآكاديميين المشرفين على ترجمة الألواح والنقوش بحجة واهية وهي أن هذا الأمر يتعارض مع نظرة الكتاب المقدس ، والحقيقة الساطعة التي لا يمكن إنكارها أن أغلب المعالم الهندسية الجميلة والحدائق في لندن الحديثة أخذت من ألواح آشورية كما يعترف المجمع الملكي نفسه ..

إن الحجة المستمدة من سفر يونان تستحق اهتماماً أكبر من تلك التي تستند إلى سلطة ديودورس وكتسياس على الرغم من أنه تم تفنيدها فيما بعد من خلال الألواح والنقوش المترجمة نفسها . فخلافاً لكتسياس ، رأى يونان نينوى وهي لا تزال قائمة ، ورغم أن كاتب السفر النبوي ربما لم يكن يونان نفسه ، فمن المحتمل أنه عاش بعده بسنوات ليست طويلة . وبالتالي فإن شهادته هي شهادة معاصر ، رغم أنه (قد) لا تكون شهادة شاهد عيان ، وحتى بعيداً عن الوحي الذي وجه قلمه ، فإنه يستحق أن يُسمع بكل احترام . والآن فإن تصريحات هذا الكاتب التي لها علاقة بحجم نينوى ، هي اثنتان . يخبرنا في موضع أنها كانت مدينة عظيمة جداً ، مسيرة ثلاثة أيام ، وفي موضع آخر ، كان فيها أكثر من مائة وعشرين ألف شخص لا يستطيعون التمييز بين يمينهم ويسارهم . ومن الواضح أن هذه المقاطع تهدف إلى وصف مدينة بحجم غير عادي في ذلك الوقت ، ولكن كلاً منهما غامض وغير واضح إلى حد أنه من المستحيل أن نستنتج بشكل منفصل أو حتى من الاثنين مجتمعين فكرة محددة دقيقة . مدينة مسيرة ثلاثة أيام قد تكون مدينة تستغرق ثلاثة أيام لعبورها من طرفها إلى طرفها ، أو مدينة مسيرة ثلاثة أيام في محيطها ، أو أخيراً ، مدينة لا يمكن زيارتها واستكشافها تماماً بواسطة نبي مفوض لتحذير السكان من خطر قادم في أقل من ثلاثة أيام . الأشخاص الذين لا يستطيعون التمييز بين أيديهم اليمنى واليسرى قد يعنيون (إذا تم فهمهم حرفياً) الأطفال ، وبالتالي فإن 120.000 شخص من هؤلاء الأشخاص قد يشيرون إلى إجمالي عدد السكان 600.000 ، أو ربما يُفهم العبارة على الأرجح من الجهل الأخلاقي ، والقصد في هذه الحالة هو تحديد جميع السكان . إذا كانت نينوى في زمن يونان مدينة يبلغ عدد سكانها 120.000 نسمة ، فإنها تستحق لقب مدينة عظيمة جدًا ، ولقد كان النبي مشغولاً بثلاثة أيام في اجتياز ساحاتها وشوارعها . وسوف نجد فيما بعد أن الأطلال المقابلة للموصل لها مساحة تعادل أكثر من استيعاب هذا العدد من الأشخاص وبعد سنوات طويلة كشفت الألواح النقوش التي أستخرجت من نمرود الكثير من المعالم الخصوصية التي كانت تتمتع بها العاصمة الآشورية ومن بينها التقسيم الطبقي للمدينة والتقسيم الوظيفي ، فالمهندسين كان لهم أحياء خاصة بهم وكذلك الضباط والقضاة والمحامين والنقاشين من أصحاب الفن الراقي في النحت وكانت أحياءهم شبيهة بمدن العلماء التي لا تخلو من أي عامل من عوامل الرفاهية

والإبداع ، كما أن عدد الحدائق العامة المليئة بكل ألوان الأزهار والورود كان يفوق غيرها من مدن العصر القديم على الإطلاق ، كما كشفت تلك الألواح النظام الهندسي للمجاري والذي كان قياساً لذلك الزمن من عجائب الدنيا نظراً لدقته في التصريف والتنقية ..

للأسف تعرضت العاصمة الآشورية لظلم كبير طوال قرون بسبب النهج الآكاديمي الخاطيء في إبعاد كل ما يتعارض مع الكتاب المقدس من حقائق وإخفاءها ، والعجيب أن ذلك الأكاديمي المتدين يؤمن في الصباح بالعلم ونظرياته ويوم الأحد يؤمن بما يسميها خرافات وإستحالة كسر قانون الجاذبية كما يسرد الكتاب المقدس عن المسيح وهو يمشي على المياه !!

هذا التناقض تسبب في تلك النظرة الضيقة لأعظم حضارة عاشتها البشرية في العالم القديم ، ونفس الأمر ينطبق على العاصمة الشمسانية بابل العظيمة التي كانت تضاهي نينوى في فنها الهندسي الجميل ، إن وزن الحجة التي تزعم أن بابل كانت مدينة صغيرة موازية لمدينة لنينوى لابد وأن يعتمد على درجة عدم الثقة التي يمكن أن نعتمد عليها في بيان هيرودوت ، وعلى الرأي الذي سيتشكل في النهاية فيما يتصل بالحجم الحقيقي لتلك العاصمة .

ومن غير اللائق أن نستبق هنا الاستنتاجات التي قد نتوصل إليها فيما بعد فيما يتصل بالأبعاد الحقيقية لمدينة بابل العظيمة ، ولكن من الممكن أن نلاحظ أن العديد من الأوساط تبدي شكوكاً خطيرة فيما يتصل بالبيانات القديمة حول هذا الموضوع ، وأن الآثار لا تغطي أكثر من جزء من خمسة وعشرين جزءاً من المساحة التي ينسبها هيرودوت للمدينة . ولذلك، فمن الممكن لنا أن نتجاهل دون تردد كبير النظرية التي تنسب إلى نينوى القديمة أبعاداً أكبر بتسعة أو عشرة أمثال من أبعاد لندن ، وأن ننتقل إلى وصف مجموعة الآثار التي يعتقد أفضل القضاة أنها تمثل الموقع الحقيقي ..

تتكون الآثار المقابلة للموصل من تلتين رئيسيتين ، تعرفان على التوالي باسم نبي يونس وتل كوجك ، وتل كوجك الذي يقع إلى الشمال الغربي من الآخر ، على مسافة 900 ياردة ، أو ما يزيد قليلاً على نصف ميل ، هو الأضخم من الاثنتين . شكله بيضاوي غير منتظم ، ممدود إلى نقطة باتجاه الشمال الشرقي ، على خط محوره الأكبر . سطحه مسطح تقريباً ، تنحدر الجوانب بزاوية شديدة الانحدار ، وتتخللها العديد من الوديان ، التي تآكلت في المادة اللينة بسبب أمطار حوالي ثلاثين قرناً . أقصى ارتفاع للتل فوق البرقوق هو نحو الطرف الجنوبي الشرقي ، حيث يطل على مجرى صغير من خُسر ، يبلغ الارتفاع في هذا الجزء حوالي خمسة وتسعين قدماً . وتقدر المساحة التي تغطيها التلة بمائة فدان ، ويقال إن الكتلة بأكملها تحتوي على 14.500.000 طن من التربة . ولا يكاد عمل الرجل يحفر ويضع أكثر من 120 طناً من التربة في مكانها في عام واحد ، وبالتالي فإن الأمر يتطلب جهوداً مشتركة من

10.000 رجل لمدة اثني عشر عاماً ، أو 20.000 رجل لمدة ست سنوات ، لإكمال البناء . وعلى هذا الارتفاع الاصطناعي أقيمت في العصور القديمة قصور ومعابد الملوك الآشوريين ، والتي أصبحت الآن مدفونة في أنقاض أنقاضهم ..

إن تل النبي يونس يتخذ شكل مثلث عند قاعدته ويغطي مساحة تبلغ نحو أربعين فداناً . وهو أعلى وجوانبه أكثر انحداراً من تل كوجك وخاصة في الغرب ، حيث كان يلامس سور المدينة . والسطح مسطح في معظمه ، ولكنه مقسم في المنتصف تقريباً بواد عميق ، يمتد من الشمال إلى الجنوب تقريباً ، ويفصل التل إلى جزء شرقي وجزء غربي . ويظهر قبر يونان المزعوم بشكل واضح على الحافة الشمالية للجزء الغربي من التل ، وتتجمع حوله أكواخ الإيزيديين والتركمان الذين ينتمي إليهم موقع نينوى القديمة . ويشكل الجزء الشرقي من التل مقبرة ، تُنقل إليها جثث المسلمين ..

من مسافات كبيرة وتقدر كتلة الأرض بستة ملايين ونصف المليون طن ، بحيث كان من الممكن أن يوفر تشييده فرص عمل كاملة لعشرة آلاف رجل لمدة خمس سنوات ونصف ..

إن هذين التلين الضخمين المنصتين اللذين أقيمت عليهما القصور والمعابد يقعان في نفس الخط ، ويتصلان بالجدار الغربي للمدينة . ويُعتقد أن موقعهما في ذلك الجدار قد حُدد ، ليس بالصدفة ، بل بالتخطيط ، لأنهما يقسمان الواجهة الغربية للمدينة إلى ثلاثة أجزاء متساوية تقريباً . وكان طول هذا الجانب من نينوى بالكامل 13600 قدم ، أو ما يزيد قليلاً على ميلين ونصف الميل . ويبدو قديماً أن هذا التل كان يطل مباشرة على نهر دجلة ، الذي ابتعد الآن إلى الغرب، تاركاً سهلاً يبلغ عرضه ميلاً تقريباً بين حافته الشرقية والسور القديم للمدينة ويبدو أن هذا السور كان يتبع المسار الطبيعي لضفة النهر ، وبالتالي ، فبينما كان مستقيماً بشكل عام ، فإنه في أقصى الجنوب من الأجزاء الثلاثة يظهر انحناءً لطيفاً ، حيث كان النهر ينحني بوضوح ، ويغير مساره من الجنوب الشرقي إلى الجنوب تقريباً ..

إن الجدار الغربي عند نهايته الشمالية يقترب من مجرى نهر دجلة الحالي ، وهنا ينضم إليه، بزاوية قائمة تماماً ، السور الشمالي ، أو بالأحرى السور الشمالي الغربي ، الذي يمتد في خط مستقيم تماماً إلى الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة ، ويقال إن طوله يبلغ 7000 قدم بالضبط . وهذا الجدار مقسم مرة أخرى ، مثل الجدار الغربي ، ولكن بدقة أكبر ، إلى ثلاثة أقسام متساوية . بدءاً من الزاوية الشمالية الشرقية ، يمتد ثلثه على أرض مرتفعة نسبياً ، وبعد ذلك ينخفض الثلثان المتبقيان من مساره بانحدار لطيف نحو نهر دجلة . وفي منتصف هذا المنحدر تماماً ، يكسر السور طريق ، يجاوره تل رائع ، يغطي أحد البوابات الرئيسية للمدينة ..

عند الطرف الآخر ، يشكل الجدار الغربي زاوية منفرجة للغاية مع الجدار الجنوبي ، الذي يمتد فوق وادٍ عميق تشكل بفعل سيول الشتاء ، ويمتد في خط مستقيم لحوالي 1000 ياردة ، عندما يلتقي بالجدار الشرقي ، الذي يشكل معه زاوية حادة قليلاً . بقي أن نصف الجدار الشرقي، وهو الأطول والأقل انتظاماً من بين الجدران الأربعة يحيط حاجز القصدير بحافة سلسلة من الصخور المتكتلة، والتي ترتفع هنا إلى حد ما فوق مستوى السهل ، وتقدم اكتساحًا محدباً قليلاً إلى الشمال الشرقي. في البداية ، يمتد بشكل موازٍ تقريباً للغرب ، وبزاوية قائمة على الجدار الشمالي ، ولكن بعد متابعة هذا المسار لحوالي ثلاثة أرباع الميل ، يُجبره التحدب الطبيعي للسلسلة على التراجع قليلاً ، وينحني برفق إلى الداخل ويتخذ اتجاهاً أكثر جنوباً مما كان عليه في البداية ، وبالتالي يقترب باستمرار من الجدار الغربي ، الذي يكون مساره تقريباً في اتجاه الجنوب الشرقي . يبلغ طول هذا الجدار بالكامل ستة عشر ألف قدم ، أو ما يزيد على ثلاثة أميال . وهو مقسم إلى قسمين ، القسم الجنوبي هو الأطول إلى حد ما ، ويمر به نهر خسرو ، الذي يأتي من الشمال الغربي ، ويشق طريقه عبر أنقاض المدينة ، ثم يمضي عبر السهل المنخفض إلى نهر دجلة ..

إن محيط نينوى يشكل على هذا النحو شبه منحرف غير منتظم ، أو مثلثاً مقطوع رأسه فجأة إلى الجنوب . والعرض ، حتى في أوسع جزء منه . أي نحو الشمال ، غير متناسب تماماً مع الطول ، حيث يبلغ عرضه أربعة إلى تسعة ، أو واحد إلى اثنين وربع الضلع . وعلى هذا فإن المدينة ذات شكل مستطيل ، وقد وصفها ديودوروس حتى الآن بصدق ، وإن كانت أبعاده تتجاوز الحقيقة إلى حد كبير . إن محيط الأسوار يقل قليلاً عن ثمانية أميال ، بدلاً من أن يكون أكثر من خمسين ميلاً ، والمساحة التي تشملها تبلغ 1100 فدان إنجليزي ، بدلاً من أن تكون 112000 ! ويُقدَّر أنه في مدينة شرقية مكتظة بالسكان يمكننا حساب عدد السكان بما يقرب من مائة ، إن لم يكن تماماً ، لكل فدان . وهذا يسمح بمساحة كبيرة للشوارع والساحات المفتوحة والحدائق ، لأنه يخصص فرداً واحداً فقط لكل مساحة تبلغ خمسين ياردة مربعة . وفقاً لهذا الأسلوب من الحساب ، يمكن تقدير عدد سكان نينوى القديمة ، ضمن الحدود الموصوفة هنا ، بنحو 175 ألف نسمة . ولا توجد مدينة في غرب آسيا يبلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر مثل هذا العدد ..

في الوصف السابق للأسوار المحيطة بنينوى ، لم يتم ذكر عرضها أو ارتفاعها . وفقاً لديودورس ، كان ارتفاع الجدار الذي أحاط به نينوس عاصمته 100 قدم ، وكان عريضاً لدرجة أن ثلاث عربات كانت تسير جنباً إلى جنب على طول القمة . زينوفون ، الذي مر بالقرب من الأنقاض في انسحابه مع العشرة آلاف ، يقول إن الارتفاع كان 150

قدماً ، والعرض 50 قدمًا. يبدو أن أقصى ارتفاع فعلي في الوقت الحاضر هو 46 قدماً ، لكن الحطام عند سفح الجدران كبير جداً ، والطبيعة المنهارة للجدران نفسها واضحة جداً ، لدرجة أن كبير المستكشفين المعاصرين

يميل إلى اعتبار حساب ديودورس على الأرجح ليس مبالغة في الحقيقة . عرض الجدران ، في حالتها المنهارة ، يتراوح من 100 إلى 200 قدم . يبدو أن الطريقة التي تم بها بناء الجدران كانت على النحو التالي . كانت هذه الأسوار تتألف حتى ارتفاع معين ، خمسون قدماً ، وفقاً لزينوفون من كتل منحوتة بدقة من الحجر الجيري المتحجر ، مصقولة ومصقولة من الخارج . وفوق هذا ، كانت المادة المستخدمة هي الطوب المجفف بالشمس . ومن المؤكد أن البناء الحجري كان مزيناً على طول قمته بسلسلة متصلة من الأسوار أو الحواجز من نفس المادة ، ومن غير المستبعد أن تكون زخرفة مماثلة قد توجت البناء الطوبي العلوي . وكان الجدار مثقوباً على فترات غير منتظمة ببوابات ، كانت ترتفع فوقها أبراج شاهقة ، بينما كانت الأبراج ، ربما ذات ارتفاع أقل، موجودة أيضاً في أجزاء الجدار الفاصلة بين بوابة وأخرى . وقد تم تطهير بوابة في السور الشمالي الغربي عن طريق الحفر ، وسيظهر شكلها وبنائها بشكل أفضل من خلال مخطط الأرض الملحق . ويبدو أنها كانت تتكون من ثلاث بوابات ، حيث تم تزيين الداخلية والخارجية بهياكل بشرية ضخمة ورؤوس أخرى ، بينما تم تغطية البوابة المركزية بألواح من المرمر فقط بين البوابات كانت هناك غرفتان كبيرتان ، يبلغ طولهما 70 قدماً وعرضهما 23 قدماً ، وبالتالي كانت قادرة على استيعاب مجموعة كبيرة من الجنود. يُفترض أن الغرف والبوابات كانت مقوسة ، مثل بوابات القلاع على النقوش البارزة . اختفت البوابات نفسها تمامًا: لكن الحطام الذي ملأ الغرف والممرات كان يحتوي على الكثير من الفحم لدرجة أنه يُعتقد أنها ربما كانت مصنوعة ، ليس من البرونز ، مثل بوابات بابل ، ولكن من الخشب . كانت الأرض داخل البوابة مرصوفة بألواح كبيرة من الحجر الجيري ، ولا تزال تحمل علامات عجلات العربات ..

ولم يكن السور الحصين الذي أحاط بنينوى وحرسها يشكل بأي حال من الأحوال دفاعها الوحيد . فخارج الجدار الحجري كان هناك حاجز مائي على كل جانب ، يتألف من مجاري طبيعية للأنهار في الغرب والجنوب ، ومن الشمال والشرق قنوات اصطناعية كانت تتدفق إليها المياه من نهر خسرو . وكانت الجدران الشمالية والشرقية محاطة على طولها بخندق عريض وعميق ، كان نهر خسرو يتدفق فيه عن طريق احتلال قاعه الطبيعي بسد قوي يحمله عبره في خط الجدار الشرقي ، وعند النقطة التي يدخل فيها النهر الآن إلى السياج . وعند الالتقاء بهذا الحاجز ، الذي لا يزال بعضه باقياً ، انقسمت المياه، فتدفق جزء منها إلى الجنوب الشرقي ، ووصل إلى نهر دجلة عن طريق الوادي الواقع مباشرة إلى الجنوب من المدينة ، وهو مجرى مائي طبيعي ، وانحرف جزء آخر بزاوية حادة إلى الشمال الغربي ، وغسل ما تبقى من الجدار الشرقي وكل الجدار الشمالي ، ووصل إلى نهر دجلة عند الزاوية

الشمالية الغربية للمدينة ، حيث حافظ سد ثانٍ على ارتفاعه الكافي . وعلاوة على ذلك، على الوجه الشرقي ، الذي يبدو أنه كان يُعَد الأضعف ، أقيمت سلسلة من الأعمال الخارجية للدفاع الإضافي عن المدينة . إلى الشمال من الخُسر ، بين سور المدينة والنهر ، الذي يجري هناك موازياً للجدار ويشكل نوعاً من الخندق الثاني أو الخارجي ، توجد آثار لحصن منفصل بحجم كبير ، والذي لا بد أنه عزز الدفاعات في ذلك الحي . وإلى الجنوب والجنوب الشرقي من الخُسر ، لا تزال الأعمال أكثر تفصيلاً . في المقام الأول، من نقطة يغادر فيها نهر الخسر التلال ويهبط على أرض منخفضة نسبياً ، تم حفر خندق عميق ، عرضه 200 قدم ، عبر تكتلات صخرية مدمجة لأكثر من ميلين ، حتى انضم إلى الوادي الذي شكل الحماية الطبيعية للمدينة من الجنوب . على جانبي هذا الخندق ، الذي يمكن تزويده بسهولة بالمياه من نهر الخسر عند طرفه الشمالي ، تم بناء جدار عريض ومرتفع ، يرتفع الجدار الشرقي ، الذي يشكل أقصى الدفاعات ، حتى الآن مائة قدم فوق قاع الخندق الذي يجاوره . علاوة على ذلك ، بين هذا الحاجز الخارجي وجدار خندق المدينة ، كان هناك نوع من الحاجز النصفي ، يحرسه جدار مزدوج وخندق عريض ومتصل (كما يُعتقد) بطريق مغطى بنينوى نفسها . وبالتالي كانت المدينة محمية من هذا الجانب ، وهو الجانب الأكثر ضعفاً ، باتجاه المركز بخمسة جدران وثلاثة خنادق عريضة وعميقة ، نحو الشمال ، بسور وخندق وقصر ونقطة مراقبة قوية ، نحو الجنوب بخندقين وثلاثة صفوف من الأسوار . يبلغ عرض التحصين بالكامل على هذا الجانب 2200 قدم ، أو ما يقرب من نصف ميل ..

كان هذا هو الموقع ، وكانت هذه هي الدفاعات ، لعاصمة آشور . ولا يمكن أن يقال الكثير عن ترتيباتها الداخلية في الوقت الحاضر ، حيث لم يتم إجراء فحص عام للمساحة داخل الأسوار حتى الآن ، ولم يصل إلينا أي وصف قديم للداخل . لا نستطيع أن نرى إلا أن الجانب الأكثر أناقة من المدينة كان الجانب الغربي ، الذي يطل مباشرة على نهر دجلة ، حيث كانت هناك قصور الملوك ، ويبدو أن هناك أيضاً مساكن للمواطنين الأثرياء ، على الأقل ، على هذا الجانب في المساحة الفاصلة بين تل كوجك والسور الشمالي ، توجد البقايا الوحيدة الواضحة للمباني إلى جانب التلال العظيمة لتل كوجك ونبي يونس . لا شك أن النهر كان عامل الجذب الرئيسي ولكن ربما كان الجانب الغربي أيضاً يعتبر الأكثر أماناً ، حيث يقع أبعد من الحي الذي يتوقع السكان أن يتعرضوا للهجوم منه وحده ، أي الشرق . من المستحيل في الوقت الحاضر تقديم أي وصف لطبيعة المنازل أو اتجاه الشوارع ربما لن يكون الوقت بعيداً عندما يتم بذل جهود أكثر منهجية واستمرارية من قبل مشروع أوروبا للحصول على معرفة كاملة بكل البقايا التي لا تزال مدفونة في هذا الموقع المثير للاهتمام . لا ينبغي أن نتوقع اكتشافات مثل تلك التي أذهلت العالم مؤخراً ، لكن المستكشفين الصبورين سيظلون على يقين من الحصول على مكافأة وفيرة ، إذا تمكنوا من التقاطها ..

لم يكن هناك قط اختلاف كبير في الرأي بين العلماء فيما يتعلق باللغة التي يتحدث بها الآشوريون . وبما أن الأنساب الآكادية تربط الآشورية بها وبالبرامية لغة المملكة الرسمية فقد كان من الطبيعي إيجاد التقارب الفعلي بينهم ، بينما اعتبر اليونانيون بوضوح السوريين والآشوريين والبابليين عرقاً واحداً إندر من نفس الأصل ، فقد كان من المفترض دائماً أن الأشخاص المرتبطين بهذه الطريقة يجب أن يمتلكوا لغة متحالفة وحتى الاوغاريتية كانت نتاج الآرامية وأفرزت فيما بعد لغة الإغريق ، إلى حد ما ، وتضع المخطوطات المترجمة الآشوريين مع الإيزيديين والسريانيين والكلدانيين كقوم وعرق واحد . كان من المعروف أن هذه اللغات هي أصناف لهجية لشكل واحد من أشكال الكلام الآكادية الأم ، وبالتالي كان الاعتقاد السائد ، قبل استخراج أي نقوش آشورية ، أن اللغة الآشورية كانت من هذا النوع ، إما لغة شقيقة للغات الثلاث المذكورة أعلاه ، أو متطابقة مع أحدها . كانت الصعوبة الوحيدة في طريق هذه النظرية هي الطابع الإيزيدي أو الداسيني المفترض لعدد معين من الأسماء الملكية الآشورية مثل شمشي آدد (شمس آدي) وآشور ناسر ـ بال (آشور ناسر الرب ـ أو ناسر الدين) ، ولكن كان يُعتقد أن هذه الصعوبة قد تم التغلب عليها بشكل كافٍ من خلال اقتراح مفاده أن القبيلة الحاكمة ربما كانت من أصل أكادي لأن القاموس الآكادي فسّر لنا هذه المصطحات بعمق ، واحتفظت بألقابها الوطنية الخاصة ، بينما ينتمي غالبية السكان إلى عرق مختلف بحكم التنقل الحضاري الذي امتد لثلاثة آلاف عام من عمر الحضارة الآشورية . وقد أظهرت الاكتشافات الحديثة أن هذا الاقتراح الأخير كان بلا أدنى شك مقبول وواقعي ..

لقد كشفت لنا تلال بلاد ما بين النهرين ، إلى جانب الأسماء الحقيقية للملوك الآشوريين ، عن مجموعة كبيرة من الوثائق المكتوبة باللغة الآشورية ، والتي قد نتمكن في يوم من الأيام من اكتساب معرفة كاملة ببنيتها ومفرداتها ، كما نمتلك في الوقت الحاضر معرفة كاملة باللغة الآكادية أو الآرامية . وقد أكدت هذه الوثائق الاعتقاد السابق بأن اللغة آكادية في طابعها المنهجي . وهي تتألف في المقام الأول من نقوش طويلة على ألواح من الحجر كانت تُكسى بها جدران القصور ومؤلفة من أربعة أعمدة للحروف ، وكانت تشغل الحجر أحياناً باستثناء أي منحوتة ، وأحياناً أخرى كانت تُحمل فوق زي التماثيل ، والإشارة للأعمدة الأربعة الحروف النارية والهوائية والترابية والمائية حاسم ، وكانت دائماً مقطوعة بعناية ، وكانت في حالة جيدة عموماً يسهل فهمها وقرائتها . وتأتي في المرتبة التالية من حيث الأهمية بعد هذه النصب التذكارية الأسطوانات المجوفة ، أو بعبارة أكثر دقة ، المنشورات السداسية أو المثمنة ورسومها الهندسية العظيمة ، المصنوعة من اللازورد الحراري الرقيق للغاية والذي يشكل لغزاً حتى اليوم بسبب التكنولوجيا التي مكنتهم من التلاعب بالمعادن الثمينة بهذا الشكل ، والتي اعتاد الملوك الآشوريون وضعها في زوايا المعابد الإيزيدية ، والتي نُقشت عليها سرد لأهم أعمالهم والعديد من الأدعية الدينية . وتتراوح ارتفاعات هذه

الأسطوانات من قدم ونصف إلى ثلاثة أقدام ، وهي مغطاة بشكل وثيق بكتابات صغيرة ، والتي غالباً ما تتطلب عدسة مكبرة جيدة لفك شفرتها . تحتوي أسطوانة تغلث فلاصر الأول (حوالي 1180 قبل الميلاد) على ثلاثين سطراً في مساحة ست بوصات كلها أسرار كونية عظيمة ، أو خمسة أسطر في البوصة ، وهو ما يقرب من نفس درجة القرب من نوع الكتاب الحالي . وتتجاوز هذه الدرجة من القرب أسطوانة آشور بانيبال (حوالي 660 قبل الميلاد) ، حيث تكون الأسطر ستة في البوصة ، أو قريبة من بعضها البعض مثل نوع كتاب إدنبرة ريفيو . وإذا أخذنا في الاعتبار تعقيد الحروف الآشورية ، وإذا تذكرنا أن النقش بأكمله كان مطبوعاً باليد بكل سهولة ، فيجب السماح لهذا الصغر بأن يكون مفاجئاً للغاية لاسيما وان التكنولجيا المستخدمة فيه تسمى في عالمنا المعاصر النانو . تكنولوجي . إنه ليس مناسباً للقراءة إلاّ بعد إستخدام العدسات أو المكروسكوبات الدقيقة ، ولقد اختبر صبر علماء الكتابة المسمارية اختباراً شديداً من خلال أسلوب الكتابة الذي يضحي بكل شيء من أجل الرغبة في حشر أكبر قدر ممكن من الكلمات في أصغر مساحة ممكنة . ولكن من ناحية أخرى ، يُستعان بسهولة القراءة ، لأن النقوش على الأسطوانات لا تُكتب في خطوط متصلة حول جميع الجوانب ، بل تُكتب في أعمدة ، كل عمود يشغل جانباً. وبالتالي تكون السطور قصيرة إلى حد معقول ، وتظهر الجملة بأكملها أمام العين في الحال ..

وإلى جانب الألواح والأسطوانات ، تتألف النصب التذكارية المكتوبة في آشور من ثيران وأسود منقوشة ، ومسلات حجرية ، وألواح من الأحجار الكريمة ، ولازورد نقي ، وأختام محفورة على العقيق الأحمر .

وتشبه الأختام المصنوعة من الصفيح عموماً أختام الكلدانيين ، التي تتشابه معها كثيراً ، ولكنها أكثر تفصيلاً إلى حد ما ، وأكثر تنوعاً في طابعها . فهي لا تظهر في كثير من الأحيان أي كتابة ؛ ولكن من حين لآخر يُنقش عليها اسم صاحبها ، وفي حالات قليلة تظهر نقشاً بطول معين . والألواح والنقوش كثيرة وغريبة . وهي بأحجام مختلفة ، تتراوح من تسع بوصات طولاً وست بوصات ونصف العرض ، إلى بوصة ونصف الطول وبوصة واحدة عرضاً ، أو حتى أقل من ذلك . وفي بعض الأحيان تكون مغطاة بالكامل بالكتابة وفي بعض الأحيان تظهر على جزء من سطحها آثار أختام ورموز أسطورية وما شابه ذلك . وقد تم العثور على بضعة آلاف منها ، وقد وجد أنها ذات طابع متنوع للغاية . وكثير منها تاريخي ، وأكثر أسطوري ، إن هذه المسلات هي منجم لا يزال يعمل فيه القليل من الناس ، وقد يستخرج منه الباحثون الصبورون الحذرون ذات يوم أثمن الكنوز الأدبية . أما المسلات الحجرية فهي قليلة ، ومعظمها في حالة مجزأة . وهناك مسلة واحدة فقط مثالية . المسلة المصنوعة من الحجر الأسود والذي لا يزال غامضاً في خواصه ، التي اكتشفها السيد لايارد في نمرود ، والتي ظلت الآن في المتحف البريطاني لسنوات عديدة . وقد نحتت هذه المسلة على كل جانب من جوانبها الأربعة ، ونقشت عليها كتابة ، ونحتت على الجانب الآخر

نقوش بارزة ورسوم هندسية سرّية كما تبدو . ويبلغ ارتفاعها نحو سبعة أقدام ، وعرضها قدمين عند القاعدة ، وتتناقص تدريجياً نحو القمة ، التي تعلوها ثلاث درجات منخفضة ، إن النقش الذي يشغل الجزء العلوي والسفلي من كل جانب ، والذي يحمل أيضاً على طول المسافات بين النقوش البارزة ، يتكون من 210 خطوط محفورة بوضوح ، وهو أحد أهم الوثائق التي وصلت إلينا . إنه يروي انتصارات مختلفة حققها الملك الذي أنشأه ، والجزية التي جلبها له العديد من الأمراء . الأسود والثيران المنقوشة كثيرة . وعادة ما تحرس بوابات القصور ، وترتفع بشكل بارز على ألواح من المرمر . لا تخترق الكتابة غالبًا المنحوتة ، ولكنها تغطي كل تلك الأجزاء من الألواح التي لا يشغلها الحيوان . إنه عادة سرد كامل لبعض الحملات الخاصة ، التي تم الاحتفال بها على وجه الخصوص ، مع إعطاء تفاصيل ما يتم التعبير عنه بشكل أكثر إيجازاً في نقوش المسلة واللوح ..

إن هذا الاستعراض لمختلف أنواع الوثائق التي اكتشفت في المدن الآشورية القديمة ، يبدو أنه يظهر أن مادتين كانتا مستخدمتين بشكل رئيسي بين الناس لأغراض أدبية ، وهما اللازورد والعقيق . وكان الملوك يستخدمون الحجر الأسود الغامض على نحو شائع في الأسرار الحكومية الكبرى ، وإن كانوا في بعض الأحيان يتنازلون عن استخدام المادة الأكثر خشونة وهشاشة لأغراض خاصة . وكان الأفراد في معاملاتهم التجارية ، والأدباء والعلماء في مؤلفاتهم ، يستخدمون مواد أخرى كما يبدو وخاصة المرمر الذي كان من الممكن الكتابة عليه بسرعة باستخدام أداة مثلثة الشكل ، وكان بلا شك أرخص كثيراً من ألواح اللازورد الناعم ، التي كانت مفضلة للنقوش الملكية . وكانت الوثائق الغرانيتية عندما كانت مطلوبة للتعليم أو كدليل ، تحضّر بعناية ، ولهذا السبب فقد وصلت إلينا ، على الرغم من هشاشتها ، في كثير من الأحيان في حالة واضحة وقابلة للقراءة ، وكانت الحروف واضحة وحادة

ولكن هل كان الآشوريون يستخدمون مواد أخرى أيضاً ؟ ألم يكتبوا بالحبر على الورق أو الجلد أو الرق ؟ من المؤكد أنهم اخترعوا نوعاً من الورق السميك قبل قرون عديدة من ظهور القوة الآشورية في النحت على المعادن الثمينة ، ومن المؤكد أيضاً أن الملوك الآشوريين اللاحقين كانوا على علاقة بهذا النوع من طرق الكتابة . وفي ظل هذه الظروف ، هل نستطيع أن نفترض أنهم لم يستوردوا الورق أو يصنعوه ؟ ومرة أخرى ، قيل لنا إن المصريين استخدموا الورق في سجلاتهم العامة . أليس الآشوريون شعباً أكثر براعة ؟ وربما فعلوا الشيء نفسه ، على الأقل إلى حد ما ؟ لا يوجد دليل مباشر يمكن من خلاله الإجابة على هذه الأسئلة بشكل حاسم لكن ما يُجمع عليه مترجمي الألواح والنقوش أن آشور كانت تتفوق على مصر في كل شيء تقريباً . ولم يتم العثور على أي وثيقة حول أي من المواد المقترحة التي تثبت تفوق مصر على آشور في أي مجال من مجالات البحث . ولا يذكر أي مؤلف قديم أن الآشوريين أو البابليين استخدموا هذه المواد الرديئة مثل الورق المستخدم في مصر وباقي أماكن العالم القديم ولولا دليل غير مباشر واحد ،

لكان من المؤكد تقريباً أن الأجناس الرافدينية لم تستخدمها . ولكن في بعض القصور الملكية ، عُثر على نتوءات صغيرة من ورق البردي الناعم ، تحمل آثار أختام ، وتظهر آثار الخيوط التي كانت تُربط بها بالوثائق بطريقة محكمة موضوع في زجاجات تقاوم كل أنواع الدمار ودرجات الحرارة العالية ، في حين أن الوثائق نفسها ، لأنها مصنوعة من مادة مختلفة ، قد هلكت . ويبدو من المحتمل أنه في هذه الحالات كانت مادة ما مثل الورق أو الرق هي المستخدمة ، وبالتالي فإننا نستنتج أنه بينما كان اللازورد هو المادة الأكثر شيوعاً في الاستخدامات الملكية ، والحجر الكريم مادة كتابة عادية بين الآشوريين ، كانت هناك مادة ثالثة ، ربما الورق المصري ، كانت معروفة أيضاً ، وكانت تستخدم أحياناً وإن كان نادراً إلى حد ما ، للوثائق العامة ..

إن عدد الحروف الآشورية كبير للغاية . ففي عام 1851 نشر السير هـ. رولينسون قائمة تضم 216 حرفاً ، أو 366 حرفاً ، بما في ذلك المتغيرات ، كما وردت في النقوش التي يعرفها . وفي عام 1858 قدم م. أوبييت شكلاً باعتبارها الأكثر استخداماً . وبطبيعة الحال ، من الواضح أن هذا الأبجدية لا يمكن أن تمثل الأصوات الأولية . فالحروف الآشورية لا تتوافق في الواقع مع الحروف لأن فيها الكثير من الأشكال الهندسية التي تقابل كل حرف ، وفقًا لمفهومنا عن الحروف ، بل مع المقاطع أيضاً . وهذه المقاطع إما أن تكون مجرد أصوات حروف العلة ، كما تمثلها بالحروف المتحركة والثنائيات الصوتية ، أو أصوات مصحوبة بحرف أو حرفين ساكنين . والحروف المتحركة ليست كثيرة جداً . ولا يعترف الآشوريون إلا بثلاثة فقط باعتبارها أساسية أ و إي و أو وإلى جانب هذه الحروف المتحركة لديهم الثنائيات الصوتية على التوالي ف ، و، وي ، لها أيضاً قوى صوتية مضخمة أو تلك الحروف المتحرّكة آو، و، وي ، مثل كلمتي داوو، و كلمة ووي ..

الكلمات الأخيرة ربما لا يفهمها إلاّ المتحدثين بلغة آكد وبابل وآشور وهي كلمات تعبر عن الأسف من حدوث شيء ما سلبي ، ومن هذه الأصوات ، الممزوجة بالحروف المتحركة البسيطة ، يأتي نظام المقاطع الآشوري ، الذي تم تعيين الحروف إليه ، وليس للحروف الساكنة نفسها . أولاً، نظراً لأن كل حرف ساكن قادر على تكوين تركيبتين مع كل حرف متحرك بسيط ، فقد ينتج بشكل طبيعي ستة مقاطع بسيطة ، هذا هو أول وأبسط نظام نطقي ، لكن النظام الآشوري لا يتوقف عند هذا الحد . فهو يشرع في الجمع مع كل صوت حرف علة بسيط حرفين ساكنين ، أحدهما يسبق الحرف العلة والآخر يليه . وإذا تم اتباع هذه الخطة إلى أقصى حد ممكن ، فستكون النتيجة إضافة إلى النظام النطقي سبعمائة وثمانية وستين صوتاً ، لكل منها طابعها الخاص ، مما يرفع عدد الحروف إلى ما بين ثمانمائة وتسعمائة ! ومن حسن حظ الطالب أن القوانين الصوتية وأسباباً أخرى تدخلت لكبح هذا الترف الشديد ، والتركيبات من هذا النوع التي نعرف وجودها ، بدلاً من أن تصل إلى الحد الكامل وهو سبعمائة وثمانية وستين ،

فهي أقل من مائة وخمسين . ومع ذلك ، فإن الأبجدية الآشورية المعروفة قد ارتفعت بهذه الطريقة من ثمانين ، أو بما في ذلك المتغيرات ، مائة ، إلى ما بين مائتين وأربعين ومائتين وخمسين حرفاً ..

وأخيراً ، هناك عدد معين من الحروف التي أطلق عليها الأيديوغراف أو الأحرف الأولى . فمعظم الآلهة ، والمدن والبلدان المختلفة ، ممثلة بمجموعة من الإسفينات ، التي يُعتقد أنها لا تتمتع بقوة صوتية حقيقية ، بل إنها علامة تقليدية لفكرة ما ، تماماً كما أن الأرقام العربية ، 1، 2، 3، إلخ، هي علامات غير صوتية تمثل الأفكار ، واحد، اثنان ، ثلاثة، إلخ . والحروف المعروفة من هذا الوصف تتراوح بين عشرين وثلاثين حرفاً . وبالتالي فإن الحروف الآشورية المعروفة تصل إلى ما يقرب من ثلاثمائة حرف ! ولا يزال هناك عدد كبير إما غير معروف تماماً ، أو معروف معناه ، بينما لا يمكن تحديد القيمة الصوتية له في الوقت الحاضر . ويحتوي كتالوج م. أوبيرت على أربعة عشر حرفاً من الفئة الأولى وتسعة وخمسين من الفئة الثانية . وقد لوحظ بالفعل أن الأدلة الأثرية تتفق مع الاعتقاد التقليدي فيما يتعلق بطبيعة اللغة الآشورية ، التي لا لبس فيها أنها سامية . إن المفردات لا تقدم تشابهات ثابتة مع اللهجات السامية الأخرى فحسب ، بل إن القوانين الصوتية والأشكال النحوية هي من هذا النوع أيضاً وفي الوقت نفسه ، تتمتع اللغة بخصائص خاصة بها ، تميزها عن اللغات الأخرى المشابهة لها ، وتشكل شكلاً مميزاً من أشكال الكلام الآكادي ، وليس مجرد تنوع لأي شكل معروف . إنها ليست أوغاريتية ولا عربية ولا فينيقية ولا كلدانية ولا سريانية ، بل هي لغة شقيقة لهذه اللغات ، لها بعض التشابهات مع كل منها ، وبعض التشابهات ، بدرجة أكبر أو أقل ، مع كل منها . وعلى العموم ، يبدو أن أقرب علاقة هي العبرية التي أخذت منها أغلب مناهجها ، وأعظم انحراف لها عن الآرامية أو السريانية ، التي كانت على اتصال مباشر بها محلياً ..

إن محاولة تقديم أي شيء يشبه التوضيح الكامل لهذه العبارات في هذا المكان لن تكون مناسبة على الإطلاق . بل ستكون بمثابة الخروج من اختصاص المؤرخ وعلم الآثار فالحديث عن أعظم حضارة قديمة ولغة متطورة الى درجة أنها كانت تعكي لكل حرف شكل هندسي يبدو أمراً صعباً وبحاجة لضمير نقي ليُعطي هذه الحضارة الآشورية حقها في التاريخ الإنساني الذي خطت أعظم فصوله ، ومن أجل الدخول في اختصاص عالم اللغة المقارن أو النحوي لا بد لنا من التعمق فيها الى مدى واسع . وفي الوقت نفسه ، يبدو من الضروري تقديم قدر معين من التوضيح ، من أجل إظهار أن العبارات المذكورة أعلاه ليست مجرد نظريات ، بل لها أساس قوي شكل تطوراً لشعب وصل أعلى درجات الدقة في إستخدام ألفاظهِ وتدوينها ..

الفصل الرابع

العمارة الآشورية

إن ترف الآشوريين وروعتهم والمستوى المتقدم للفنون بينهم الذي تشير إليه هذه الكلمات كانت أموراً مألوفة لديهم وأخذها الإغريق والرومان فيما بعد ، الذين لم يكن لديهم أي دليل بصري على هذه الحقائق التي وصتهم من المهندسين والنحاتين الآشوريين الذين هاجروا للمكان وأعطوا خبراتهم ، لكنهم قبلوها بقوة تقاليد واضحة وموحدة للغاية . ونحن أكثر حظاً من الأمم القديمة الكلاسيكية ، التي لم يثبت قربها النسبي من ذلك الوقت أنها كانت مفيدة لهم ، حيث نمتلك في بقايا هذا الشعب المثير للاهتمام مجموعة كبيرة من الأدلة على هذه النقطة ، والتي على الرغم من أنها غير مكتملة في كثير من النواحي والتي تعرضت الى تعتيم واضح بشكل متعمّد ، إلا أنها تمكننا من تكوين حكم بأنفسنا على هذا الموضوع ، ونؤمن على أسس أفضل من تلك التي امتلكوها بالعبقرية الفنية والإبداع المتعدد الأشكال لدى الآشوريين الذين أجمع العلماء ومترجمي المخطوطات على عظمتهم . فمن الواضح أنهم كمهندسين معماريين ، ومصممين ، ونحاتين ، وعلماء معادن ، ونقّاشين ، وعمال تنجيد ، وعمال في العاج ، ونافخي زجاج ، ومطرزين للفساتين ، كانوا يضاهون إن لم يكونوا يفوقون جميع الأمم الشرقية الأخرى . إن الغرض من هذا الفصل هو تقديم بعض التفاصيل عن مهاراتهم في هذه النواحي المختلفة . والآن أصبحنا نعرف شيئاً عنهم جميعاً ، ورغم وجود نقاط لا تزال غامضة في كل حالة ، وبالتالي يجب اللجوء إلى التخمين في بعض الأحيان ، إلا أن ما يبدو كافياً لتبرير مثل هذه المحاولة الحالية ، وتوفير أساس متين من الحقائق القيمة في حد ذاتها ، حتى لو لم يكن كافيًا لدعم أي قدر كبير من البنية الفوقية الافتراضية إن هندسة الآشوريين ستجذب انتباهنا بشكل طبيعي في البداية . فمن خلال فحص مبانيهم استمدنا كل المعرفة التي نمتلكها تقريباً عن تقدمهم في كل فن ، علاوة على ذلك ، فقد تمتعوا دائمًا بسمعة خاصة بين جيرانهم كمهندسين معماريين . لقد اتحد الأرمن مع التقليد اليوناني في تصوير الآشوريين باعتبارهم بناة بارزين في وقت مبكر جداً وإستعانوا بهم في مطلع بزوغ فجر نهضتهم كشعوب . عندما خرج آشور من أرض شنعار ، كان ذلك لبناء المدن ، والتي يطلق على إحداها صراحةً (مدينة عظيمة) . وعندما اضطر الأرمن إلى تقديم تقرير عن القصور وغيرها من المباني الضخمة في بلادهم ، نسبوا تشييدها إلى الآشوريين دون حرج . وعلى نحو مماثل ، عندما سعى اليونانيون إلى تتبع حضارة آسيا إلى مصدرها ، أعادوها إلى نينوس

وسميراميس ، اللذين اعتبروهما مؤسسي نينوى وبابل ، المدينتين الرئيسيتين في العالم المبكر على التوالي ولا ينكر اليونانيون لليوم أن عظمة إنجازاتهم المعمارية في فن النحت وبناء المدن يعود الفضل بها للآشوريين ..

إن القصور الآشورية تحتل المرتبة الأولى بين الأعمال المعمارية التي أنجزها الآشوريون . فهم أقل تديناً أو أكثر خضوعاً من المصريين والإغريق ، ولذا فإنهم يجعلون معابدهم راقية ومبهجة بالمقارنة بمساكن ملوكهم لهذا ركز العلماء الغربيين على إستخراج آثار تلك المعابد الشمسانية ونقلها للعالم ، والتي كان المعبد في أغلب الأحيان ملحقاً بها . وفي القصر يبلغ فنهم ذروته . حيث يبذلون كل جهد ممكن ، ويزينون كل شيء . وإذا ما نظرنا إلى هندسة القصور الآشورية بالكامل ، فلن يكون هناك ما يكفي من الكلام عن مبانيهم الأخرى لقد كان القصر الآشوري قائماً على منصة اصطناعية . وكانت هذه المنصة تتألف عادة من الرخام والمرمر الفاخر الذي كان يخفف من حرارة الشمس في طبقات منتظمة ؛ ولكن في بعض الأحيان كانت المادة المستخدمة عبارة عن حجارة أو حطام حجارة البريليوم الشهيرة التي نتجت عن إصطدام أحد قمري الأرض بها لهذا كانت مقدّسة بالنسبة لهم ، باستثناء الأجزاء المكشوفة . الجوانب والسطح التي كانت دائماً إما من الحجارة العادية أو الحجر الفاخر المقاوم لظروف الطبيعة . في أغلب الأحوال كانت الجوانب محمية بحجارة ضخمة ، محمولة بشكل عمودي من الأرض الطبيعية إلى ارتفاع يتجاوز قليلاً ارتفاع المنصة ، وإما أن تكون مسطحة في الأعلى أو متوجة بأسوار حجرية مقطوعة إلى منحدرات . يتكون الرصيف من جزء من ألواح حجرية ، وجزء من حجارة جبال مقلوب بحجم كبير، غالباً ما يصل إلى قدمين مربعين . كانت الألواح الحجرية منقوشة أحياناً بطريقة مذهلة ، وأحياناً مزخرفة بنمط أنيق لا يمكن لأحد أن يضاهيه في العصر الحديث . في بعض الأحيان كان يتم تقسيم التراس إلى أجزاء على ارتفاعات مختلفة ، والتي كانت متصلة بواسطة سلالم أو مستويات مائلة . كان التراس يتصل بنفس الطريقة بالأرض المستوية عند قاعدته ، حيث يتم (كما هو محتمل) أحياناً الصعود في مكان واحد ، وأحياناً في عدة أماكن . كانت هذه الصعودات دائماً على الجانب الذي يجاور فيه القصر المدينة المجاورة ، وبالتالي كانت محمية

من الهجوم المعادي بأسوار المدينة . حيث كان القصر يلامس الجدران أو يبرز خارجها وكان القصر دائماً يقع على حافة المدينة ، من أجل الميزة المزدوجة ، ربما ، من الرؤية الواضحة والهواء النقي كانت المنصة ترتفع بشكل عمودي أو تقريباً ؛ وعادة ما توجد حماية مائية ، نهر ، خندق ، أو بحيرة واسعة ، عند قاعدتها ، مما يجعل الهجوم ، باستثناء جانب المدينة ، مستحيلاً تقريباً يبدو أن المنصة كانت في شكلها العام مستطيلة ، أو حيث كانت لها ارتفاعات مختلفة ، كانت تتكون من مستطيلات . يشبه تل خورساباد ، الذي يتسم بهذا الطابع الأخير ، تلاً عملاقًا ، ولم يفهم البريطانيون والأوربيون بشكل عام لماذا أخفى الآشوريون كنوزهم في تلال خارج نينوى بطريقة مشفرة ، وجرت

تساؤلات كثيرة حول معرفتهم العميقة بالفلك التي كانت ترشدهم الى حدوث كارثة تتطلب نقل العلوم على حجارة من اللازورد الخالص والألماس والعقيق بطريقة مذهلة للحديث عن حضارتهم للأجيال ..

ويبدو أن المنصة كانت في شكلها العام مستطيلة الشكل ، أو كانت تتألف من مستطيلات حيث كانت لها ارتفاعات مختلفة . وتشبه تلة خورساباد ، التي تتخذ هذا الشكل الأخير على شكل عموداً عملاقًا ولكن لا ينبغي لنا أن نفترض أن المستطيل كان دقيقاً دائماً . ففي بعض الأحيان كان مخططها ينكسر بسبب النتوءات الزاوية والخطوط المسننة للحجارة والمرمر الفاخر ، كما في الخطة حيث تمثل الأجزاء المظللة اكتشافات حقيقية وفي بعض الأحيان أصبح غير منتظم ، بسبب إضافة أجزاء جديدة ، حيث نشأ ملوك جدد قرروا تشييد هياكل جديدة . وهذا هو الحال في نمرود ، حيث تتسع المنصة نحو نهايتها السفلية أو الجنوبية ، وأكثر من ذلك في تل كوجك ونبي يونس ، حيث طغى مفهوم الشكل المستطيل لدرجة أنه اختفى تماماً تقريباً. وكانت القصور تُبنى عادةً بالقرب من إحدى حواف التلة وخاصة بالقرب من حافة النهر ربما للاستمتاع بشكل أفضل بالمنظر والهواء البارد فوق الماء .

كان القصر نفسه يتألف من ثلاثة عناصر رئيسية ، وهي الساحات والقاعات الكبرى والشقق الخاصة الصغيرة . وعادة ما يحتوي القصر على من ساحتين إلى أربع ساحات ، إما مربعة أو مستطيلة ، وتختلف في الحجم وفقاً للمقياس العام للمبنى . وفي القصر الشمالي الغربي في نمرود، وهو أقدم المباني التي تم استكشافها حتى الآن ، تم العثور على ساحة واحدة فقط، تبلغ أبعادها 120 قدمًا في 90 قدماً . وفي خورساباد ، يحتوي قصر سرجون على أربع ساحات ، ثلاثة منها مربعة تقريبًا، وأكبرها يبلغ قياسها 180 قدماً في كل اتجاه ، وأصغرها حوالي 120 قدماً ، والرابعة مستطيلة الشكل ، ولا بد أن طولها كان 250 قدمًا على الأقل وعرضها 150 قدماً . إن قصر سنحاريب في تل كوجك ، وهو مبنى أكبر كثيراً من قصر سرجون ، يحتوي أيضاً على ثلاث ساحات ، يبلغ طولها على التوالي 93 قدماً وعرضها 84 قدماً ، و124 قدماً وعرضها 90 قدماً ، و154 قدماً وعرضها 125 قدماً . أما قصر أسرحدون في نمرود فيحتوي على ساحة يبلغ طولها 220 قدماً وعرضها 100 قدم . وقد رُصفت كل هذه الساحات إما بالمرمر الفاخر ذي الحجم الكبير ، أو بألواح حجرية ، والتي كانت غالباً ما تكون منقوشة وتعكس علماً عميقاً عند الآشوريين في دراسة الحجارة وأشكالها ومدة مقاومتها للطقس والتغييرات البيئية . وفي بعض الأحيان كانت الساحات محاطة بالمباني الفاخرة ، وفي بعض الأحيان كانت تلامس حافة المنصة وفي هذه الحالة الأخيرة كانت الساحات محمية بحاجز حجري رهيب ، كان ارتفاعه (في بعض الأماكن على الأقل) ستة أقدام ..

إن القاعات الفخمة في القصور الآشورية تشكل السمة الأبرز فيها. فكل قصر يتألف عادة من عدة قاعات . وهي عبارة عن شقق ضيقة الطول ، يتراوح عرضها بين ثلاثة إلى خمسة أمثال عرضها ، وبالتالي فإنها تبدو وكأنها أروقة .

والحجم الذي بنيت عليه هذه الشقق فخم في العادة . ففي قصر آشور-إزيد-بال في نمرود ، وهو أقدم المباني المكتشفة ، كان طول القاعة الكبرى 160 قدماً وعرضها نحو 40 قدماً . وفي قصر سرجون في خورساباد لم يكن حجم أي غرفة مفردة بهذا القدر من الضخامة ، ولكن عدد القاعات كان لافتاً للنظر ، إذ لم يكن هناك أقل من خمس قاعات بأبعاد متساوية تقريباً . وكان طول أكبرها 116 قدماً وعرضها 33 قدماً ، وكان طول أصغرها 87 قدماً وعرضها 25 قدماً . وكان قصر سنحاريب في تل كوجك يحتوي على أكبر شقة تم اكتشافها حتى الآن . وكانت تقع مباشرة داخل البوابة الكبرى ، وكان طولها 180 قدماً وعرضها موحداً أربعين قدماً . ولم تكن هناك محاولة لتجاوز هذا العرض إلا في حالة واحدة ، على حد ما يبدو . ففي قصر أسرحدون بن سنحاريب ، صُمِّمَت قاعة بحيث تتجاوز كل القاعات السابقة . وكان من المقرر أن يبلغ طولها 165 قدماً وعرضها 62 قدماً ، وبالتالي كانت لتكون أكبر بنحو الثلث من قاعة سنحاريب الكبرى ، ومساحتها تتجاوز 10000 قدم مربع . ولكن يبدو أن البنّاء الذي صمم هذا البناء الفخم لم يتمكن من التغلب على صعوبة حمل سقف فوق مساحة شاسعة كهذه . ولذلك اضطر إلى تقسيم قاعته بجدار في المنتصف ، ورغم أنه حطمه بطريقة غير عادية إلى أجزاء ، وأبقى على مسافة ما من طرفي الشقة ، إلا أنه كان له التأثير الفعلي المتمثل في تقسيم غرفته الكبرى إلى أربع شقق متوسطة الحجم فقط . وكانت القاعات مرصوفة بالمرمر الفاخر لمقاومة الشمس .

كانت هذه الجدران مزخرفة بالمنحوتات المعقدة ، التي أصبحت مألوفة لنا الآن ، والتي كانت تُحمل في الغالب في صف واحد ، ولكن أحياناً في صفين ، حول الجدران الأربعة للشقة . كانت الألواح المنحوتة تستقر على الأرض ، وتغطي الجدران بارتفاع 10 أو 12 قدمًا . وفي الأعلى، لمساحة لا يمكننا تحديدها بشكل قاطع ، ولكنها لم تكن أقل من أربعة أو خمسة أقدام ، كان الجدار المصنوع من المرمر الفاخر ممتداً ، ومواجهاً هنا بالبنوع من الحجارة الصلدة المطلية بالمينا على الجانب باتجاه الشقة ، والذي كان ملوناً بشكل مبهج وأحياناً حتى بشكل لامع . 10 ربما كان ارتفاع الجدران بالكامل يتراوح بين 15 و20 قدماً ..

وعلى جانبي القاعات أو عند نهاياتها ، وعند فتحها عليها ، أو تجمعها في بعض الأحيان في مجموعات ، دون وجود قاعة قريبة منها ، توجد غرف أصغر حجماً سبق ذكرها . وهذه الغرف مستطيلة الشكل في كل الأحوال وتتراوح أبعادها من مربعات إلى مستطيلات ضيقة . 90 قدمًا في 17 ، و85 في 16، و80 في 15، وما إلى ذلك . وعندما تكون مربعة ، لا يزيد جانبها أبداً عن 25 قدمًا . وغالباً ما تكون مزخرفة بشكل غني مثل القاعات ، ولكنها أحياناً تكون مكسوة بألواح عادية أو مطلية بالجص ، وفي بعض الأحيان لا يكون لها أي واجهة على الإطلاق ، ولكنها تظهر في جميع أنحاء الغرانيت والمرمر الفاخرين . ومع ذلك ، هذا أمر غير معتاد عدد الغرف في

القصر كبير جداً . في قصر سنحاريب في تل كوجك ، حيث لا يزال جزء كبير من المبنى غير مستكشف بسبب تشفير جزء من القصر من خلال رسوم وتعاويذ تمنع الإقتراب منه ، يبلغ عدد الغرف المحفورة ثمانية وستين غرفة كلها، كما تذكر النقوش المستخرجة من المكان في الطابق الأرضي ، إن المساحة التي تغطيها هذه المباني وجدرانها تتجاوز أربعين ألف ياردة مربعة ، وكما لاحظ السيد فيرجسون ، فإن قصر سنحاريب الإمبراطوري لا يفوقه في الحجم من بين كل مباني العصور القديمة وعندما نفكر في اتساع التل الذي بني عليه ، وثراء الزخارف التي زين بها ، يكون من غير الواضح على الإطلاق أنه لم يكن عظيماً ، أو على الأقل باهظ الثمن الى درجة لا يمكن تخيلها ، مثل القصر العظيم الذي بني عليه معبد طيبة وفي أماكن أخرى ، كانت الشقق التي تم التنقيب عنها أقل عدداً ، ولكن ليس من المحتمل على الإطلاق أن يحتوي القصر في طابقه الأرضي على أقل من أربعين أو خمسين غرفة ..

إن أكثر ما يميز مخططات القصور هو اعتمادها خطوطاً مستقيمة ومتوازية بشكل موحد . فلا يظهر أي مخطط منحنى من أي نوع ، أو أي زاوية سوى الزاوية القائمة . والساحات والغرف والقاعات في أغلب الأحوال مستطيلات دقيقة ، وحتى عندما يحدث أي تنوع ، فإنه لا يتم إلا من خلال إدخال التجاويف أو النتوءات المربعة ، والتي هي ضحلة ونادرة . وعندما يكون للقصر منصته الخاصة ، تكون خطوط المبنى موازية تماماً لخطوط التل الذي يقع عليه ، ويمتد التوازي إلى أي مبانٍ منفصلة أخرى قد تكون في أي مكان على المنصة . وعندما يشغل التل أكثر من قصر واحد ، فإن هذا القانون ينطبق أحياناً ، كما في نمرود، حيث يبدو أنه يضم على أي حال العدد الأكبر من القصور في بعض الأحيان ، كما في تل كوجك ، يتوقف تطبيق القاعدة ، ويبدو أن مخطط كل قصر قد تشكل بشكل منفصل ومستقل ، دون الرجوع إلى أي مبنى مجاور . وبصرف النظر عن هذه الميزة ، لا تؤثر المباني على الكثير من الانتظام . في الساحات والواجهات ، هناك تطابق إلى حد ما ، ولكن في الترتيبات الداخلية ، يكون الانتظام استثناءً واضحاً . لا يتطابق جانبا المبنى أبداً ، لا تقابل الغرفة غرفة أبداً ، نادراً ما تكون الأبواب في منتصف الجدران ، حيث تحتوي الغرف على عدة أبواب ، نادراً ما تكون متقابلة مع بعضها البعض ، أو في المواقف المتوافقة على الإطلاق . هناك حرج كبير في الاتصالات . يوجد عدد قليل جداً من الممرات أو الممرات في أي من المباني ، مجموعات من الغرف ، غالبًا ما تصل إلى عشرة أو اثنتي عشرة ، مفتوحة على بعضها البعض ، ونجد عدداً قليلاً نسبياً من الغرف التي يوجد أي وصول إليها إلا من خلال بعض الغرف الأخرى . مرة أخرى، توجد أحياناً مجموعات كاملة من الشقق ، والتي يتم قطع أي اتصال بينها وبين بقية القصر بجدران سميكة ومن بين السمات الغريبة الأخرى في الترتيبات الداخلية عدد الأبواب في الشقق الأكبر حجماً ، وتضاعفها على ما يبدو بشكل عجيب . فنجد باستمرار بابين أو حتى ثلاثة أبواب تؤدي من فناء إلى قاعة ، أو من قاعة إلى قاعة ثانية وذات يوم سأل لايارد

سؤالاً حيث قال .. من الصعب أن نتصور ما الذي يمكن أن نكسبه من مثل هذا الترتيب ؟ لكن ترسيم المباني بشكل هندسة خفية مقدّسة لا يفهمها الغربيون عند الدولة السومرية ..

لقد كانت الهندسة الخفيّة أساساً مهماً من أسس بناء المعابد الايزيدية والقصور الملكية في بابل وآشور ، وكان من الصعب على الغربي أن يفهم هذا الأمر لا سيما وأن أغلب المعابد تعكس علوم خفية لم يكن يسمحون للعامة بالإطلاع عليها فما بالنا بالغرباء والمستكشفين أو الباحثين عن الآثار من أجل جمع الثروات المادية ..

إن ترتيب الأجزاء المختلفة من القصر من المحتمل أن يكون أفضل من خلال وصف دقيق لمبنى واحد بدلاً من أي بيانات عامة أخرى . ولهذا الغرض من الضروري اختيار عينة من بين المباني المختلفة التي تم نبشها بواسطة أعمال الحفر الحديثة . يجب أن تكون العينة كاملة ، إذا أمكن ذلك ، ويجب أن تكون قد تم مسحها بدقة ، ويجب أن يكون المسح قد تم تسجيله علمياً ، ويجب أن تكون العينة منفردة ومنفصلة ، حتى لا يكون هناك خطر الخلط بين بقاياها وبقايا المباني المجاورة . هذه المتطلبات ، على الرغم من عدم الوفاء بها في أي مكان بالضبط ، إلا أنها تكاد تتحقق في المبنى في خورساباد ، والذي يقف على تلة خاصة به ، غير مختلطة بمباني أخرى ، وقد تم فحصه بعناية فائقة ، وتم تمثيله ووصفه بشكل رائع ، والذي، على الرغم من أنه لم يتم التنقيب عنه بالكامل ، فقد تم التنقيب عنه بشكل أقرب إلى الاكتمال من أي مبنى آخر في آشور . وبناء على ذلك سيتم اختيار مبنى خورساباد الذي يعتقد أنه قصر بناه سرجون بن سنحاريب للوصف الدقيق في هذا المكان ، باعتباره القصر الذي يتمتع بظروف مواتية ، والذي لدينا عنه، في المجمل ، المعرفة الأكثر اكتمالا ودقة ..

كان على الزائر الذي يقترب من القصر أن يمر أولاً عبر هذه البوابات . كانت مزينة بثيران ضخمة برؤوس بشرية على كلا الجانبين ، وربما كانت ممتدة بقوس أعلاها كان الآشوريون يطلقون عليه بـ قوس النصر ، وكانت الأقواس مغطاة بالنوع الراقي للمرمر الأبيض النقي الموضوع في نمط معين لا يمكن تقليده . وعند دخول الزائر إلى البوابات ، وجد نفسه أمام جدار طويل من البناء الحجري الصلب ، وهو غطاء الشرفة السفلية ، التي ارتفعت من الفناء الخارجي إلى ارتفاع لا يقل عن عشرين قدماً . لا بد أن يكون هناك طريق مائل أو مجموعة من الدرجات ربما الأخيرة قد أدت من الفناء الخارجي إلى هذه الشرفة . هنا وجد الزائر بوابة أخرى أو بروبيليوم ذات طابع رائع . في منتصف الطريق في الجانب الجنوبي الشرقي من الشرفة السفلية ، وعلى بعد حوالي خمسين قدماً من حافتها ، كان هناك هذا البناء الفخم ، وكانت البوابة بعرض تسعين قدماً ، وعمق خمسة وعشرين قدماً على الأقل ، وكان على كل جانب ثلاثة ثيران مجنحة ذات حجم هائل ، اثنان منها يبلغ ارتفاعهما خمسة عشر قدماً ، والثالث تسعة عشر قدماً . بين الثورين الصغيرين ، اللذين كانا متجاورين ، يعرضان جانبيهما للمشاهد ، كان هناك تمثال ضخم يخنق أسداً هرقل

آشور ، وفقًا لمعظم الكتاب . وقف الثيران الأكبر في زاوية قائمة على هذه التماثيل ، منسحبين داخل البوابة ، ويواجهان المشاهد . كانت المساحة بين الثيران ، التي تبلغ حوالي عشرين قدماً ، (من المحتمل) مقوسة . ربما كان القوس يؤدي إلى غرفة خلفها قوس ثانٍ وبوابة داخلية ، كما هو موضح في خطة السيد فيرجسون لكن هذا غير مؤكد في الوقت الحالي . وإلى جانب البوابة العظيمة ، فإن المباني الوحيدة التي تم اكتشافها حتى الآن على هذه المنصة السفلية هي مجموعة من الشقق غير الواسعة ، وهي تتميز بزخارفها . فالجدران ليست مبطنة بألواح ، ولا مطلية بعد (كما هي الحال أحياناً) ، ولكن الجص الذي تتكون منه مكوَّن من مجموعات من الأعمدة النصفية أو القصب ، منفصلة عن بعضها البعض بأعمدة ذات ألواح مربعة غائرة . ويوجد النوع الأول من الزخارف أيضاً في كلدانية السفلى ، وقد تم تمثيله بالفعل ، أما النوع الثاني فهو خاص بهذا المبنى . ويُقترح أن هذه الشقق كانت تشكل أماكن إقامة الجنود الذين كانوا يراقبون المقر الملكي للعاهل الآشوري ..

يبدو أن الشرفة العلوية قد بدأت على بعد حوالي 300 قدم من الحافة الخارجية للتراس السفلي . ربما تم رفعها على ارتفاع حوالي عشرة أقدام فوق الشرفة السفلية . لم يتم اكتشاف طريقة الوصول ، ولكن يُفترض أنها كانت من خلال مجموعة من الدرجات ، ليست مقابل البروبيليوم مباشرة ، ولكن إلى اليمين إلى حد ما ، حيث يتم الدخول إلى الفناء الكبير ، الذي يفتح البوابات الرئيسية للقصر نفسه . ربما كان طول الفناء 250 قدماً وعرضه 160 أو 170 قدماً . ربما مر الزائر ، عند صعود الدرجات ، عبر بروبيليوم آخر (ب في الخطة) ، وبعد ذلك ، إذا كان عمله مع الملك ، فإنه يعبر طول الفناء بالكامل ، تاركاً مدخلاً ثلاثياً رائعاً ، يُعتقد أنه كان يؤدي إلى حريم الملك ، على يساره ويشق طريقه إلى البوابة العامة للقصر ، والتي كانت أمامه عندما صعد الدرجات ، تشبه بوابة الحريم ، التي مر بها ، في الأساس البروبيليوم الكبير للمنصة السفلية ، ولكن لكونها ثلاثية ، كانت أكثر روعة حيث عرضت مدخلين آخرين على جانبي المدخل الرئيسي ، يحرس كل منهما زوج واحد من الثيران المجنحة ذات الحجم الأصغر . وعلى طول جدار الحريم ، من المدخل إلى زاوية الفناء ، كان هناك صف من النقوش البارزة المنحوتة ، يبلغ ارتفاعها عشرة أقدام ، تمثل الملك مع حراسه وضباطه المرافقين . وكانت الواجهة التي تشغل نهاية الفناء أقل روعة . وكانت المنحوتات المشابهة لتلك الموجودة على طول جدار الحريم تزينها ؛ لكن مركزها أظهر بوابة واحدة فقط ، يحرسها زوج واحد من الثيران الأكبر حجماً ، أمام المتفرج، ويقف كل منهما في نوع من التجويف ، والذي يمكن فهم طابعه بشكل أفضل من خلال مخطط الأرض في الرسم التوضيحي . داخل الثيران مباشرة كان هناك الباب الكبير للقصر ، وهو باب واحد مصنوع من الخشب من التوت على ما يبدو يفتح للداخل ، ومثبت من الداخل بمسامير في الأسفل ، وأيضاً بقفل ضخم . كان هذا الباب يؤدي إلى ممر طوله 70 قدماً وعرضه حوالي 10 أقدام ، مرصوف بألواح حجرية

كبيرة، ومزين على كلا الجانبين بالنقوش ، وصف مزدوج من المنحوتات ، تمثل وصول الجزية والهدايا للملك . كانت جميع الشخصيات هنا تواجه اتجاهاً واحداً ، نحو فناء القصر الداخلي الذي يؤدي إليه الممر . يعتقد السيد بوتا أن الممر كان مكشوفاً ، بينما يتخيل السيد فيرجسون أنه كان مقبباً في جميع أنحائه . لا بد أنه كان مضاءاً من الأعلى على أي حال ، لأنه كان من المستحيل قراءة النقوش ، أو حتى رؤية المنحوتات ، بمجرد الضوء المسموح به من الطرفين ..

من الممر المذكور وهو أحد الممرات القليلة في المبنى لم يكن هناك باب مفتوح إما على اليمين أو على اليسار كان الزائر يتقدم بالضرورة على طول امتداده بالكامل ، حيث رأى الشخصيات تتقدم في المنحوتات ، وعندما مر عبر بوابة ثانية ، وجد نفسه في الفناء الداخلي الكبير للقصر ، وهو مربع يبلغ طوله حوالي 100 أو 160 قدماً محاطاً من جانبين الجنوب الشرقي والجنوب الغربي بالمباني ، وعلى الجانبين الآخرين يصل إلى حافة الشرفة ، والتي تطل هنا على الريف المفتوح . كانت المباني على الجانب الجنوبي الشرقي ، التي تطل على الشمال الغربي ، والتي تتصل بالبوابة التي دخل منها ، ذات أهمية ثانوية نسبياً كانت تتألف من بضع غرف مناسبة لضباط المحكمة ، وكان يتم الوصول إليها من الفناء من خلال بابين ، أحدهما على كل جانب من الممر الذي دخل منه وإلى يساره ينظر نحو الشمال الشرقي ، كانت الشقق الحكومية الكبرى الجزء الرئيسي من القصر ، وتشكل واجهة ، ربما يمكن تكوين فكرة ما عنها من التمثيل . والجزء العلوي من هذا التمثيل هو في الواقع تخميني بحت وعندما نأتي إلى النظر في الطريقة التي تم بها تسقيف القصور الآشورية وإضاءتها ، ربما نجد سببًا لاعتبارها ليست قريبة جداً من الحقيقة ولكن الجزء السفلي ، حتى قمة المنحوتات ، والفناء نفسه ، والملحقات المختلفة ، مُعطى بشكل صحيح ، ويوفر المنظر المنظوري الوحيد لهذا الجزء من القصر الذي تم نشره حتى الآن ..

تتألف الشقق الحكومية الكبرى من مجموعة من عشر غرف . كانت خمس من هذه الغرف عبارة عن قاعات ذات أبعاد كبيرة وكانت إحداها غرفة طويلة وضيقة إلى حد ما ، وكانت الغرف الأربع المتبقية عبارة عن شقق مربعة أو مستطيلة قليلاً ذات أهمية ثانوية . كانت جميعها مبطنة بالمنحوتات . ويبدو أن أهمها كانت ثلاث قاعات ملحقة ، وهي ، سواء في زخارفها الخارجية أو الداخلية ، الأكثر روعة في القصر بأكمله . تقع الأولى داخل الواجهة الشمالية الشرقية مباشرةً ، ومتوازية معها . يتم الدخول إليها من خلال ثلاثة أبواب ، والباب المركزي مزخرف خارجياً . مع ثورين ضخمين من أكبر الحجم ، أحدهما على كل جانب داخل المدخل ، وزوجين من الثيران الأصغر ، ظهراً لظهر ، على الأبراج البارزة والجانبان يحرسهما نسر مجنح بشري أو برأس صقر . كان طول الغرفة 116 قدماً و 6 بوصات

، وعرضها 33 قدماً . تمثل منحوتاتها الملك وهو يستقبل السجناء ، ويعاقبهم إما شخصياً أو عن طريق نائبه يمكننا أن نسميها ، من أجل التمييز ، قاعة العقاب ..

كانت القاعة الثانية موازية للأولى ، ولكنها لم تمتد على طولها بالكامل . وكان طولها من طرفها إلى طرفها حوالي 86 قدماً ، ومن جانبها إلى جانبها 21 قدماً و6 بوصات . وكان هناك بابان يؤديان إليها من الغرفة الأولى ، وبابان آخران يؤديان منها إلى شقتين كبيرتين . وكان أحدهما يتصل بقاعة جانبية ، والآخر بالقاعة الثالثة من الجناح الذي هو موضوع اهتمامنا الخاص هنا . وكانت هذه القاعة الثالثة بنفس طول الأولى ، ولكنها كانت أقل عرضاً بحوالي ثلاثة أقدام . وكانت تنفتح بثلاثة أبواب على فناء مربع، أطلق عليه اسم فناء الهيكل ، من مبنى على أحد جانبيه والذي سنصفه الآن . وكانت المنحوتات في القاعتين الثانية والثالثة تمثل في صف مزدوج ، يفصل بينهما مساحة منقوشة بعرض قدمين تقريباً ، حروب الملك ومعاركه وحصاراته واستقبال الأسرى والغنائم ، إلخ . وظهر الملك نفسه أربع مرات على الأقل واقفاً في مركبته ، وثلاث مرات في موكب هادئ ، ومرة يطلق سهامه على أعدائه . بالإضافة إلى ذلك، كانت المنحوتات العلوية على أحد الجانبين تعرض طقوساً مقدسة . وُضِعَت اثنتان أخريان بزاوية قائمة على هذا الجناح الأساسي المكون من ثلاث قاعات ، إحداهما ذات أبعاد أقل قليلاً ، إن وجدت ، من أبعاد القاعة الأكبر ، والأخرى بنفس الطول تقريباً ، ولكنها ضيقة مثل أضيق القاعات الثلاث . ومن بين هاتين القاعتين الجانبيتين ، كانت الأولى تتصل مباشرة بغرفة ممر ضيقة ، كما كانت تتصل بها من خلال ممر ضيق ..

كانت ساحة الهيكل وهي مربعة الشكل مساحتها مائة وخمسون قدماً مشغولة بالمباني من ثلاث جهات ، ومفتوحة من جهة واحدة فقط جهة الشمال الغربي وكانت الشقق الحكومية تغلقها من جهة الشمال الشرقي ، والمعبد من جهة الجنوب الغربي أما من جهة الجنوب الشرقي فقد كانت محاطة بمجموعة من المباني التي يطلق عليها في الخطة غرف الكهنة ، وهي غرف أقل تكلفاً من أي غرفة أخرى تم التنقيب عنها تقريباً . وكانت الواجهة الرئيسية هنا هي واجهة الشقق الحكومية الواقعة في الشمال الشرقي ، وعلى هذه الواجهة كما في الجانب المقابل للقصر ، كانت هناك ثلاث بوابات ، ولكن الواجهتين لم تكنا بنفس الروعة . وعلى جانب ساحة الهيكل كان هناك زوج واحد من الثيران ، يواجه المتفرج ، يحرس البوابات الوسطى ، وكانت البوابات الجانبية لا تعرض سوى تماثيل الجن ، في حين كانت المساحات بين البوابات مشغولة ، ليس بالثيران ، بل بسلسلة من التماثيل البشرية ، تشبه تلك الموجودة في الساحة الأولى أو الخارجية ، والتي سبق أن قدمنا تمثيلاً لها. كانت الواجهة الجنوبية الشرقية تتميز بخاصيتين غريبتين الأولى أنها كانت تقع في خط مستقيم تماماً ، لا يقطعه أي بروز ، وهو أمر غير معتاد في العمارة الآشورية . والثانية ، وكأنها تعوض عن هذا الرتابة في خطها الأمامي ، فقد اخترقتها خمسة أبواب على الأقل ، كلها عريضة للغاية ،

واثنان منها مزينان بثيران ، وهما الثاني والرابع . كانت ثيران البوابة الثانية أكبر حجماً ، وكانت ثيران البوابة الرابعة أصغر حجماً ، وكانت تقف بالطريقة المعتادة ، منسحبة قليلاً داخل البوابات وتنظر نحو المتفرج ..

ومن المؤسف أن بقايا المبنى الغريب الذي كان مغلقاً في الفناء على الجانب الثالث أو الجنوبي الغربي ، والذي يُعتقد أنه كان معبداً ، ضئيلة للغاية . وكان المبنى يقع بالقرب من حافة الشرفة لدرجة أن الجزء الأكبر منه سقط في السهل . ولم يتبق من مخطط الأرض سوى أقل من نصفه ، وبضعة أقدام فقط من الارتفاع . وربما كان المبنى في الأصل مربعاً ، أو ربما كان مستطيلاً ، كما هو موضح في المخطط . وكان يتم الوصول إليه من الفناء عن طريق مجموعة من الحواجز الحجرية ، ربما كان عددها ستة ، بقي منها أربعة في مكانها . وقد وُضعت هذه المجموعة من الدرجات مباشرة مقابل الباب المركزي لواجهة القصر الجنوبية الغربية . ومن مستوى الفناء ، إلى أعلى الدرجات ، بارتفاع حوالي ستة أقدام ، تم رفع منصة صلبة من الطوب الخام كأساس للمعبد ، وكان هذا في مواجهة ، ربما في جميع أنحاء امتداده ، جدار صلب من البازلت الأسود الصلب ، مزين بإفريز من الحجر الجيري الرمادي ، حيث تمثل الأشكال المصاحبة له . فوق هذا اختفى العمل الخارجي . من الداخل ، يمكن تتبع غرفتين ، أرضيتهما مزيج من الحجارة والطباشير ، وحول إحداهما توجد بعض شظايا النقوش البارزة ، التي تمثل موضوعات مقدسة ، محفورة على نفس البازلت الأسود الذي تُغطى به المنصة، وهي كافية لإثبات أن نفس أسلوب الزخرفة كان سائداً هنا كما في القصر ..

كان المدخل الرئيسي على الجانب الشمالي الغربي من فناء الهيكل متصلاً بممر ، مع مدخل آخر مشابه يفتح على فناء رابع ، وهو الأصغر والأقل زخرفة من تلك الموجودة على المنصة العلوية . ويعتقد أن كتلة المباني التي احتلت هذه الفناء مركزها كانت تشكل الحريم أو الشقق الخاصة للملك . وكانت ملاصقة للشقق الحكومية من زاويتها الشمالية ، ولكن لم يكن لها اتصال مباشر بها . وللدخول إليها من هذه الشقق ، كان على الزائر إما أن يعبر فناء الهيكل ويستمر عبر الممر المشار إليه أعلاه أو أن يدور حول المدخل الكبير ويحصل على إذن بالدخول من البوابات الكبرى على الجانب الجنوبي الغربي من الفناء الخارجي . ومن الجدير بالذكر أن هذه البوابات الأخيرة موضوعة بحيث لا تطل على فناء الحريم ، على الرغم من أنها تقع في الجهة المقابلة لها . لا بد أن الممرات التي كانوا يدخلون منها إلى تلك الساحة كانت تشكل بعض الزوايا مثل تلك التي حددتها الخطوط المنقطة في الخطة ، وكانت النتيجة أن الزوار ، أثناء مرورهم عبر الساحة الخارجية ، لن يتمكنوا من رؤية ما كان يحدث في ساحة الحريم . حتى لو كانت الأبواب العظيمة مفتوحة . أولئك الذين سُمح لهم بالدخول إلى القصر حتى ساحة الهيكل كانوا أكثر تفضيلاً أو أقل

خوفاً . يقع المدخل (د) على الجانب الجنوبي الشرقي من ساحة الحريم مقابل المدخل الرئيسي على الجانب الشمالي الغربي من ساحة الهيكل، ولا يمكن أن يكون هناك شك معقول في أن ممراً مستقيماً يربط بين الاثنين ..

إننا لا نعلم ما إذا كان فناء الحريم محاطاً بالمباني من كل جانب ، أو مفتوحاً باتجاه الجنوب الغربي . ويعتقد السيد بوتا أنه كان مفتوحاً ، ويبدو أن تشبيهه بالفضاءات الأخرى يجعل هذا محتملاً . ومع ذلك ، فمن المؤسف أن هذا الجزء من أطلال خورساباد العظيمة لا يزال غير مدروس بشكل كامل . فهو يتألف من شقق خاصة ، ومن الطبيعي أن يكون أقل ثراءاً بالمنحوتات من الأجزاء الأخرى ، ومن ثم فقد تم إهماله نسبياً . ومع ذلك ، فإن العمل الذي يجب أن يُكرس لهذا الجزء من الأطلال سيكون جيداً ، لأنه سيعطينا (ما لا نملكه الآن) مخططاً أرضياً كاملاً لقصر آشوري . ومن المأمول بشدة أن يوجه المنقبون في المستقبل جهودهم إلى هذا الهدف السهل المنال والمثير للاهتمام .

إن أعمدة أرضية القصور ، ونحو ستة عشر قدماً من ارتفاعاتها ، هي كل ما تبقى لنا من هذه الآثار الرائعة بسبب النار والزمن . إن الدمار الكامل للجزء العلوي من كل مبنى ملكي في آشور ، بالإضافة إلى عدم وجود أي تمثيل للمساكن الملكية على النقوش البارزة ، يجعلنا نكتفي بتخمينات بسيطة فيما يتعلق بارتفاعها ، والطريقة التي تم بها تسقيفها وإضاءتها، وحتى السؤال عما إذا كانت تحتوي على طابق علوي أم لا. وقد طرح أشخاص يحق لهم النظر في هذه الموضوعات وجهات نظر مختلفة ؛ ونقترح الآن توجيه انتباه القارئ إليها ..

أولاً ـ هل كان لديهم طابق علوي ؟ يقرر السيد لايارد والسيد فيرجسون هذا السؤال بالإيجاب . بل إن السيد لايارد يذهب إلى حد القول بأن هذه الحقيقة (لا يمكن الشك فيها بعد الآن) . وهو يبني استنتاجه هذا على سببين ، أولاً ، على اعتقاده بأن (الغرف العلوية) مذكورة في النقوش ، وثانياً ـ على اكتشافه هو نفسه في قصر سنحاريب في تل كوجك ما يبدو أنه طريق مائل ، يفترض من خلاله أن الصعود كان يتم إلى طابق علوي . يجب أن نضع الحجة الأولى جانباً لأنها مؤكدة تمامًا. إن تفسير النقوش المعمارية للآشوريين أمر غير مشكوك فيه أبداً في الوقت الحاضر بحيث يمكن أن يخدم كأساس يمكن أن نبني عليه نظريات بشكل صحيح فيما يتعلق بمخطط مبانيهم العظيمة . وفيما يتعلق بالممر المائل ، يجب ملاحظة أنه لم يكن يبدو أنه يؤدي إلى ما يؤدي إليه هو معبد سرّي يبدو أنه مخصص لكهنة القصر الملكي وهم من وقف خلف تصميمه وبناءه . ربما كان هذا الصعود يؤدي إلى رواق يطل على إحدى القاعات الكبرى ، أو إلى شرفة خارجية تطل على فناء خارجي ، أو ربما كان صعوداً إلى قمة برج ، حيث كان هناك برج مراقبة يطل على النهر. أليس من المرجح أن يكون هذا الصعود قد تم لغرض استثنائي ، وليس أن يكون النموذج الوحيد المتبقي من الطريقة العادية التي كان يتم بها الوصول إلى نصف القصر؟ يجب أن نتذكر أنه لم يتم العثور على أي بقايا لسلالم ، سواء كانت من الحجر أو الخشب في أي من القصور ، وأنه لا يوجد مثال آخر

في أي منها حتى لمر مائل . أولئك الذين يعتقدون أن القصور كانت بها طوابق ثانية ، يعتقدون أن هذه الطوابق كانت يتم الوصول إليها عن طريق سلالم حجرية متينة ، وضعت في أجزاء مختلفة من المباني ، والتي دمرت تمامًا بسبب الحرائق التي هلكت فيها القصور . ولكن من اللافت للنظر على الأقل أنه لم يتم العثور على أي علامات في أي جدران قائمة أو دعائم لأطراف العوارض ، أو أي شيء يوحي بوجود سلالم . ومن هنا جاء السيد بوتا الأكثر حرصاً والأكثر ..

ولقد توصل علماء الآثار الذين قاموا بالحفريات الحديثة إلى استنتاج إيجابي للغاية مفاده أن مباني خورساباد لم يكن بها طابق ثانٍ فحسب بل كان لها أكثر من طابقين ، وهو الاستنتاج الذي ربما لا يكون من الجرأة أن نطبقه على المباني الآشورية عموماً . وقد زعم السيد فيرجسون أنه لابد وأن يكون هناك طابق علوي فوق الطابق الثاني ، وإلا لكانت كل مزايا الموقع المهيمن للقصور ، التي تجلس على منصاتها العالية ، قد ضاعت . وكانت المنصة في خورساباد محمية بطريقة عجيبة وربما بفعل الحفر والإستكشاف تم تدمير أجزاء مهمة منها ، في الأماكن الوحيدة التي كُشِفَ فيها عن حوافها ، بجدار حجري أو حاجز يبلغ ارتفاعه ستة أقدام . ولو امتد هذا الحاجز على طول المنصة بالكامل لكان من شأنه أن يحجب أي احتمال للمنطقة المفتوحة ، سواء من المنصة نفسها أو من بوابات القصر ، التي تقع على نفس المستوى . كما لم يكن من الممكن أن يكون هناك أي منظر على الإطلاق من الغرف الأرضية ، التي لم يكن بها نوافذ ، على الأقل في غضون خمسة عشر قدماً من الأرضية . وللاستمتاع بإطلالة على أي شيء باستثناء الجدار الميت الذي يحيط بالتلة ، كان من الضروري (كما يعتقد السيد فيرجسون) الصعود إلى طابق ثانٍ ، والذي وضعه بذكاء ، ليس فوق الغرف الأرضية ، ولكن على قمة الجدران الخارجية والجماعية ، التي كان هيكلها ضخمًا للغاية بحيث تقل مساحتها (كما يلاحظ) قليلاً عن مساحة الغرف الأرضية نفسها ..

إن هذا المنطق يمكن الرد عليه بشكل كافٍ ، أولاً .. من خلال ملاحظة أننا نعرف أن الآشوريون يقدرون ميزة المنظر أكثر من باقي الشعوب بفعل طبيعتهم الساحرة ، وأنهم أقاموا منصات قصورهم لغرض من هذا القبيل فهم كانوا شعب الفن الهندسي النبيل والعظيم وبالتالي تنتج عن هذه الحقيقة ذوق رفيع بالإطلالات والمناظر الساحرة من شرفات قصورهم . ربما بنوها من أجل الأمن فقط لكنها كانت تمتلك إطلالات إعترف العلماء أنها تعكس ذوق نبيل وعظيم ، أو من أجل مزيد من الكرامة والعزلة . ربما كانوا يبحثون في المقام الأول عن الراحة وبنوها من أجل الاستفادة من كل نسيم ، وفي الوقت نفسه لتكون أعلى من الارتفاع الذي ترتفع إليه الطاقات الروحية والفكرية عادةً ، من البيانات الضئيلة للغاية التي قدمتها حفريات م. بوتا ، أن منصة القصر كانت على أي حال محاطة بطولها بالكامل بحاجز يبلغ ارتفاعه ستة أقدام . لا يوجد شيء أكثر احتمالاً من أن حاجز خورساباد ربما كان في

بعض الأماكن أكثر بكثير من هذا ؛ وفي أماكن أخرى لم يتم التأكد حتى من أن أي حاجز كان يحيط بالمنصة . وعلى العموم ، يبدو أننا لا نملك الحق في أن نستنتج ، لمجرد الأجزاء الكبيرة من جدار الحاجز التي كشف عنها السيد بوتا ، أن الطابق العلوي كان ضرورياً للقصور . وإذا كان الآشوريون يقدرون المنظر بهذا الذوق العظيم ، فقد يكون بوسعهم بسهولة أن يجعلوا حواجزهم منخفضة في بعض الأماكن ، وإذا كانوا لا يهتمون به إلى الحد الذي جعلهم يغلقون جميع قاعاتهم وشرفاتهم أمامه ، فربما كانوا قد استغنوا عن هذه الميزة تماماً بسبب عشقهم للفخامة والقصور الساحرة التي عجز المستكشفون عن سبر أغوار أسرارها حتى اليوم ..

إن المسألتين المتعلقتين بسقف وإضاءة القصور الآشورية مترابطتان بشكل وثيق بحيث يكون من الأفضل تناولهما معاً . كان أول تخمين نُشر بشأن موضوع السقف هو تخمين السيد فلاندين ، الذي اقترح أن الغرف بشكل عام القاعات الكبرى على الأقل كانت مسقوفة بقبو من الأحجار الكريمة التي تم نقلها الى لندن بالكامل بعد إقتلاعها من السقف ، لقد اعتقد أن ملء الشقق بالكامل إلى ارتفاع خمسة عشر أو عشرين قدمًا كان هو التفسير الأفضل لذلك ، وكان يعتقد أن هناك آثارًا للقبو المتساقط في الحطام الذي تم ملء الشقق به . وقد قاوم تخمينه ، بعد فترة وجيزة من طرحه حيث تم تسريب حقيقة نل الأحجار الكريمة الى لندن ، السيد بوتا ، الذي قدمه كرأيه أولاً.. أن جدران الغرف ، على الرغم من سمكها الكبير ، لن تكون قادرة ، بالنظر إلى مادتها ، على تحمل وزن ، و(أكثر من ذلك ، تحمل) الدفع الجانبي ، للسقف المقبب ؛ وثانياً .. أن مثل هذا السقف ، إذا كان موجوداً بهذا الشكل المقل بالأحجار الكريمة ، فلا بد أنه كان مصنوعًا من المرمر الفاخر أو الحجر الصلد لأن االحجر العادي لم يكن يتحمل ضغط كهذا وعندما سقط ، فلا بد أنه ترك آثاراً كافية له داخل الشقق ، بينما لم يتمكن من العثور على أي آثار من هذا القبيل في أي منها بسبب إقتلا ع السقف قبل تسليمة للمستكشفين ، على الرغم من بحثه . في هذه النقطة الأخيرة ، كان السيد بوتا والسيد فلاندين وكلاهما شاهد عيان على خلاف . يعتقد السيد فلاندين أنه رأى مثل هذه الآثار ، ليس فقط في العديد من الشظايا المكسورة من الأحجار الكريمة الغالية الثمن والمنتشرة في جميع الغرف ، ولكن أيضًا في كتل عرضية من أعمال الارخام والمرمر التي تحتوي في بعضها على أجزاء فعلية ، كما اعتقد ، من القبو الأصلي للأحجار الكريمة . ومع ذلك ، لاحظ السيد بوتا ، أولاً.. أن كمية الأحجار الكريمة المأخوذة داخل الغرف كانت غير كافية تماماً لسقف مقبب مما يدل على إختفاء بعضها أثناء النقل وبيعها في السوق السوداء ، وثانياً .. أن موضع كتل أعمال الأحجار الكريمة التي لاحظها السيد فلاندين كان دائماً نحو الجانبين ، وليس أبداً نحو مراكز الشقق وهذا دليل واضح على أن هذه الألواح سقطت من الجزء العلوي من الجدران فوق المنحوتات بدليل وجود قطع صغيرة منها على الأرض أخذت للمعاينة ، وليس من السقف الذي يغطي الغرفة بأكملها ، كما

لاحظ أن كمية الخشب المحروق والفحم داخل الغرف ، والمظهر المحروق لجميع الألواح الغرانيتية ، كانت ظواهر لا تتفق مع أي نظرية أخرى غير نظرية تدمير القصر بسبب حريق سقف مصنوع في الأساس من مادة صعبة ، وقد ثبت بالفعل أن البريطانيون بعد إقتلاعهم للأحجار الكريمة والمرمر الفاخر قاموا بحرق كميات هائلة من الكبريت تبقى تحترق لأطول فترة ممكنة لكي يبدو للزائر أن القصر تعرض لحريق نتيجة حرب ..

إن هذه الحجج التي ساقها السيد بوتا يمكن أن نضيف إليها حجة أخرى ، وهي أن يكون الآشوريون قد بلغوا من التقدم ما يكفي في علم العمارة حتى يتمكنوا من بناء قوس بعرض كافٍ لتغطية بعض الغرف أو حتى القصر نفسه إن مبدأ القوس كان معروفاً لدى الآشوريين وقد تم تدمير قوس النصر الآشوري بفعل فاعل ، كما سنرى فيما بعد ، ولكننا لا نملك حتى الآن أي دليل على أنهم كانوا قادرين على تطبيقه على نطاق واسع . إن أوسع قوس تم العثور عليه في أي من المباني هو قوس بوابة مدينة خورساباد الذي اكتشفه السيد بليس وهو كان قوساً فخماً إستغرق تدميره ونقل حجارته ما يقارب الثلاث سنوات ، والذي يمتد على مساحة (على الأكثر) أربعة أو خمسة كيلومترات في قياسات عصرنا الحديث ناهيك عن ضخامة الحجارة التي وضعت ألف علامة إستفهام حول كيفية رفع هذه الكتل العملاقة في الهواء في عصر لم يكن لهُ تقنيات متطورة . ولكن القاعات الكبرى في القصور الآشورية يبلغ عرضها مائة وعشرون الى مائتي متر تقريباً . ومن المؤكد على أي حال أنهُ كانت المهارة الإنشائية التي يتمتع بها مهندسوهم المعماريون قد نجحت في التغلب على صعوبة بناء قبو يمتد على مسافة واسعة مثل أصغر هذه القباب المخروطية العجيبة في المكان . وبعد أن اعترض السيد بوتا ، بقوة كبيرة بالتأكيد ، على نظرية السيد فلاندين ، شرع في اقتراح نظرية خاصة به . وبعد مراجعة جميع الظروف بعناية ، أبدى رأيه بأن مبنى خورساباد كان مسقوفاً بالكامل بسقف مسطح مغطى بالمرمر الخالص النقي ، ولاحظ أن بعض المباني الموجودة على النقوش البارزة كانت ذات أسقف مسطحة ، وأن الأسقف المسطحة لا تزال من الموضة في البلاد ، وأن الحطام داخل الغرف كان من النوع الذي من المحتمل أن ينتجه سقف من هذا النوع ، إذا دمره الحريق فلن تكون هناك أية شكوك حول نزع المرمر أو أي مادة كانت تغلف هذه السقوف ومن ثم حرقها . كما لاحظ أنه تم اكتشاف بكرات حجرية على أرضيات الغرف ، في أجزاء مختلفة من القصر ، تشبه إلى حد كبير تلك التي لا تزال تستخدم في الموصل وبغداد ، للحفاظ على السطح الغرانيتي لمثل هذه الأسقف مضغوطًا وصلباً ، ومن المرجح أن تكون هذه البكرات قد استخدمت لنفس الغرض من قبل الآشوريين ، ولأنها بقيت على الأسطح ، فقد سقطت أثناء الحريق الذي إفتعله الإنكليز بالكبريت ..

كانت الصعوبة الأولى التي واجهتنا هنا واحدة من أكثر الصعوبات التي اعتبرت قاتلة لنظرية القبو ، ألا وهي عرض الغرف . حيث تسود الأسقف الحجرية المقوّسة في الشرق ، يبدو أن امتدادها لا يتجاوز خمسة وعشرين

قدماً ، وبالتالي ، لا شك أن الغرف العادية في القصور الآشورية كان من الممكن أن تكون مسقوفة بهذه الطريقة ، بسلسلة من الفاصوليا الأفقية الموضوعة عبرها من جانب إلى جانب ، مع وضع الأطراف على قمم الجدران الجانبية ، لكن القاعات الكبرى بدت واسعة جداً بحيث لا تتحمل مثل هذا السقف دون دعم . وبناءاً على ذلك، اقترح السيد بوتس أنه في الشقق الأكبر كان هناك صف واحد أو صفان من الأعمدة يمتدان في المنتصف ، ويصلان إلى السقف ويدعمانه . وقد تبنى السيد فيرجسون نظريته بعد ذلك بحرارة ، حيث سعى إلى الإشارة إلى الموقع الدقيق للأعمدة في القاعات الكبرى الثلاث في سرجون في خورس آباد . ولكن يبدو أن هناك اعتراضاً قوياً وقاتلاً تقريباً على هذه النظرية ، وهو أنه لم يتم العثور على أي قواعد لأعمدة داخل الشقق ، ولا أي علامات على الأرضيات المصنوعة من المرمر لهذه القواعد أو ضغط الأعمدة . ويذكر السيد بوتا أنه قام ببحث دقيق عن قواعد أو علامات لأعمدة على رصف القاعة الشمالية الشرقية في خورساباد ، لكنه فشل تمامًا في اكتشاف أي منها . وهذا الدليل السلبي أكثر وضوحاً حيث تم العثور على قواعد أعمدة حجرية في أبواب واسعة ، حيث كانت أقل ضرورة من الغرف ، حيث لم يكن للأعمدة في الأبواب سوى وزن ضئيل لتحمله ..

يقترح السيد بوتا والسيد فيرجسون، اللذان يفترضان أنه في قصر آشوري كان المبنى بأكمله مسقوفاً ، ولم تُترك سوى الساحات مفتوحة للسماء ، طريقتين مختلفتين للغاية لإضاءة المباني . يجلب السيد بوتا الضوء من السقف بواسطة فتحات خشبية ، مثل تلك التي لا تزال تستخدم لهذا الغرض في أرمينيا وأجزاء من الهند ، والتي يعطي عنها التمثيل الذي تم إعادة إنتاجه . يقدم السيد فيرجسون الضوء من الجانبين ، بافتراض أن السقف لم يرتكز مباشرة على الجدران ، ولكن على صفوف من الأعمدة الحجرية الموضوعة على طول حافة الجدران داخلياً تجاه الشقق وخارجياً تجاه الهواء الخارجي . يبدو أن الأساس الوحيد لهذا الافتراض ، وهو ذو طابع مذهل للغاية ، هو حدوث ما يُعتبر ترتيباً مشابهاً في نقش بارز واحد يمثل مدينة في أرمينيا . ولكن يجب ملاحظة أن الجزء السفلي من المبنى ، المرسوم مقابلاً ، لا يحمل أي تشابه على الإطلاق مع نفس الجزء من القصر الآشوري ، حيث تسود فيه خطوط عمودية ، بينما في القصور الآشورية ، كانت الألوان السفلية أفقية بالكامل تقريباً ، وأنه ليس من المؤكد حتى أن الجزء العلوي ، حيث تقع الأعمدة ، هو ترتيب للسماح بدخول الضوء ، لأنه قد يكون مجرد زخرفة أو ديكور متفوق للغاية يعكس ذوق رفيع لشعب إمتدت خبراته في هذا المجال لثلاثة آلاف عام قبل بناء تلك القصور ..

إن الصعوبات المرتبطة بكل نظرية من نظريات التسقيف والإضاءة التي تضع القصر الآشوري بأكمله تحت الغطاء ، دفعت البعض إلى اقتراح أن النظام المتبع بالفعل في الشقق الأكبر هو النظام الجوفي الذي يُعتقد عموماً أنه ساد في المعابد البابلية ونقلت فيما بعد من آشور الى اليونان والرومان والذي لا شك أنه كان متبعاً في المنزل الروماني العادي ، كان السيد لايارد أول من طرح وجهة النظر القائلة بأن القاعات الأكبر ، على أي حال ، كانت مكشوفة ، حيث كان هناك حافة بارزة ، بعرض كافٍ لتوفير المأوى والظل ، يتم حملها حول الجوانب الأربعة للشقة بينما يظل المركز مفتوحاً للسماء . الاعتراضات المقدمة على هذا الرأي هي .. أولاً ، أنه كان من الممكن السماح بدخول قدر كبير جداً من الحرارة والضوء إلى القصر ، ثانياً ، أنه في موسم الأمطار كان من الممكن أن تهطل كميات كبيرة جداً من الأمطار مما يسبب الراحة ، وثالثاً ، أن رصف القاعات ، كونه من المرمر أو الأحجار الكريمة كان يجعل المكان أكثر إندماجاً مع الطبيعة الجوية . وإذا لم نتخلص من هذه الاعتراضات ، فإنها سوف تخفف إلى حد كبير على أي حال إذا افترضنا أن السقف كان يمتد إلى ثلثي أو ثلاثة أرباع الشقة ، وأن الفتحة كانت ضيقة نسبيا . وقد نفترض أيضا أنه في الأيام شديدة السطوع والأيام شديدة الأمطار كانت السجاد أو المظلات الأخرى ممتدة عبر الفتحة ، مما وفر دفاعاً مقبولاً ضد الطقس . وعلى العموم ، يبدو أن اختيارنا يقع . فيما يتصل بالقاعات الكبرى بين هذه النظرية الخاصة بالطريقة التي تم بها تسقيفها وإضاءتها ، وافتراض تراجع عنه علماء الآثار حتى الآن ، وهو أن هذه القاعات كانت تمتد من جانب إلى آخر بواسطة عوارض خشبية إذا تذكرنا أن الآشوريين لم يكتفوا بالأخشاب المنتجة في بلادهم ، بل اعتادوا قطع الأخشاب من غابات المناطق البعيدة ، مثل غابات أمانوس وحرمون ولبنان ، والتي نقلوها إلى نينوى ، فربما لا نتصور أنه من المقبول أن يتمكنوا من إنجاز عمل تسقيف حتى الغرف التي يبلغ عرضها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ياردة بهذه الطريقة البسيطة . ويلاحظ السيد لايارد أن الغرف التي تساوي تقريباً عرض القاعات الآشورية مغطاة حتى يومنا هذا بعوارض خشبية موضوعة أفقياً من جانب إلى آخر في العديد من أجزاء بلاد ما بين النهرين ، على الرغم من أن الخشب الوحيد المستخدم هو الخشب الذي توفره أشجار النخيل والحور المحلية . ألا يمكن أن يكون المهندسون المعماريون الآشوريون قد حققوا المزيد بهذه الطريقة ، حيث كانت تحت تصرفهم أشجار التنوب والأرز العالية في المناطق المذكورة أعلاه ؟

كان من المتوقع أن الصعوبات المتعلقة بالسقوف والإضاءة الآشورية والتي استدعت هذه المناقشة الطويلة كانت لتتلقى التوضيح ، أو حتى الحل ، من أشكال المباني التي تظهر بشكل متكرر على النقوش البارزة . ولكن لم نجد أن هذه هي النتيجة الفعلية . نادراً ما تكون الأشكال آشورية ، لأنها تظهر بشكل شائع في المنحوتات التي تمثل الحملات الأجنبية للملوك ، ولديها مظهر تقليدي إلى حد كبير ، كونها متشابهة تقريباً ، أياً كان البلد الذي يتعرض

للهجوم . في الحالات القليلة التي يوجد فيها أساس لاعتبار المبنى محلياً وليس أجنبياً ، فإنه لا يكون قصراً أبداً ، بل ينتمي إما إلى العمارة المقدسة أو العمارة المنزلية . وبالتالي فإن التمثيلات الضخمة للمباني الآشورية التي وصلت إلينا ، تلقي القليل من الضوء أو لا تلقي أي ضوء على بناء قصورهم . ومع ذلك، نظراً لأنها لها مصلحة خاصة بها ، وستعمل إلى حد ما على توضيح العمارة المنزلية والمقدسة للشعب ، فسوف نقدم هنا بعضاً من أكثرها إثارة للاهتمام ..

إن التماثيل المكتشفة مأخوذ من لوح حجري في خورساباد . وهو موضوع على قمة تل ، ويعتبره السيد بوتا مذبحاً دينياً شمسانياً أو مزار مقدّس . والتماثيل الثانية مأخوذ من نفس اللوح الحجري توحي بعبادة الشمس والقمر عند الآشوريين . وقد أطلق عليه اسم (مقصورة الصيد) ولكنه على الأرجح معبد صغير لأن القباب المخروطية الثلاث كانت مهدمة وآثار دمارها بادية على أنها مفتعلة لكن تمثال للإله سن (شيسن) ، لأنه يحمل قدراً كبيراً من التشابه مع التماثيل الأخرى التي لا شك أنها معابد للشمس التي كانت تغطي رسمتها أعلى أبواب المعابد تلك ، كما هو الحال (على وجه الخصوص) في تمثال العين الصفراء المأخوذ من حجر اللورد أبردين الأسود ، هو بالتأكيد معبد أو على الأرجح كان مكاناً للتعميد لأنه يرافقه كاهن وشجرة مقدسة وثور للتضحية . ويُعتقد أيضاً أن الايزيديون كانوا يعمدون بعض أنصارهم هناك . وهو أقدم من أي من المعابد الأخرى في المكان ، حيث تم أخذه من لوح حجري ينتمي إلى القصر الشمالي الغربي في نمرود ، وهو ملحوظ من نواح عديدة . أولاً ، إن الافتقار إلى التماثل أمر غريب وغير عادي . إن قصور الملوك الآشوريين غير منتظمة ، ولكن لا يوجد في أغلب الأحيان نقص في الانتظام في مبانيهم المقدسة . والعينتان اللتان أشير إليهما كدليل على ذلك ؛ وبقايا المعابد الفعلية الموجودة تتفق مع المنحوتات المذكورة هنا على وجه الخصوص تؤكد انها تقاليد ايزيدية شمسانية . إن معبد أشور بانيبال هو معبد ذو طابع ايزيدي أكثر تفصيلاً . وهو من منحوتات آشور بانيبال نفسه ، ابن أسرحدون ، ويمتلك العديد من السمات ذات الأهمية الكبيرة والرسومات الهندسية التي وجدت في لالش قبل إكتشافها في النقوش الآشورية . إن جسم المعبد عبارة عن هيكل عمودي وقبّة مخروطية لا يبنيها سوى الايزيديون في المنطقة ، يظهر في كل زاوية عموداً عريضاً يعلوه تاج مكون من مجموعتين من الحلزونات الموضوعة واحدة فوق الأخرى وفيها نقوش لريش الطاوس وأسدين محيطين بهرم القدسية الايزيدية . بين العمودين يوجد عمودان يرتكزان على قواعد مستديرة غير عادية ، ويتوجان بتاجين لا يختلفان عن تيجان الملوك . ربما كنا لنفترض أن القواعد مجرد خيال من النحات ، لولا وجود دليل مستقل على استخدام الآشوريين لقواعد الأعمدة المستديرة واللقباب المخروطية لمعابدهم . اكتشف السيد لايارد في تل كوجك مجموعة من القواعد الدائرية التي جعلته يتأكد من أنها تعود للايزيديون في المنطقة ، وقد قدم التمثيل الذي تم تصويره

الى أكثر من رجل دين ايزيدي وشرح لهُ مضمونه وأسباب بناءه بهذه الطريقة . يبدو أنها تشكل جزءاً من خط مزدوج من الأشياء المتشابهة ، تمتد من حافة المنصة إلى مدخل القصر ، وربما (كما يقترح السيد لايارد) تدعم الأعمدة الاحجرية لطريق مغطى يتم الوصول منه إلى القصر من هذا الجانب . فوق الأعمدة ، يعرض المعبد إفريزاً أو جداراً بارزاً بشكل كبير ، وينتهي في الأعلى بصف من المنحدرات ، على أحد جانبي هذا المبنى الرئيسي توجد غرفة صغيرة أو مصلى ، مكتملة أيضاً بزخارف منحوتة من نقوش ايزيدية وعلى جدارها تمثال لملك يقف في إطار من نوع مقوس في الأعلى ، يؤدي طريق مباشرة إلى هذا اللوح الملكي ، وفي هذا الطريق على مسافة صغيرة من الملك يقف مذبح ، يشغل المعبد قمة تل مغطى بأشجار من نوعين مختلفين ، وترويه الجداول الصغيرة. على اليمين توجد (حديقة معلقة) ، تم رفعها بشكل مصطنع إلى مستوى المعبد بواسطة البناء المدعوم على رواق ، القوس المستخدم هنا ليس القوس المستدير بل القوس المدبب . للأسف ، إنه غير كامل للغاية ، حيث فقد الجزء العلوي بالكامل . ومع ذلك ، حتى في حالته المشوهة الحالية ، فإنه يمثل إلى حد بعيد المبنى الأكثر روعة الذي تم العثور عليه حتى الآن على النقوش البارزة .

إن الواجهة كما هي الآن تعرض أربعة أعمدة عريضة وأربعة أعمدة ، متناوبة في أزواج ، باستثناء الأعمدة التي تشغل كلا الزاويتين ، كما هو الحال في المعابد الايزيدية الأصغر . وفي حالتين ، تم نحت قاعدة العمود على شكل ثور مجنح ، يشبه إلى حد كبير الثيران التي كانت تحرس عادة البوابات الخارجية للقصور . وفي الحالتين الأخريين ، كانت القاعدة بسيطة وهو جزء من الإهمال ، على الأرجح ، من جانب الفنان . تعرض الأعمدة الأربعة جميعها قاعدة مستديرة ، تشبه إلى حد كبير قاعدة الأعمدة في لالش ، وإن لم تكن تشبهها تماماً ، وهذه القاعدة المستديرة في كل حالة ترتكز على ظهر أسد يمشي ، ربما كنا لنتخيل أن هذه الآشورية كانت مجرد أداة خيالية أو أسطورية من ابتكار الفنان لكن إتضح فيما بعد على يد مستكشفين آخرين أنها موجودة عند الايزيديين قبل انتشارها في بابل وآشور ، على قدم المساواة مع التماثيل في آمادين (العمادية) ونمرود حيث تقف الشخصيات ، المفترض أنها آلهة آشورية ، على ظهور حيوانات تشبه الاسود المجنحة أو كائنات من عالم تجاوزي . ولكن يبدو أن أحد الاكتشافات المعمارية التي توصل إليها السيد بليس تجعل من الممكن ، أو حتى من المحتمل ، أن تكون هناك سمة حقيقية في البناء الآشوري ممثلة هنا في بناء المعابد الايزيدية . فقد وجد السيد بليس أن قوس بوابة المدينة الذي استخرجه من خورساباد ينبع من ظهري ثورين كانا يحرسانه على جانبيه وفوقه نيشان للشمس وآخر للقمر يتوسطهما طير الطاوس وبالتالي فإن الأسود عند قاعدة الأعمدة قد تكون أشكالاً معمارية حقيقية ، فضلاً عن الثيران المجنحة التي تدعم الأعمدة . كان الأسد بلا شك حيواناً مقدساً عند الايزيديين ، يرمز إلى القوة الإلهية ، وكان مخصصاً بشكل خاص لناسردين ،

مارس الآشوري ، إله الحرب والصيد في نفس الوقت . وكان تقديمه على الواجهات الخارجية للمباني أمراً شائعاً في آسيا الصغرى ولكن لم يحدث أي مثال آخر على جعله يدعم عموداً وقد وجد نفس البناء والتصميم في وان وآمد (دير بكر) ، باستثناء ما يسمى بالعمارة البيزنطية في شمال إيطاليا التي أخذت من الآشوريين أغلب تفاصيل فنها الهندسي . يقدم لنا هذا النقش نوعاً آخر من المعابد الآشورية الإيزيدية التي كانت أكثر تطوراً عن تلك التي شوهدت في سنجار ومحيطها ، أو ربما ينبغي أن يقال بالأحرى عن سمة أخرى من سمات المعابد الآشورية الإيزيدية المشتركة بينها وبين المعابد البابلية الإيزيدية ، البرج أو الزقورة أو القباب المخروطية . ويبدو أن هذا كان يُبنى دائماً على مراحل ، والتي ربما كانت تختلف في العدد ومع ذلك ، لم تتجاوز أبداً سبع مراحل ، على حد ما يبدو ، والذي هو من نقش بارز عُثر عليه في تل كوجك ، أربع مراحل بوضوح ، كانت أعلبها ، بسبب تدمير الجزء العلوي من اللوح ، غير كاملة . ليس من غير المحتمل أنه في هذه الحالة كان هناك فوق المرحلة الرابعة مرحلة خامسة ، تتكون من ضريح مثل ذلك الذي توج معبد ايزيدا العظيم في بابل . إذن ، كان الارتفاع الكامل ليكون تقريباً كما في الميزات التالية جديرة بالملاحظة في هذا المعبد . إن الطابق السفلي مزين بألواح خشبية ذات تجاويف مستطيلة مسننة ، كما كانت الحال في نمرود وبابل ، أما بقية الطوابق فهي بسيطة ، كما هي الحال في أغلب طوابق معبد إيزيدا وحتى التجويف الثاني من هذه التجاويف المربعة على كلا الجانبين يمتد ما يبدو أنه طريق أو مسار ، ينجرف إلى أسفل التل حيث يقف المعبد في منحنى جريء ، وكل مسار يتطابق عن كثب مع الآخر . والمبنى بأكمله متماثل تماماً ، باستثناء أن الألواح الخشبية ليست موحدة العرض تمامًا ولا مرتبة بشكل منتظم. وفي الطابق الثاني ، في المنتصف تماماً ، يوجد على ما يبدو مدخل ، وعلى جانبيه دعامة ضحلة أو عمود. وفي وسط الطابق الثالث ، فوق مدخل الطابق الثاني تماماً ، توجد كوة مربعة الشكل . ويمكن رؤية باب مربع الشكل يقع تحت جدار مسنن ، بين برجين مسننين أيضاً . من الغريب أن المسارات لا تؤدي إلى البروبيلايا ، ولكن يمكن رؤيتها وهي تنحني حول التل ..

وقد اكتُشِفَت بقايا زقورات مشابهة لهذه في خورساباد تعتيلها قباب مخروطية ، وفي نمرود ، وفي كالح الشرقاط ، وبعشيقة ، وبحزاني ، وعين سوفني . وقد وجد أن التل المخروطي في خورساباد الذي استكشفه السيد بليس يحتوي على برج من سبع طبقات ، أما تل نمرود ، الذي يعتبر من الأشياء البارزة في السهل ، والذي فحصه السيد لايارد بعناية ، فلم يقدم أي دليل إيجابي على وجود أكثر من طبقة واحدة لكنه وجد نقوشاً ايزيدية نقلها معه الى لندن ومن ضمنها نقش الطاوس بسبعة طبقات ، ولكن من شكل التل المخروطي ، ومن التشبيه العام لمثل هذه الأبراج ، يُعتقد أنه كان يحتوي على عدة طبقات ويجعل السيد لايارد عدد الطبقات خمس طبقات ، ويتوج الطبقة الخامسة ببرج دائري ينتهي بإفريز ثقيل ، ولكن لا يوجد أي دليل على هذا الأخير سوى النقوش التي نقلها معه ، والعدد

الفعلي للطبقات غير مؤكد تماماً . كانت قاعدة هذه الزقورة مربعة الشكل ، طول كل منها 167 قدماً وست بوصات وجدت في معبد شيخالي شمسا في عين سوفني وتلها ، وتتكون من كتلة صلبة الحجر العادي المجفف بالشمس بعد إقتلاع حجارتها الأصلية ، ويواجهها من الأسفل إلى ارتفاع عشرين قدماً جدار من الحجارة المنحوتة ، يزيد سمكه على ثمانية أقدام ونصف . كانت الحجارة الخارجية مشطوفة عند الحواف ، وعلى الجانبين الأكثر وضوحاً كان الجدار مزيناً بسلسلة من التجاويف الضحلة المرتبة دون الكثير من الاهتمام بالانتظام . كان الجانبان الآخران ، أحدهما يلامس تل القصر ويخفيه ، بينما كان الجانب الآخر يواجه المدينة ، وكانا خاليين تماماً في الجزء العلوي من البناء الحجري كان هناك صف من المنحدرات ، مثل تلك التي غالباً ما يتم تصويرها في المنحوتات على أنها تتوج المبنى . فوق البناء الحجري ، استمر البرج بنفس العرض تقريباً ، حيث تم استبدال غلاف الحجر ببساطة بآخر من الطوب المحروق بسمك أقل . ومن المفترض أن المراحل العليا تم بناؤها بنفس الطريقة . وبما أن الارتفاع الحالي الفعلي للأطلال هو 140 قدماً ، وأن المراحل العليا قد انهارت بالكامل ، فمن الصعب أن نفترض أن الارتفاع الأصلي انخفض كثيراً عن 200 قدم ، لكن من يشاهد المعابد الايزيدية اليوم وكيفية وقوفها على تلال قسمت الى أربعة مستويات لا يشك أنها كانت زقورات تعتليها القباب المخروطية وتعبر عن حقيقة أن هناك من إقتلع حجارة هذه الزقورات وشوّه معالمها ..

كان أكثر الاكتشافات غرابة أثناء فحص هذا المبنى هو وجود نوع من الغرف أو الرواق في داخله ، وما زال الغرض الحقيقي منه غير واضح تماماً . كان طول هذا الرواق مائة قدم وارتفاعه اثني عشر قدماً وعرضه لا يزيد عن ستة أقدام . كان مقوساً أو مقبباً في الأعلى ، وكانت الجدران الجانبية والقبو من الطوب المجفف بالشمس . كان موقعه في منتصف المسافة تماماً بين وجهي البرج الشمالي والجنوبي ، وكان موازياً لهما ، وكان ارتفاعه في البرج بحيث كانت أرضيته على مستوى قمة البناء الحجري تماماً ، والذي كان أيضًا على مستوى الشرفة أو المنصة التي كانت تقع عليها قصور نمرود . لم يكن هناك أي أثر لأي طريقة كان من المفترض أن يتم بها الدخول إلى الرواق ، ولم تظهر على جدرانه أي علامات على النقوش أو النحت أو أي زخرفة أخرى ، ولم يتم العثور على أي شيء على الإطلاق فيه . ولقد اعتقد السيد لايارد ، الذي استحوذ عليه رأي مستمد من عدة ملاحظات مربكة في الكتاب الكلاسيكيين الذين كتبوا عن الموضوع ، أن البرج كان نصباً تذكارياً أو نيشاناً من النواشين المقدسة الايزيدية ، وأن الرواق كان القبر الذي وُضِع فيه في الأصل (جثمان الملك المحنط) . ولتفسير اختفاء الجثمان تماماً ، ليس فقط ، بل وجميع الزخارف والأواني التي كانت شائعة في مقابر بلاد ما بين النهرين لها نفس المعاني ، اقترح أن الرواق كان قد تعرض للنهب في أوقات طويلة قبل زيارته ، واعتقد أنه وجد آثاراً ، داخلياً وخارجياً ، للنفق الذي دخل منه . ولكن من

المؤكد أنه إذا كان المقصود من هذا القبو الطويل الضيق استقبال جثمان ، فقد تم تشكيله بشكل غير عادي لهذا الغرض . وأي غرفة قبر أخرى في أي مكان بهذا الطول الهائل ؟ ودون أن نتظاهر بقول ما كان الغرض الحقيقي من الرواق ، يمكننا أن نشعر بثقة مقبولة في أنه لم يكن قبراً . كان المبنى الذي يحتويه عبارة عن برج معبد ، ومن غير المرجح أن تسمح المشاعر الدينية للآشوريين باستخدام مبنى ديني لهذا الغرض النفعي ..

وإلى جانب الزقورة أو القباب المخروطية ، التي ربما كانت تعلوها عادة كنيسة أو ضريح ، كان المعبد الإيزيدي يحتوي دوماً على عدد من الغرف السفلية ، وفي إحداها كان الضريح الرئيسي للإله شيسن . وكان هذا الضريح عبارة عن تجويف مربع أو مستطيل قليلاً في نهاية شقة مستطيلة ، مرتفعة قليلاً عن مستواها ، وكان يُرصَّف (أحياناً ، إن لم يكن دائماً) ببلاطة واحدة ، كان وزنها في بعض الأحيان يصل إلى ثلاثين طناً . وكان هناك خزانة أو خزانتان صغيرتان تنفتحان من الضريح ، ومن المرجح أن الكهنة كانوا يحتفظون فيها بالملابس الكهنوتية الإيزيدية وأواني التضحية التي كانت من الذهب وعند بعض المعابد من النحاس الأحمر الخالص ، وفي بعض الأحيان كان يتم الوصول إلى زنزانة المعبد أو الغرفة التي يفتح إليها الضريح من خلال شقة أخرى أو غرفة مقوّسة ، وهو ما يتوافق مع المدخل البابلي . وفي مثل هذه الحالة ، يبدو أنه كان يتم توخي الحذر في ترتيب الأبواب الخارجية والداخلية للدهليز بحيث لا يتمكن الأشخاص الذين يمرون عبر الباب الخارجي من إلقاء نظرة على الضريح . حيث لم يكن هناك دهليز ، يبدو أن المدخل إلى زنزانة المعبد أو جسمه كان يوضع على الجانب ، بدلاً من النهاية ، ربما بنفس الغرض . بالإضافة إلى هذه الأجزاء الرئيسية من المعبد ، يوجد دائماً عدد معين من الغرف ، والتي يبدو أنها كانت شققاً للكهنة كانت زخرفة المعابد ، وفقاً للعينات القليلة المتبقية ، مشابهة جداً لزخرفة القصور . كانت البوابات العظيمة محروسة بثيران أو أسود ضخمة ، مصحوبة بالشخصيات المقدسة المعتادة ، وأحياناً مغطاة بالنقوش . تم تزيين المداخل وبعض أجزاء الغرف بألواح منحوتة معتادة ، تمثل هنا فقط الموضوعات الدينية . ومع ذلك ، لم يتم تغطية نسبة كبيرة من الداخل بهذه الطريقة، حيث كانت الجدران عموماً مغطاة بالجص ثم مطلية بأشكال أو أنماط . خارجياً ، تم استخدام الطوب المينا كديكور حيث لم تخف الألواح المنحوتة الطوب الخام ..

إن الشكوك والصعوبات المعقولة تحيط بموضوعات تسقيف المعابد الايزيدية وإضاءتها بالفتائل الزيتية بقيت مسألة قابلة للبحث الدائم ، مثل تلك التي ناقشناها بالفعل فيما يتصل بالقصور . ورغم أن امتداد غرف المعابد أقل من امتداد قاعات القصر الكبرى ، إلا أنه كبير ، ويتجاوز أحياناً ثلاثين قدماً . ويبدو أنه لم يتم بذل أي جهد للحفاظ على غرف المعابد ضيقة بل كان يجري توسيعها بشكل هندسي مدروس ، لأن عرضها يصل أحياناً إلى ثلثي طولها . ولعل هذا هو السبب الذي جعلها مغطاة بطبقة من االمرمر الأبيض ، مثل معابد البابليين تماماً . ويبدو أن كل ما

يبدو مؤكداً هو أن الأسقف التي كانت لديهم كانت من الحجر الأبيض المستخرج من المكان نفسه ، والذي كان في نمرود من حجارة جبل مقلوب . أما عن العمارة المنزلية للآشوريين فليس لدينا أي عينة على الإطلاق سوى انها بيوت آرامية الطراز وكانت تبنى بسقوف حجرية مقوّسة تحتوي على الكثير من الخزائن في طرف السقف . وقد اقتصرت أعمال التنقيب حتى الآن على الأجزاء الأكثر ارتفاعاً من التلال التي تميز مواقع المدن ، حيث من المرجح أن يتم العثور على بقايا ذات أهمية أكبر . ولقد شهدت القصور والمعابد والبوابات العظيمة التي كانت تفتح أبواب المدن النور بهذه الطريقة ؛ ولكن المباني الأكثر تواضعاً ، والمساكن العادية التي كان يسكنها الناس ، ظلت مدفونة تحت التربة ، ولم يتم استكشافها أو حتى البحث عنها . وفي ظل هذا النقيض الكامل في أي عينة فعلية من المنازل الآشورية العادية ، فإننا نلجأ بطبيعة الحال إلى التمثيلات المنحوتة التي كانت وفيرة للغاية والتي تمثل أنواعاً مختلفة من المشاهد. ولكن حتى هنا، لا نحصل إلا على القليل من الضوء . فأغلب الألواح تعرض حروب الملوك في البلدان الأجنبية ، وبالتالي تضع أمامنا العمارة الأجنبية بدلاً من العمارة الآشورية أما الألواح التي كانت تقام في موكب ، والتي تشكل فئة كبيرة أخرى ، فنادراً ما تحتوي على أي مبنى على الإطلاق ، وحيثما توفر مبنى ، فإنها تعرض لنا معبداً بدلاً من منزل . أما مشاهد الصيد ، التي تمثل البراري البعيدة عن مساكن الإنسان ، فلا تقدم لنا أي مساعدة ، كما قد نتوقع . وبالتالي فإن المباني الآشورية ، بخلاف المعابد ، نادراً ما توضع أمامنا . وفي إحدى الحالات ، لدينا بالفعل مدينة آشورية يمر بها عدو أجنبي ، ولكن المباني الوحيدة التي تم تمثيلها هي الجدران والأبراج الخارجية ، والمعبد الذي ترتكز أعمدته على أسود . وفي مثال آخر يبدو لنا أن لدينا قرية آشورية غير محصنة ، ومن هذه العينة الوحيدة نضطر إلى تكوين أفكارنا عن الطابع العادي للمنازل الآشورية . ومن الواضح هنا ، أولاً ، أن المنازل ليس بها نوافذ ، وبالتالي ، ربما كانت مضاءة من السقف ، وثانياً ، أن الأسقف غريبة جداً ، حيث إنها، على الرغم من أنها مسطحة في بعض الحالات ، تتكون في الغالب إما من قباب نصف كروية ، مثل تلك التي لا تزال شائعة جداً في الشرق ، أو من مخاريط شديدة الانحدار وعالية ، مثل تلك التي نادراً ما تُرى في أي مكان آخر . يجد السيد لايارد موازياً لهذه الأخيرة في بعض قرى شمال سوريا ، حيث تحتوي جميع المنازل على أسقف مخروطية مبنية من الطين ، والتي تقدم مظهرًا غريبًا للغاية . من الواضح أن كل من القباب والمخاريط في المثال الآشوري بها فتحة في الأعلى ، والتي ربما سمحت بدخول أكبر قدر ممكن من الضوء إلى المنازل كما كان يُعتقد . الأبواب من نوعين ، مربعة في الأعلى ومقوسة ، وهي توضع عادة باتجاه جوانب المنازل . تبدو المنازل نفسها وكأنها تقف منفصلة ، وإن كانت متقاربة ..

إن المباني الأخرى الوحيدة التي بناها الآشوريون والتي يبدو أنها تستحق بعض الاهتمام هي الأسوار المحصنة لمدنهم . وكان أبسط هذه الأسوار يتألف من جدار واحد ذي أسوار مسننة ، يمتد في خطوط مستقيمة تقريباً أو مستقيمة على طول الجوانب الأربعة للمكان ، وتخترقه بوابات آشورية ، ويحرسه عند الزوايا ، وعند البوابات ، وعلى فترات على طول الستار أبراج بارزة ، لا ترتفع كثيراً عن الجدران ، و(على ما يبدو) مربعة الشكل . وفي المنحوتات نجد أحياناً الجدار ذي الأسوار المسننة يتكرر مرتين أو ثلاث مرات في خطوط موضوعة فوق بعضها البعض ، والقصد من ذلك هو تمثيل دفاع المدينة بجدران أو ثلاثة جدران ، كما رأينا على أحد جانبي نينوى ..

كانت الجدران في كثير من الأحيان ، إن لم يكن دائماً ، محاطة بخنادق . وكانت الجدران في كل الأحوال مبنية من الطوب الخام ، أما من الخارج فكان من الشائع أن تُبنى جدرانها بالحجارة المنحوتة ، إما من أعلى إلى أسفل ، أو على الأقل إلى ارتفاع معين . وفي خورساباد كانت الكسوة الحجرية لجزء واحد على الأقل من الجدار مكتملة ، وفي نمرود (كالح) وفي نينوى نفسها ، كانت الكسوة جزئية حيث لم ترتفع في الجزء الأول إلا إلى ارتفاع عشرين قدماً . وكانت أعمال البناء في خورساباد من ثلاثة أنواع . فكانت أعمال البناء في تل القصر التي كانت تشكل جزءاً من الدفاع الخارجي ، تتألف بالكامل من كتل حجرية مربعة الشكل وكبيرة الحجم ، ويتراوح طول الكتل من ياردتين إلى ثلاثة ياردات ، في حين كان عرضها ياردة واحدة، وارتفاعها من خمسة إلى ستة أقدام . وكانت أعمال البناء غريبة بعض الشيء . وقد وُضعت الكتل (أ أ) بالتناوب طولاً ونهايةً على الطوب الخام (ب) ، بحيث لا تستقر عليه فحسب ، بل لتخترقه بنهاياتها في أماكن عديدة ، كما تم توخي الحذر لجعل الزوايا قوية بشكل خاص ، كما سيتضح من القسم المصاحب كانت بقية الدفاعات في خورساباد ذات طابع أدنى ،كان عرض جدار المدينة حوالي خمسة وأربعين قدماً ، وكان قاعه ، بارتفاع ثلاثة أقدام ، مبنيًا من الحجر ، لكن الكتل لم تكن كبيرة ، ولم تُصنع بنفس العناية ، مثل كتل منصة القصر . كانت الزوايا ، في الواقع ، من حجر مربع ، ولكن حتى هناك لم يتجاوز طول الكتل ثلاثة أقدام وارتفاعها قدماً يتكون بقية البناء من حجارة صغيرة متعددة الأضلاع ، مصقولة فقط على وجهها الخارجي ، وملائمة تقريباً بطريقة تذكرنا بجدران السيكلوب في اليونان وإيطاليا . لم يتم ربطها بأي أسمنت . كان فوق القبو الحجري مبنى ضخم من الطوب الخام ، بدون أي واجهة من الطوب المحروق أو الحجر . تم العثور على النوع الثالث من البناء في خورساباد خارج الجدار الرئيسي ، وربما كان يشكل جزءاً من بطانة الخندق أو جزءاً من برج ، ربما كان بارزاً أمام الجدار في هذه المرحلة . كان بالكامل من الحجر ، يتكون المستوى الأدنى من كتل مضلعة صغيرة وغير منتظمة للغاية مثبتة بشكل تقريبي معاً ، وفوق هذا كان هناك صفان من الحجارة المربعة بعناية يزيد طولهما عن قدم ، ولكن عرضهما أقل من ست بوصات ، وقد تم وضعهما في نهاياتهما ، أحدهما فوق الآخر

، مع الحرص على ألا تتطابق مفاصل الطبقة العليا تماماً مع مفاصل الطبقة السفلى وفوق هذه كانت هناك صف ثالث من الحجارة المنحوتة ، أصغر إلى حد ما من غيرها ، والتي تم وضعها بالطريقة العادية . هنا ، كما تم اكتشافه ، انتهى البناء ، ولكن كان من الواضح ، من حطام الحجارة المنحوتة عند سفح الجدار ، أن الطبقات كانت في الأصل مستمرة إلى ارتفاع أكبر بكثير ..

ولقد لاحظنا في هذا الوصف للمباني التي أقامها الآشوريون أكثر من مرة أنهم لم يكونوا يجهلون استخدام القوس ولقد تلاشت الفكرة القديمة القائلة بأن القوس الدائري كان من اكتشافات الرومان ، وأن القوس المدبب كان من اكتشافات العمارة القوطية ، تدريجياً مع تزايد معرفتنا بالحالة الفعلية للعالم القديم ، ولعل علماء الآثار لم يفاجأوا كثيراً عندما علموا ، من خلال اكتشافات السيد لايارد ، أن الآشوريين عرفوا واستخدموا كلا النوعين من القوس في بنائهم . ولكن من المحتمل أن يشعر المرء ببعض الاهتمام بالسؤالين ، كيف شكلوا أقواسهم، وما هي الاستخدامات التي استخدموها لها . إن كل الأقواس الآشورية التي تم اكتشافها حتى الآن مصنوعة من الطوب . أما الأقواس الدائرية فهي مصنوعة من مادة خام ومجففة في الفرن ، وهي في كل حالة مصنوعة من الطوب المصنوع خصيصاً للقبو ، محدبة قليلاً في الأعلى ومقعرة قليلاً في الأسفل ، مع طرف أوسع وطرف أضيق . الأقواس من أبسط الأنواع ، فهي نصف دائرية تماماً ، وترتفع من عتبات عمودية بسيطة . أقصى عرض يمكن أن يمتد عليه أي قوس من هذا القبيل حتى الآن حوالي خمسة عشر قدماً . القوس المدبب الوحيد الذي تم اكتشافه في الواقع مصنوع من الطوب المحروق. الطوب من الشكل العادي ، وليس مخصصًا للقبو. يتم وضعه جنباً إلى جنب حتى نقطة معينة ، وينحني في قوس طفيف عن طريق وضع أسافين رقيقة من الملاط بينهما . بعد أن تم رفع جانبي القوس بهذه الطريقة إلى نقطة حيث تلامس الأطراف السفلية للطوبتين الداخليتين تقريباً ، بينما بقيت مساحة كبيرة بين أطرافهما العلوية بدلاً من حجر المفتاح أو الطوب الرئيسي المناسب للفتحة ، تم وضع الطوب العادي فيه طولياً ، وبالتالي تم ملء المساحة ..

ويبدو أن هناك أسلوباً آخر لبناء القوس المدبب ، وهو الأسلوب الذي تم تقديمه بالفعل . فالبناء الذي تم به بناء الرواق في خطوط أفقية حتى حافة القوس ، مما يشير إلى بناء شائع في العديد من الأقواس اليونانية المبكرة ، حيث يتم قطع الحجارة بحيث تتشكل فتحة مقوسة ، على الرغم من أن المبدأ البنائي الحقيقي للقوس لا مكان له في مثل هذه العينات . وفيما يتعلق بالاستخدامات التي استخدمها الآشوريون للقوس ، فمن المؤكد أنه يبدو من الأدلة التي لدينا أنهم لم يستخدموه كسمة زخرفية كبيرة ، ولا كمبدأ رئيسي للبناء . وبقدر ما يبدو ، كان استخدامهم الرئيسي له في المداخل والبوابات . ولم نجد فقط أن بوابات مدينة خورساباد كانت مقوسة ، بل إن القوس للأبواب أكثر شيوعاً في تمثيل المباني ، سواء كانت محلية أو أجنبية، على النقوش البارزة . ومن المرجح أن تكون بوابات القصور

الكبرى مغطاة بهذا الشكل ، في حين أنه من المؤكد أن بعض الأبواب الداخلية في القصور كانت ذات قمم مستديرة . وإلى جانب هذا الاستخدام للقوس للأبواب والبوابات ، فمن المعروف أن الآشوريين استخدموه في الصرف الصحي وقنوات المياه والغرف الضيقة أو الأروقة ..

ولقد قيل إن الآشوريين استخدموا النوعين من الأقواس لأغراض مختلفة، فأظهروا بذلك قدراً أعظم من العلم والتمييز مقارنة بما نراه في أعمالنا المعمارية ، وأنهم استخدموا القوس المدبب في الأعمال تحت الأرض ، حيث كانوا يخشون الضغط الهائل الذي يفرضه الضغط على القمة ، والقوس المستدير فوق الأرض ، حيث لم يكن ذلك يشكل خطراً . ولكن هذه النظرية البارعة لا تكاد تؤيدها الحقائق . فقد استخدم الآشوريون القوس المستدير تحت الأرض في حالتين في نمرود ، فضلاً عن حدوث ذلك في الطابق السفلي من البرج العظيم ، حيث كان الوزن الهائل الذي يفرضه الضغط هائلاً . كما استخدموا القوس المدبب فوق الأرض في بناء القناة المائية والحديقة المعلقة في النقوش البارزة حيث لم يكن الضغط، على الرغم من ضخامة حجمه ، غير عادي على الإطلاق . ومن ثم يبدو من المشكوك فيه أن يكون الآشوريون قد استرشدوا حقاً بأي مبدأ بناء في تفضيلهم لأحد أشكال القوس على الآخر . عند وصف بناء القصور وغيرها من المباني الرئيسية الآشورية بشكل عام ، كان من الضروري الإشارة أحياناً إلى زخارفها ، لكن هذا الموضوع بعيد عن أن يكون مستنفداً ، وسوف نطالب الآن ، لوقت قصير باهتمامنا الخاص ، لا شك أن الزخارف الرئيسية ، سواء في القصور أو المعابد ، كانت تتألف من الثيران والأسود الضخمة التي تحرس البوابات العظيمة ، جنباً إلى جنب مع الألواح المنحوتة التي كانت تُغطى بها الجدران ، الداخلية والخارجية ، عادةً بارتفاع اثني عشر قدماً أو حتى خمسة عشر قدماً في بعض الأحيان . ولابد أن ننظر إلى هذه الألواح والتماثيل المنحوتة في ارتباطها بالنحت الآشوري ، الذي تشكل الجزء الأكثر أهمية منه . لذلك ، لن نلاحظ الآن سوى أن مدى الجدار المغطى بالألواح كان ، في قصر خورساباد ، لا يقل عن 4000 قدم ، أو ما يقرب من أربعة أخماس ميل ، بينما امتدت المنحوتات في كل من قصور تل كوجك إلى مسافة أكبر من ذلك بكثير ..

كانت الزخارف التي زينت بها الجدران فوق الألواح ، سواء من الداخل أو الخارج ، من خلال المرمر المطلي على الجانب المكشوف والمطلي بالمينا ، وكانت الألوان في معظمها باهتة إلى حد ما ، ولكنها كانت في بعض الأحيان تتمتع ببعض اللمعان ، ومن بين الألوان السائدة الأزرق الباهت والأخضر الزيتوني والأصفر الباهت ، كما استخدم اللون الأبيض على نطاق واسع والبني والأسود ليسا نادرين والأحمر نادر نسبياً ، وكانت الموضوعات التي تم تصويرها إما مشاهد تظهر على الألواح المنحوتة ، أو مجرد أنماط لفائف ، وزهر العسل ، وشيفرون ، وتدرجات ، وزخارف ، ونقس كبير لطير الطاوس أو الفنيق ، وما إلى ذلك . ويبدو أن بعض المحاولات بُذلت في المشاهد لتصوير الأشياء

بألوانها الطبيعية . وحجم الشخصيات صغير ، ومن الصعب أن نتخيل أن مثل هذه الرسومات الدقيقة الموضوعة على ارتفاع كهذا عن الأرض كان من الممكن أن تحدث أي تأثير كبير على الناظر . وربما كانت أكثر الزخارف فعالية من هذا النوع من خلال الأنماط ، والتي غالبًا ما تكون رشيقة وملفتة للنظر . ولقد لوحظ أن استخدام العمود في العمارة الآشورية كان شائعاً للغاية ، وذلك وفقاً للأدلة المتوفرة في الوقت الحاضر وليس لدينا ما يبرر الاعتقاد بأنه كان يستخدم في القصور ، باستثناء بعض الأبواب الداخلية ، التي يبدو أنها كانت مقسمة إلى ثلاثة أبواب مميزة بواسطة عمودين موضوعين على جانبي الفتحة ، وذلك بسبب اتساعها غير العادي . وكانت قواعد هذه الأعمدة مصنوعة من الحجر ، وقد عُثر عليها في مكانها ، وقد اختفت أعمدتها وتيجانها ، ولا يمكن تحديد ذلك إلا من خلال التخمين . وفي المعابد الايزيدية ، كما رأينا ، كان استخدام العمود أكثر شيوعاً . وكانت أبعاده متفاوتة إلى حد كبير . وعادة ما كان قصيراً وسميكاً للغاية بحيث لا يبدو جميلاً ، وفي بعض الأحيان كان يعاني من العيب المعاكس ، حيث كان طويلاً ونحيلاً للغاية . وكانت قاعدته في بعض الأحيان بسيطة للغاية ، وفي أحيان أخرى متنوعة ببضعة قوالب ، وفي أحيان أخرى كانت مستديرة بشكل غريب وغير متقن . وكان العمود أحياناً منقوشاً . وفي إحدى الحالات ، كان التاج يقترب من الطراز السومري في أقصى الجنوب ، في آخر يذكرنا بالبابلي ، لكن الحلزونات مزدوجة ، والعلوية منها يعلوها عداد يشبه غريب الشكل . والثالث غريب جداً ، ويفسر إلى حد ما أصل الثاني ، يتكون من زوجين من قرون الوعل ، موضوعين أحدهما فوق الآخر . مع هذا يمكن مقارنة آخر ... الأكثر روعة على الإطلاق ، حيث لدينا أولاً زوج واحد من قرون الوعل ، ثم ، في القمة ، شكل كامل لوعل مصور بشكل بياني للغاية ..

لقد لاحظنا بالفعل جمال النقوش الآشورية . فالنقوش لا توجد فقط على المرمر الأبيض فقط ، بل وأيضاً على ألواح الرصف الحجرية ، وحول الأبواب المقوسة المؤدية من غرفة إلى أخرى ، حيث تُنقش النقوش بعناية ودقة كبيرتين على المرمر . والعينة المرفقة لباب القر أو المعبد ، والتي أخذت من رسم غير منشور للسيد بوتشر ، غنية وأنيقة للغاية ، على الرغم من أنها لا تعرض سوى أكثر الأنماط الآشورية شيوعاً وقد تم تقديم نقش من نوع أكثر تفصيلاً ، ويظهر دقة أكبر في الصنعة ، في جزء سابق من هذا الفصل كمثال على بلاطة رصف منقوشة . وقد تم العثور على ألواح من هذا النوع في العديد من القصور ، وهي تستحق اهتمام المصممين المعاصرين ، وعندما تتم مقارنة عمارة الآشوريين بعمارة الأمم الأخرى التي تمتلك نفس الدرجة تقريباً من الحضارة ، فإن الانطباع الذي تتركه ربما يكون مخيباً للآمال إلى حد ما إذ أن أغلب الدول لم تتمكن للوصول الى هذه الدرجة الرفيعة من العمق في تطبيق النقوش والألواح كما فعل الآشوريين ، لقد بذلت جهود هائلة ومهارة كبيرة وإتقان رائع وإتقان غير عادي في بناء مباني

عظيمة وغير قابلة للتلف إلى الحد الذي لم يكن بوسع أي تأثيرات أن تدمرها وتقضي عليها لقرون طويلة وهي شاهدة اليوم أمامنا سواء في المتاحف أم القصور المتبقية في نينوى والتي تمتد لآلاف السنين . وكان الإعتراف بهذا الأمر من قبل بوتشر أم الذين سبقوه لا يقبل الشك حيث أنهم شاهدوا معجزات آشورية في النحت الدقيق لا يمكن حتى للأمم في العصر الحديث رغم كل تقدمها من تقليد تلك النقوش ، وهو مادة حضارية تتفوق فيه عبر العصور على بقية الحضارات ، ويشكل في كل مكان النسيج الفعلي لهذه النقوش هو الآخر لغزاً من ألغاز الحضارة الآشورية ، والنقش الملكي الأبرز كان لسرجون الذي كان يُغطى بعد ذلك بطبقة رقيقة ويحجب عن الأنظار بواجهة ، نادراً ما يزيد عمقها عن بضع بوصات ، من مادة أكثر دواماً وجمالاً وحتى اليوم تعتبر مكوناتها المعدنية مجهولة للعلم .

ولا بد أن ميل أكوام المنصات ، بمجرد تشكيلها ، كان إلى الاستقرار، والانتفاخ على الجانبين ، وعدم التساوي في الأعلى ، مما أدى إلى انفجار واجهاتها الحجرية أو المرمرية وإسقاطها في الخندق أدناه ، وفي الوقت نفسه تفكك وتفتت الأرصفة التي تغطي سطحها وكل ذلك بفعل فاعل وفي الفترة التي إمتدت فيها الإكتشافات والحفريات . لا بد أن وزن المباني المرتفعة فوق المونادات كان يميل إلى التعجيل بهذه الكارثة التي تسببت بها عقول حاقدة على الحضارة والتقدم ، في حين أن عدم ثبات أسسها وطبيعة تكوينها لابد وأن كان لهما تأثير سريع في إلقاء المباني نفسها في حالة من الفوضى ، وفك الألواح من الجدران بطريقة غير مدروسة ، مما تسبب في خروج المرمر الأبيض من أماكنه ، وانحناء الثيران والأسود الضخمة ، وتحطيم الأسقف وسقوطها . ربما يُعزى حقيقة تفكيك القصور السابقة إلى حد كبير من قبل الملوك اللاحقين ، ليس إلى التصميم البربري على تدمير النصب التذكارية لسلالة سابقة ومعادية ، بل إلى الظروف التي أدت إلى سقوط المباني الأكثر قدماً في الاضمحلال وتوقفها عن أن تكون صالحة للسكن ، إن التتابع السريع للقصور ، وحقيقة أن كل ملك ، على الأقل من سرجون إلى ما بعده ، يبني لنفسه مسكناً أو مساكن ، هي دليل آخر على التدهور السريع والخراب (إذا جاز التعبير) للمباني العظيمة . ربما بدأ القصر يظهر عليه أعراض واضحة للتدهور ويصبح مسكناً غير سار في نهاية حوالي خمسة وعشرين أو ثلاثين عاماً من تاريخ اكتماله ، وكان من المستحيل تقريباً إجراء إصلاحات فعالة ، بطبيعة الحال ؛ وكان من الأسهل والأكثر إرضاءاً للملك أن يرفع منصة جديدة ويبني لنفسه مسكناً جديداً من أن يكرس جهوده للحفاظ على مسكن سلفه المتداعي في حالة مريحة ..

ومن المدهش أن أسلوباً جديداً من العمارة نشأ في ظل هذه الظروف . فلم يكن الآشوريون ، مثل البابليين ، مجبرين على استخدام الطوب الأحمر الإسمنتي كمادة أساسية في البناء بسبب طبيعة البلاد التي كانوا يعيشون فيها ووجود الجبال في مملكتهم . ويعرب السيد بوتا عن دهشته من تفضيل بناة خورساباد للمرمر الأبيض على الحجر، في حين

أن المنطقة المجاورة تزخر بالتلال الصخرية القادرة على توفير مصدر لا ينضب من المواد الأفضل على الأقل لوفرتها . ولا تبعد سلسلة جبال الحجر الجيري في جبل مقلوب سوى بضعة أميال ، وكان من الممكن العمل في العديد من المرتفعات الصخرية المحيطة بها بقدر أعظم من السهولة . وحتى في نينوى نفسها ، وفي كالح أو نمرود ، كانت الحجارة وفيرة في الواقع ، على الرغم من أن التلال كانت أبعد . وتتكون المنحدرات الواقعة فوق تل كوجك قليلاً من الحجر الرملي الصلب ، ويمر جزء من خندق المدينة عبر تكتلات سيليكية مضغوطة . إن المدينة تقع في الواقع على نتوء صخري من جبل العين الصفراء ، والذي ينتهي عند حافة الوادي الذي كانت نينوى محمية به من الشمال . كما بنيت كالح على عدد من التموجات الصخرية ، ويحيط جدارها الغربي بحافة منحدرات متكتلة جرفتها يد الإنسان . وبالتالي كان من الممكن الحصول على حجر جيد للغاية في المواقع الفعلية لهذه المدن القديمة ، ولو كان هناك من يريد مادة أفضل ، لكان من الممكن الحصول عليها بأي كمية ، وبأي جودة مطلوبة ، من سلسلة جبال زاغروس والحواجز الصخرية المحيطة بها والتي كانت تابعة للدولة الآشورية وفق الخرائط المثبتة على النقوش المستخرجة من نمرود وخورسباد . ولم يكن النقل ليسبب الكثير من الصعوبة ، حيث كان من الممكن نقل الكتل من المحاجر حيث كانت تُقطع إلى المواقع المختارة للمدن بواسطة النقل المائي وهو وسيلة نقل معروفة جيداً لدى الآشوريين ، كما يتضح لنا من النقوش البارزة ..

لم يكن من الممكن أن نواجه صعوبة كبيرة في استخراج الحجارة من البلاد ، والتي نادراً ما تكون صلبة للغاية ، والتي كان الآشوريون يقطعونها في الواقع بطريقة عجيبة تعود لمعرفتهم الدقيقة في علم الأحجار ، كلما كانت لديهم أي دوافع كافية لإزالتها أو استخدامها . لا يمكن إعطاء إجابة معقولة على هذا السؤال إلا واحدة . لقد تعلم الآشوريون أسلوباً معيناً في الهندسة المعمارية في بابل الراقية ، وبعد أن أحضروا هذا الأسلوب معهم إلى بلد أقل ملاءمة له لذلك طوّروه بما يتلائم وطقسهم المناخي ، حافظوا عليه من باب العادة ، على الرغم من التأثير الجميل الذي أضافوه في الواقع ، قاموا بتغيير طفيف في بعض النواحي . ولقد دفعتهم وفرة الحجارة في البلاد إلى الاستعاضة عنها بالمرمر الأبيض في عدة أماكن حيث كان من الضروري استخدامه في واجهات المنصات والمعابد الإيزيدية ، وفي السدود المقامة على مجاري المياه ، وفي الأرصفة أحياناً ، وفي زخرفة الأجزاء الداخلية من القصور والمعابد الإيزيدية على نطاق واسع لقد تم إقتلاع أغلبها ونقلها الى أوربا عن طريق شركة الهند الشرقية التي أسستها بريطانيا لغرض نقل الآثار والكنوز والذهب والأحجار الكريمة من الشرق الهندي الى أقصى الغرب الآسيوي في لبنان وفلسطين . ولكنهم ظلوا على ولائهم لتقاليدهم المعمارية ، وبنوا في آشور ذات التلال النسبية نفس النوع من المباني الذي قادتهم الطبيعة والضرورة إلى اختراعه واستخدامه في المرمر المسطح الخالي من الحجارة حيث أقاموا مسكنهم البدائي . ولأن المنصات

كانت مطلوبة للأمن والراحة في المنطقة السفلى ، فقد احتفظوا بها، بدلاً من اختيار الارتفاعات الطبيعية في المنطقة العليا . ولأن المرمر كان المادة الوحيدة الممكنة في أحد المكانين ، فقد ظل المرمر مستخدماً ، على الرغم من وفرة الحجارة بكثرة ، في المكان الآخر . ولأن الآشوريين إمتلكوا عبقرية فريدة إبداعية عظيمة ، فقد وجدوا أنه من الأسهل عليهم الحفاظ على النظام الذي اعتادوا عليه في وطنهم الأصلي وتعديله قليلاً بدلاً من ابتكار نظام جديد أكثر ملاءمة ..

وإلى جانب الهندسة المعمارية الرفيعة للآشوريين ، يبدو أن فنهم المقلد يستحق الاهتمام . ورغم أن التمثيلات في أعمال لايارد وبوتا ، جنباً إلى جنب مع وجود العديد من العينات في المتاحف الوطنية الكبرى في لندن وباريس ، قد أنتجت معرفة عامة بالموضوع على الرغم من أن بعضها بقي في خانة السرية بحجة معارضته لمعلومات وردت في الكتاب المقدس وتتعارض معها ، إلا أنه نظراً لأن النظرة المتصلة به في مراحله وفروعه المختلفة لا تزال حتى الوقت الحاضر أمراً مرغوباً في أدبنا ان نتعرف على تلك العبقرية العظيمة التي قال عنها لايارد بأنها لن تتكرر عبر التاريخ ، فقد لا يكون من غير الضروري هنا محاولة تقديم وصف موجز للفئات المختلفة التي تندرج تحتها إنتاجاتهم في هذا النوع من الفن ، والعصور والأساليب المختلفة التي تندرج تحتها بشكل طبيعي ..

يتألف الفن الآشوري من التماثيل والنقوش البارزة والمسبوكات المعدنية والمنحوتات العاجية والتماثيل الصغيرة من العقيق واللازورد والطلاء بالذهب الخالص على اللازورد او العقيق والنقوش الغائرة على الأحجار والأحجار الكريمة بطريقة مذهلة لا يمكن لشعوب العصر الحديث إتقانها ..

إن التماثيل الآشورية نادرة نسبياً عند مقارنتها بتماثيل الحضارات التي تلتها ، وعندما توجد فإنها من بين أروع ما أنتجته هذه الأمة إرضاءاً للذوق الرفيق الذي يرتقي الى أن يكون ذوقاً ملائكياً . فهي ناعمة ، ودقيقة ، ورسمية بحتة في تصميمها تفوق كل التوقعات ، وتتميز عموماً بتعقيد مفرط لا يفهمه إلاّ من يتذوق الفن الراقي والرفيع ، وتميل إلى الاتساع في المنظر الجانبي ، وكأنها كانت مخصصة فقط للرؤية من جوانب سبعة تعكس تكوين عدسة العين بطبقاتها السبعة . ومع ذلك ، في بعض الأحيان ، لا يكون هذا الجانب واضحاً بسبب التركيز على مطابقة كل شيء مع ما ورد في الكتاب المقدس عن هذا الشعب . يمكن اعتبار تمثال جالس من البازلت الأسود ، بحجم الإنسان ، يمثل ملكاً مبكراً ، اكتشفه السيد لايارد في كالح الشرقاط ، وهو الآن في المتحف البريطاني، خالياً تماماً من هذا الخلل في التناسب والحقيقة ان التمثال يفوق طول البشر بأضعاف . ومع ذلك، يمكن ملاحظته بسهولة في تمثال ملكي آخر تم استرداده مؤخراً والذي يشير الى العظمة والرفعة التي إمتلها هذا الشعب عبر العصور ، كما هو الحال أيضاً في الثيران والأسود الضخمة على نطاق واسع . بخلاف ذلك ، فإن نسب التماثيل صحيحة بشكل عام

. إنها تحمل تشابهاً مع البابلية القديمة ، وخاصة في شكلها الذي نجده في المنحوتات من إن هذه التماثيل تتسم بنفس الدقة والرُقي والصرامة في التعبير ، ومن الصعب الحكم على طريقة تنفيذها لأنها بالفعل تتفوق على عقول البشر العاديين ، حيث إنها تعرضت في الغالب لإصابات بالغة من يد الإنسان أو من الطقس ولكن التمثال الملكي الذي نراه هنا ، والذي يتمتع بحالة أفضل من أي عمل آشوري آخر مدور وصل إلينا ، يتميز بتشطيب رفيع إلى حد ما . وهو أكبر من الطبيعي بأضعاف ، حيث يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثون قدم ونصف القدم وملامحه مهيبة وواضحة المعالم وتعكس الذوق الراقي الذي إمتلكه الآشوريين ، والشعر واللحية مجعدان بشكل متقن الى درجة تعجز الأقلام عن وصف دقتها ؛ والذراعان واليدان مشكلتان بشكل جيد ومصنوعتان بعناية . والثوب مزين بشكل متقن ، وينزل إلى الأرض ، ويخفي الجزء السفلي من التمثال بالكامل . والتماثيل الوحيدة التي تم استردادها إلى جانب هذه التماثيل هي تمثالان للإله نبو ، أحضرا من نمرود ، وتمثال آخر مشوه للملكة عشتار ، وجد في تل كوجك ، وتمثال آخر سليم إلى حد ما لسرجون ، اكتشف في إيداليوم في جزيرة قبرص ..

إن التماثيل الرخامية التي صنعها الآشوريون تتمتع بمزايا فنية أكبر من تماثيلهم . فهي في الأساس صور لآلهة أو كائنات نورانية عظيمة وهي في أغلب الأحيان تحمل شيئاً غريباً في مظهرها مثل الشمعدان والطاوس . ومن بين أكثر التماثيل شيوعاً التماثيل التي تمثل العذراء أو عشتار التي كان الآشوريون يسمونها بأمنا العظيمة . وهي مصنوعة من العقيق أحمر ، تحول لونه إلى الأحمر الداكن أثناء النقل لأسباب مجهولة ، ومطلية بطبقة من الذهب الأصفر الخالص ، بحيث تشبه إلى حد كبير الآثار السومرية عن تماثيل أنليل وأنكي . وهناك نوع آخر من التماثيل يصور رجلاً عجوزاً ملتحياً ويداه متشابكتان كأنه يؤدي دعاءه بإتجاه الشمس ، وربما نستطيع أن نحدد هوية هذا الرجل بأنه نبو ، أو عطارد الآشوري ، لأن تماثيله الموجودة في المتحف البريطاني لها طابع مماثل إلى حد ما . ومن بين الأشكال الأخرى تمثال إله السمك ناسردين ، وسيجادين ، والآلهة التي لم يتم تحديد هويتها بعد من قبل البريطانيين لانهم ببساطة لم يسألوا الايزيديون عنها ، والتي عثر عليها السيد بوتا تحت أحجار الرصيف في خورساباد . وهذه النماذج لها نفس الطابع الرسمي للتماثيل ، بل إنها أكثر رُقي في الشكل . ويبدو أن الأمثلة الأخرى ، التي تحمل الروعة إلى حد الإفراط ، قد صُممت بقدر أعظم من الروح والحرية . وتختلط فيها أحياناً أشكال الكائنات المتفوقة والبشر ، وبينما لا يمكن إنكار أنها راقية ورفيعة الذوق ، فلا بد من الاعتراف ، من ناحية أخرى ، بأنها تمتلك الكثير من القوة وتركت إنطباعات عظيمة لدى المستكشفين الذين أصيبوا بخيبة أمل بسبب عدم السماح بنشر تقييمهم لعظمة الحضارة الآشورية بسبب معارضة ذلك لمعطيات الكتاب المقدس ووصفه للآشوريين كبرابرة ووحوش . وقد نقش السيد بوتا عدة عينات ، بما في ذلك اثنتان منها لهما الأرجل الخلفية وذيل ثور ، مع رقبة وذراعين

بشريتين ، والرأس يحمل القبعة ذات القرون المعتادة . كما عُثر أيضاً على أشكال صغيرة لحيوانات من الأحجار الكريمة منحوتة بدقة رهيبة . وتتكون بشكل رئيسي من طير الطاوس أو الفينيق وكذلك من الثور . وقد تم تقديم تمثيل لكل منهما في الفصل الخاص بإنتاجات آشور . والطاوس والثور التي تم اكتشافها مصنوعة من العقيق الأحمر الغالي الثمن بطريقة مذهلة ، ويبدو أنها كانت مرسومة في الأصل . وهي لا تفتقر إلى الروح الغلهية بل تجسّدها بأعمق المعاني ؛ ولكن ما يقلل من قيمتها هو أن الأطراف مجرد نقش بارز كانت مبتورة بسبب نقلها الى لندن وعدم تقدير المشرفين على نقلها لرقيها وروعتها ومراعاة كل شيء يعكس الصورة المثالية لها ، حيث يتم ملء المساحة بأكملها أسفل الثور بكتلة من الألماس الفاخر من أجل قوة أكبر . الطاوس كان مصنوع من مادة صفراء ناعمة في البداية إعتقدوا أنه ذهب خالص لكنه إتضح لهم أنه معدن نادر ربما إندثر من الوجود بسبب خصائصه النوعية الغريبة ، ويمثل الطائر نائمًا تارة ويقضاً تارة أخرى ..

ورأسه مستلقياً على ظهره . ومن بين جميع الأعمال الفنية الآشورية التي وصلت إلينا ، فإن أهمها على الإطلاق هي النقوش البارزة على العقيق الأحمر وللازورد النقي وهنا على وجه الخصوص ، إن لم يكن الوحيد ، يمكننا تتبع التقدم في الأسلوب وهنا فقط نرى العبقرية الفنية الحقيقية للشعب . ما كان النحت في شكله الكامل إلاّ عند الآشوريين حسب إعترافات كل من إطلع على النقوش في لندن وباريس وكتابة المذكرات تذخر بالمديح لعظمة ورقي هذا الشعب وفنونه من قبل أعظم النحاتين والعلماء على كوكبنا ، أو في الشكل المعدل قليلاً من النحت البارز للغاية ، بالنسبة لليونانيين ، وما كان الرسم بالنسبة للأمم الأوروبية الحديثة منذ زمن تشيمابوي إلاّ إمتداداً آشوريا حسب الوثائق اليونانية نفسها ، كان النحت البارع والراقي بالنسبة للآشوريين الطريقة العملية التي وجدت بها القوة الفنية تنفيساً بينهم وحاولت بقية الشعوب تقليدها . لقد استخدموها لكل غرض تقريباً يمكن تطبيق الفن المقلد عليه ، لقد استخدم الآشوريون النقوش البارزة للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم الدينية ، وتمجيد ملوكهم وآلهتهم ومزاراتهم الشمسانية ، ونقل تاريخ الأمة وأعمالها البطولية إلى الأجيال القادمة ، وتصوير المشاهد المنزلية والأعمال المنزلية ، وتمثيل المناظر الطبيعية والهندسة المعمارية ، وتقليد أشكال الحيوانات والنباتات ، وحتى توضيح الأساليب الميكانيكية التي استخدموها في بناء تلك الأعمال المعمارية الضخمة التي كانت النقوش البارزة هي الزخرفة الرئيسية لها ، وليس من المبالغة أن نقول إننا نعرف الآشوريين كشعب عانق السماء في تألقهِ وإبداعهِ الفني ، ليس فقط من الناحية الفنية ، بل وأيضاً من الناحية التاريخية والإثنولوجية ، وخاصة من خلال نقوشهم البارزة ، والتي يبدو أنها تمثل لنا تقريباً الحياة الكاملة للشعب والتي نقلها لنا بأمانة أغلب علماء الآثار من خلال تقييمهم أو مذكراتهم السرية التي سلمت لأبناءهم لنقلها للأجيال بعد أن تم رفض نشر التقييمات التي تمتدح حضارة هذا الشعب العظيم ..

يمكن تقسيم النقوش البارزة إلى خمسة عناوين رئيسية ..

1. مشاهد الحرب ، بما في ذلك المعارك والحصارات وتدمير بلد العدو والحملات البحرية والعودة المنتصرة من الحرب الأجنبية ، مع جوائز النصر وثماره ..

2. مشاهد دينية ايزيدية في معابد ومزارات فيها نقوش للشمس والقمر والطاوس وقباب مخروطية وأهرامات ، أسطورية أو حقيقية ..

3. مواكب عموماً لحاملي الجزية الذين يحملون منتجات بلدانهم المختلفة إلى الملك العظيم..

4. مشاهد الصيد والرياضة كالمصارعة الرومانية أو سباق الخيل أو صيد الأسود ، بما في ذلك مطاردة الحيوانات المتوحشة والحيوانات التي يتم البحث عنها كنوع من المغامرات التي كانت ترفع من معنويات الجيش ، ونشر الشباك ، وإطلاق النار على الطيور ، وما شابه ذلك ..

5. مشاهد من الحياة العادية ، مثل تلك التي تمثل نقل وإقامة الثيران الضخمة والمناظر الطبيعية والمعابد الايزيدية والديكورات الداخلية والحدائق ..

إن أقدم الفنون هي تلك الموجودة في أقدم القصور في نمرود . وهي تنتمي إلى الجزء الأخير من القرن العاشر قبل عصرنا . إنها تتميز بالكثير من الروح والتنوع في التصميم ، والقوة والصلابة والرُقيّ ، جنبًا إلى جنب مع قدر كبير من الثقل في التنفيذ والاحترام التام للمنظور ، والحفاظ الصارم في كل حالة تقريباً ، سواء كانت بشرية أو حيوانية ، على المظهر الدقيق لكل من الشكل والوجه مما يعكس الذوق الفني الرفيع الذي إمتلكه الآشوريون ، ينتمي عدد كبير منها إلى هذه الفترة. تمثل الرؤوس والأشكال المظهر العادي للرجال ، بينما توجد أشكال الحيوانات في ذلك الوقت في الأسد والغزال والحصان والطاوس والثور البري . سيُرى عند الإشارة إلى أن الحيوانات متفوقة كثيراً على الأشكال البشرية ، وهي سمة ليست غريبة على أسلوب هذه الفترة ، ولكنها تنتمي إلى كل الفن الآشوري الراقي ، من أقدم مراحله إلى أحدثها . إن نموذجاً ملائماً لهذا الأسلوب نجده في صيد الأسد الذي نقشه السيد لايارد في كتابه (الآثار) ، والذي لاحظ هو نفسه أنه أحد أفضل النماذج التي اكتُشِفَت حتى الآن من النحت الآشوري . إن التركيب بسيط وفعال في الوقت نفسه . يشكل الملك الكائن الرئيسي ، في وسط الصورة تقريباً ، وبفضل ارتفاع غطاء رأسه المخروطي ، وموضع السهمين اللذين يحملهما في اليد التي تسحب خيط القوس ، يهيمن على التركيب بأكمله . عندما يستدير لإطلاق النار على الأسد الذي يهاجمه من الخلف ، ينحني جسده بشكل طبيعي ورشيق ، بينما يميل سائق عربته ، الذي كان مشغولاً بدفع خيوله إلى الأمام ، بشكل طبيعي في الاتجاه المعاكس ، وبالتالي يتناقض مع الشكل الرئيسي ويوازنه . الأسد خلف العربة مباشرة مُحدَّد بروح عظيمة وحرية ، رأسه بارع ، ومع ذلك

، فإن حشوات الجسم بها الكثير من التقليدية . وعندما ينهض لمهاجمة الملك فإنه يوجه نظره إلى الشكل الرئيسي ، وفي الوقت نفسه ، من خلال هذا الموقف ، تشكل خطوطه الرئيسية تبايناً ساراً مع الخطوط العمودية والأفقية السائدة في التكوين العام . يوازن الأسد الميت أمام العربة الأسد الحي خلفه، وبوضعه

القرفصاء ورأسه وذيله المتدليين ، وبشكل رائع مع شكل نظيره المرتفع . يخدم اثنان من الخدم المسلحين بالسيف والدرع ، خلف الأسد الحي ، لتحقيق التوازن بين الخيول التي تجر العربة ، دون جعل التكوين متماثلاً للغاية . الخيول نفسها هي جزء في الصورة يعكس قوة التأثير والصورة النموذجية للوصف ، الأرجل الأمامية صلبة وضخمة للغاية ، والرؤوس تمتلك روحًا وكأنها إلهية الطابع . نادراً ما نجد تصاميم هذه الفترة المبكرة بهذا القدر من الجدارة . القطع الدينية الايزيدية والموكبية مؤثرة ولها فاعلية إلى حد كبير ، مشاهد المعركة الواضحة والتي تنقل الملامح والأفكار بعمق ، مشاهد الصيد تبدو آخر من يركز عليه النحات على هذه النقوش ، لكنها بشكل عام تقع أيضاً في إطار قيّمه المستكشفون على أنه فن راقي قلما وصلت اليه العقول البشرية من دقة وتصميم ..

إن أفضل رسم في هذه الفترة نجده في الأشكال التي تشكل أنماط أو تطريزات الفساتين . إن الطاوس والثور والحصان والفارس الذي يطارد الثور البري ، والتي تم تقديم صور لها ، هي من الأعمال الزخرفية من هذا النوع التي تعكس رقي الذوق . ربما تكون هذه نماذج مفضلة ولكنها مع ذلك تمثل فئة كبيرة . بل إن بعض الأمثلة تتفوق عليها في حرية خطوطها الخارجية ، والحركة القوية التي تصورها ، على سبيل المثال ، الرجل الذي يمسك ثوراً برياً من قرنه وساقه الأمامية ، والتي تم تصويرها . ومع ذلك ، هناك بشكل عام ميل في هذه الرسومات المبكرة إلى الغرابة . تظهر الأسود والثيران في مواقف مختلفة ؛ تهدد الأشكال ذات الرؤوس الصقرية مرتدية التنانير السوداء ذات الرؤوس البشرية بهراوة أو حزام بطريقة لم يفهمها علماء الُار بسبب جهلهم بتقاليد هذا الشعب ، وتمسكها أحيانًا من مخلبها ، وأحياناً تمسك بمنتصف الذيل ، يرفع الكهنة الطاوس على مسافة ذراع من أحد أرجلها الخلفية ، بحيث تتدلى رؤوسها على الأرض في طقس غير مفهوم بالنسبة للغرب ، وتبدو مشاهد الصيد وكأنها أقل دموية من عصرنا الحديث ، حيث يهاجم الغريفين الظباء ، أو يلعب الظباء بالأسود المجنحة ؛ وحتى في مشاهد الصيد ، التي هي أقل غرابة ، يبدو أن هناك سعيًا عرضيًا إلى مواقف غريبة ومضحكة ، كما هو الحال عندما يسقط الثور المصاب على رأسه ، وذيله ملقى في الهواء ، أو عندما يتلقى الأسد جرحه المميت وذراعاه ممدودتان وفمه مفتوحاً بعنف ..

من الغرابة بالفعل عدم إلتزام اللجان التي أشرفت على ترجمة النقوش ترك علاقة الآشوريين بالفن الرفيع والنحت الراقي الذي نقل الى أثينا وروما فيما بعد وإتجه الى روسيا من خلال جورجيا وأرمينيا الجارتين للإمبراطورية الآشورية سرية ومحرّمة من النشر ..

فالحقيقة يجب أن تنقل للأجيال عاجلاً أم آجلاً ولا أحد يتمكن من تجاوزها ، فالآشوريون حكموا العالم لفترة تمتد لما يقارب الألف عام وكانت الشعارات في ذلك العصر الإمبراطورية التي لا تغيب الشمس عن عظمائها وعن فنها وعن قوتها ومستعمراتها ..

بالإضافة الى أن الكثير من المخطوطات والنقوش التي نقلها لنا جميع العلماء الذين أشرفوا على الحفريات تحتوي على كنوز لا يمكن تغافلها والتي لا تقدر حتى مادياً بأي ثمن لا سيما وأنها تعرضت لتخريب جزئي ونقل غير مشروع من مكان الى آخر وتمت مصادرة حتى الأحجار والمرمر والعقيق واللازورد التي تشكل محتوى تلك النقوش والألواح وأعمدتها الرئيسية ..

الفصل الخامس

التنجيم في بابل

إن محاولات ترجمة كل الألواح المتعلقة بعلم التنجيم في بابل وآشور باءت أغلبها بالفشل بسبب عدم إدراك من تصدى للترجمة عمق علم التنجيم والتنظير البُعدي في الحضارة الرافدينية بشكل عام وكذلك كثرة الألواح التي وصلت للمتاحف العالمية المتعلقة به والتي تصل الى أربعين ألف سطراً موثق على ألواح لا تزال موجودة الى يومنا هذا كشاهد على العلم في العالم القديم ، وردد لأغلب من إستند لهذا النوع من الترجمات تلك اللغة الركيكة التي لا تنم عن نتائج تستحق أن توضع في خانة الأكاديمية ، ومن خلال هذه الألواح التي نشرت نتائجها في كتاب بسيط اسمه ديانة الآشوريون والبابليون وشرح بطريقة سطحية ومبتذلة تلك العلوم الكوزمولوجية العميقة التي توارثناها من الحضارتين ..

وهناك فئات واسعة من التنوع في النظر للتنجيم البابلي بشكل عام لا سيما في المواضيع المتعلقة في البُعد الاقتصادي حيث كانت التجارة بالفعل تقوم على إستخدام للأيام التي يكون فيها الفلك مُساعداً للقيام بالأنشطة الاقتصادية وهذا ما لم يفهمه من تصدى لترجمة هذا النوع من المخطوطات ، وقام التنجيم البابلي في أصوله على ثلاثة أعمدة رئيسية تمثلت أولاً فحص كبد الحيوان الذي يجب التضحية به أثناء طقس معيّن وعرف بالتنظير الكبدي في التنجيم من خلال مراقبة إصطفاف الكواكب وتأثير طاقاتها في الكائنات الحيّة وكذلك مراقبة دورات القمر وتأثيرها في الكائنات والمخلوقات ويمكننا أن نجد الكثير من الشرح بالتفصيل في كتاب المؤلف "دين البابليين والآشوريين" (الجزء الثاني، الصفحات 203-969) ، والذي سيُشار إليه فيما يلي باسم "دين جاسترو". انظر أيضًا العديد من المقالات الخاصة للمؤلف ، مثل "علامات وأسماء الكبد في اللغة البابلية". (مجلة آشور، المجلد 20، الصفحات 105-129). "الكبد في العصور القديمة وبدايات علم التشريح" (ترجمة كلية الأطباء في فيلادلفيا، المجلد 29، الصفحات 117-138). "الكبد في التنجيم البابلي"

وايضاً

(وقائع الجمعية النقدية والآثارية في فيلادلفيا، المجلد 25، الصفحات 23-30) . الكبد

كمقر للروح" (دراسات في تاريخ الأديان، مقدمة إلى سي. إتش. توي، الصفحات 143-16). "علامة واسم الكوكب في اللغة البابلية" (وقائع الجمعية الفلسفية الأمريكية، المجلد 47، الصفحات 141-166). «التنجيم وعلم التنجيم في بابل وآشور» (المصدر نفسه، المجلد 47، الصفحات 646-676). «الشمس وزحل» (مجلة علم

الآشوريات، المجلد 7، العدد 2)، والمسح العام في كتاب المؤلف «جوانب المعتقدات والممارسات الدينية في بابل وآشور» (نيويورك، 1911)، الفصلين الثالث والرابع ..

وثانياً كان هناك التنجيم الإرادي وثالثاً التنجيم اللا إرادي ليتوسع نطاق التنجيم الى أبعاد قد لا يفهم معانيها إلاّ قلة قليلة من البشر ، وكان البابليون يعتبرون كل حدث بمثابة فآل لموضوع معيّن قادم ، حتى الأحلام لم يستثنوها وكذلك الأمطار والغيوم والرعد والبرق والمياه والقنوات المائية كلها كانت تخضع لعلم التنجيم بطريقة مركزة ، وشمل التنجيم وعلمه حتى الحيوانات والحشرات والمنازل والمعابد ومخازن القمح والشعير والمواد الغذائية ، كانت الطرق المتبعة عند الشمسانيين في بابل تقوم على ترابط الأفكار كطريقة أولى وعلى الرصد الفلكي الذي يعقب علامات معيّنة ومن خلال البحث في هاتين الطريقتين كانوا يستخرجون الجواب الإيجابي أم السلبي في المعرفة ..

وفي حالة علم التنجيم وهو أسلوب أكثر تقدماً نسبياً من أساليب العرافة استندت النظرية الكامنة وراءه إلى افتراض وجود تطابق تام بين الحركات والظواهر السماوية وبين الأحداث والوقائع التي تجري على الأرض. ونظراً لأن الآلهة كانت تُماهى مع الأجرام السماوية كالقمر والشمس والكواكب والنجوم الثابتة أو بعبارة أخرى ، نظراً لأن الأجرام السماوية كانت تُجسَّد في هيئة آلهة ، فقد فُسِّرت الحركات التي تجري في السماء على أنها تمثل نشاط الآلهة وهي تُهيئ الأحداث التي ستحدث على الأرض وعليه ، فإن من يمتلك القدرة على قراءة العلامات السماوية قراءةً صحيحة ، كان بوسعه أن يعرف ما سيحدث هنا على الأرض . وقد كان علم التنجيم يضاهي ما يُعرف في العصر الحديث بـ "مكاتب الأرصاد الجوية" ، إذ كان يُمكّن المرء من استباق الأحداث ومعرفة ما سيقع حتماً قبل وقوعه بفترة وجيزة ، وهي فترة كانت كافية للتمكن من الاستعداد لذلك الحدث فإنهُ لا يمثل فحسب شكلاً من أشكال العرافة بل مرحلة أرقى في العلوم لم نصل اليها بعد في عصرنا الحديث ، وإذا ما قورن علم التنجيم البابلي مع علم قراءة الكبد لدى الشمسانيين فإننا نخرج بنتيجة مفادها أنه علمي أكثر مما هو شيء آخر وهو وصف نسبي بالطبع إذ يحتل بالفعل مرتبة أرقى مما يمكن وصفه ..

إن مجال الملاحظة المتعلق بالمواليدات الجديدة سواء بين البشر أو باقي الكائنات وبالأخص عالم الحيوان واسع للغاية ومحدد بوضوح في الألواح التي تم ترجمتها والتي كانت تحمل دلالات خاصة عن الديانة الشمسانية عند البابليين ، وأي إنحراف عن المألوف كان يُنظر اليه على أنه يستوجب المناقشة والتفسير ، وقد شملت بالفعل هذه الإنحرافات نطاقاً واسعاً يكاد يكون بلا حدود يتراوح بين السمات الغريبة في أي جزء من الجسم أو الملامح ، وبين التشوهات الخلقية الفعلية والمسوخ . وكان المبدأ العام السائد هو كلما زادت درجة الشذوذ ، زادت الأهمية المنسوبة إليه وكما هو الحال مع حركات الأجرام السماوية ، كان يُنظر إلى الأمر غير المألوف على أنه مؤشر على وقوع حدث استثنائي

وشيك . ولحسن الحظ ، فإننا نمتلك ضمن ألواح مكتبة آشوربانيبال التي اكتشفها لايارد قبل خمسين عاماً ولا تزال تشكل مصدرنا الرئيسي للأدب الديني الشمساني البابلي الآشوري مئات النصوص التي تتضمن قوائم بنذير الولادة وتفسيراتها ، تماماً كما نمتلك مئات النصوص التي تتناول العرافة عن طريق فحص الكبد ، والتي مارسها الايزيديون عبر التاريخ حصراً ..

إضافةً إلى النصوص العديدة التي تتناول التنجيم كعلم نوعي ، وتلك التي تُعنى بأنواع مختلفة من النُذُر (والتي لم يُنشر منها سوى جزء يسير) ، يتضح من هذا القسم من المجموعة الضخمة التي جمعها كَتَبة آشوربانيبال بشكل رئيسي من أرشيفات المعابد الشمسانية في بابل أن كهنة "البارو" (كهنة العرافة) قد أعدّوا مجموعات شاملة لكافة أنواع النُذُر . وقد خدمت هذه المجموعات غرضين . أولاً ، العمل ككتيبات مرجعية رسمية يُرجع إليها عند طرح أسئلة على الكهنة حول دلالة ظاهرة معينة . وثانياً ، استخدامها كمواد تعليمية لتدريب الطامحين للانخراط في سلك الكهانة . وإذا قصرنا حديثنا على "نُذُر الولادة"، فإن السؤال الأول الذي يطرح نفسه هو: هل تستند العلامات المُدوَّنة إلى وقائع حقيقية أم أنها نتاج للخيال ؟ في كثير من الحالات كما سيتضح لاحقاً تستند الحالات الشاذة المذكورة إلى ملاحظات واقعية إلا أن رغبة الكهنة في شمول مجموعاتهم لكافة الاحتمالات الممكنة لضمان الجاهزية لأي سؤال قد يطرأ في أي وقت— دفعتهم لتسجيل عدد كبير من العلامات التي اعتقد العرّافون أنها قد تحدث . وبعبارة أخرى، ومن باب الاحتياط ، أطلق العرّافون العنان لمخيلتهم وسجّلوا أموراً كثيرة يمكننا الجزم بأنها لم تحدث قط، بل ويستحيل حدوثها كانت العلامات حاضرة في المخيّلة العلمية البابلية إذ كانت تشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى وقائع معينة على الأرض كان وقوعها أمراً محتوماً . وقد تمثلت مهمة الأوراكل أو الكوجك أو المتنبئ البابليون لقب قادر على معرفة أو تحديد ما إذا كانت الأحداث التي تُعدّ لها الآلهة ستكون نافعة أم ضارة .

لقد كان علم التنجيم محصوراً في مجموعة من الكهنة الشمسانيين في بابل قبل أن يتمدد الى باقي ممالك الكومنويلث السومري ، فقراءة الكبد حاول الآشوريون لاحقاً تطويرها ، وجعل تأثيرها على نطاق واسع يخدم الأجيال التي كانت تولد حديثاً ، وأخذت الكثير من الشعوب هذا العلم لكنها فشلت في الوصول الى أعماق أسراره وبقيت تمارسه بسطحية حتى يومنا هذا .

انتقل علم التنجيم البابلي–الآشوري إلى الإغريق ليصبح الركيزة الأساسية لعلم التنجيم في الحقبتين الإغريقية والرومانية والقروسطية ، مؤثراً بذلك تأثيراً عميقاً في الجانب الديني ويُشكّل رصد العلامات التي تظهر على صغار الحيوانات وعلى المواليد البشر عند لحظة الولادة قسماً ثالثاً من أقسام فن العرافة البابلي والآشوري ، وهو قسم يضاهي في مكانته وأهميته كلاً من "قراءة الكبد و"علم التنجيم" وهنا أيضاً ، يحق لنا أن نبحث عن أساسٍ عقلاني ، أو شبه

عقلاني على الأقل ، يفسر تلك الأهمية التي أولاها البابليون والآشوريون وكما سنرى لاحقاً ، شعوبٌ أخرى أيضاً لأي ظاهرةٍ لافتةٍ للنظر أو غير مألوفة تُشاهد في اللحظة التي تُدشَّن فيها حياةٌ جديدةٌ في هذا العالم . لقد ترك لغز الحياة أثراً عميقاً في نفس الإنسان البدائي وفي وجدان الشعوب القديمة ، تماماً كما يتركه اليوم في نفس العالم الحديث ذلك العالم الذي يسعى جاهداً مستعيناً بما يمتلكه من أدواتٍ معرفيةٍ أكثر تطوراً ، ومستفيداً من رصيد الخبرات الهائل الذي تراكم عبر العصور الغابرة إلى النفاذ إلى منبع الحياة وجوهرها الأصيل . حياةٌ جديدةٌ تنبثق من حياةٍ أخرى (تناسخ أرواح) فهل ثمة شيءٌ أغرب من ذلك ؟

أيُّ شيءٍ أشدُّ حيرةً، وأكثرُ إجلالاً ورهبةً من هذا ؟ وإذا ما وضعنا في اعتبارنا أن ثمة أدلةً كافيةً تبرر لنا القول بأن الشعوب التي تعيش في حالةٍ ثقافيةٍ بدائيةٍ لم تكن تربط بين "الحياة الجديدة" وبين "الفعل الجنسي"، فإن هذا اللغز لا بد وأنه قد بدا لهم أشدَّ عمقاً وغموضاً . فقد كان يُفترض أن الطفل، أو الحيوان الصغير ، قد جاء إلى الوجود بفعلِ روحٍ ما شقَّ طريقه إلى داخل الأم تماماً كما كان يُفترض أن الموت يحدث بفعلِ كائن سُفلي خبيثٍ طردَ روحَ الحياةِ من الجسد وجعلها هامدة . إن عاداتِ الولادةِ العديدةَ ، التي تنتشرُ في شتى بقاعِ العالم ، ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً بذلك الشعورِ بالغموضِ الذي تُثيرُه "الحياةُ الجديدة" ، إذ تتمحورُ تلك العاداتُ ، إلى حدٍّ كبير ، حول فكرةِ توفيرِ الحمايةِ للأمِّ ولذريتِها في تلك الفترةِ الحرجة . وهكذا، يمتزجُ الفرحُ والابتهاجُ بالخوفِ من الكائنات السُفلية التي كان يُعتقدُ أنها تتربصُ في الجوارِ لإلحاقِ الأذى بتلك "الحياةِ الجديدة" وبمن جاءت بها إلى الوجود . وهو تصورٌ طبيعيٌّ للغاية ، فالحياةُ الوليدةُ تكونُ حينئذٍ معلَّقةً بين الحياةِ والموت ، بينما تبدو حياةُ الأمِّ مهددةً تهديداً حقيقياً ومباشراً . وحيثُ إن كافةَ الآلامِ الجسديةِ والعللِ البدنيةِ كانت تُعزى إلى تأثيرِ الأرواح الشريرة ، أو إلى التأثيرِ الخبيثِ المماثلِ لأشخاصٍ يُعتقدُ أنهم قادرون سواءٌ عن طريقِ السيطرةِ على الكائنات السُفلية أو بأيِّ وسيلةٍ أخرى على إلقاءِ تعويذةٍ سحريةٍ على الفرد فقد غدت الولادةُ ، والبلوغُ ، والزواجُ ، والموتُ باعتبارها الفتراتِ الأربعَ في حياةِ الإنسانِ التي يمكنُ النظرُ إليها على أنها فتراتٌ حرجةٌ وانتقالية مقرونةً بعاداتٍ شعبيةٍ وطقوسٍ دينيةٍ لازمتِ البشريةَ منذُ العصورِ البدائيةِ وحتى يومِنا هذا . وقد أطلقَ باحثٌ معاصرٌ يُدعى "فان جينيب"الذي قامَ مؤخراً بجمعِ هذه العاداتِ وتفسيرِها في مجلدٍ واحد على عملِهِ عنوانَ (طقوس العبور) وهي عادات مرتبطة بفترات الإنتقال الأربعة من مرحلة الى أخرى ، وهي لا تزال باقية ومستمرة في الأشكال المتقدمة للمعتقدات الدينية السائدة في العصر الحديث عند الكثير من الشعوب لكن لا أحد يستطيع أن يتنكر لمصدرها البابلي الشمساني ..

مع الاعتدال الربيعي ، والانقلاب الصيفي ، والاعتدال الخريفي ، والانقلاب الشتوي ، أو بعبارةٍ أخرى أربعينيات الزمن الأربعة ، ووفقاً للمصطلحات الزراعية مع وقت البذر ، ووقت الإزهار أو الحصاد المبكر ، ووقت الحصاد

المتأخر ، وفترة الكمون أو الاضمحلال . وهكذا ، فإن الأهمية التي تُعلق على "فأل الميلاد" لا تعدو كونها مجرد مرحلةٍ من مراحل الطقوس المصاحبة لانتقال المولود الجديد من مخبئه الغامض إلى النور . إن وجه الشبه بين الحياة الجديدة وبين سيرورات الطبيعة يُعد تشابهاً تاماً ، فالنباتُ أيضاً بعد أن يظل مختبئاً في جوف الأرض ، التي صوّرتها أديانُ العصور القديمة على أنها (الأم العظمى) ..

وفيما يتعلق بحالات الولادة غير المعتادة (أو الشاذة) لدى البشر والحيوانات ، يمكننا بسهولة التمييز بين فئتين . ونظراً لأن ولادة التوائم الثنائية كانت تُعد أمراً ذا دلالة خاصة . وتزداد هذه الأهمية مع التوائم الثلاثية ، فإن الكهنة لم يكتفوا بذلك ، بل وضعوا أحكاماً لحالات ولادة أربعة أو خمسة أو ستة، وصولاً إلى ثمانية مواليد أو أكثر في آن واحد . وكذلك الأمر بالنسبة للحيوانات ، فبما أن إناث الكلاب والخنازير قد تلد عشرة جراء أو خنازير صغيرة أو أكثر ، فقد أدرج الكهنة في سجلاتهم أعداداً تصل إلى ثلاثين ، وهو أمر مستحيل عملياً بالطبع . أما بالنسبة للأغنام والماعز ، فقد مُدَّ النطاق العددي ليشمل عشرة مواليد ، رغم أنه من المرجح ألا تكون أي نعجة أو أنثى ماعز قد وضعت يوماً أكثر من ثلاثة مواليد ، فحتى ولادة التوائم الثنائية تُعد أمراً نادراً، وقد قيل لي إن الحالات الموثقة لولادة توائم ثلاثية قليلة للغاية ، وقد وضعت الألواح البابلية ما يقارب 40 ألف سطراً لمناقشة هذا العلم لم يتم ترجمة أغلبها على الرغم من إحتواءها كنوز علمية عظيمة لكن ما ترجم منها فقط قاد الى إحداث ثورة في مفهوم علم التنجيم النوعي الذي يدرس الهندسة الجينية عند الكائنات قبل آلاف السنين ..

ومع ذلك ، ورغم الطابع الخيالي إلى حد كبير لما ورد في نصوص النبوءات (أو الفأل)، فإن هذه المجموعات لم تكن تستند فقط إلى أساس متين من الملاحظة الواقعية، بل كانت تؤدي غرضاً عملياً أيضاً ، ويتضح ذلك من الأمثلة المتوفرة لدينا لتقارير رسمية أعدها كهنة بابل الشمسانيون حول تشوهات بشرية وحيوانية ، مصحوبة بتفسيرات تمثل اقتباسات من تلك المجموعات ، إذ يرد في أحد التقارير من هذا النوع، والمتعلق بحالة تشوه حيواني ، ما يلي:

"إذا كان الجنين مزدوجاً ، ولكن برأس واحد، وعمود فقري مزدوج، وذيلين، وجسد واحد، فإن الأرض التي يحكمها حالياً اثنان سيحكمها شخص واحد ، وإذا كان الجنين مزدوجاً برأس واحد ، فإن الأرض ستكون !!! (لم يتم ترجمة هذا المقطع) لدينا هنا اقتباسان من نص يورد شتى الخصائص المتعلقة بالجنين المزدوج ، ولحسن الحظ فإن النص الأصلي الذي أُخذت منه هذه الاقتباسات متاح لدينا ، من الواضح أن نعجة قد ولدت كائناً مشوهاً بالوصف المذكور هنا، وقد رُفعت الحالة إلى العرافين الذين قدموا هذا التقرير للملك ، موضحين أنه نظراً لأن الكائن المشوه يمتلك رأساً واحداً فقط ، فإن ما كان يمكن أن يُعد نذير شؤم قد تحول إلى نذير خير .

ومن خلال الإطلاع على الأسرار المتعلقة بالتنجيم الذي كان سائداً في حقل الهندسة الوراثية لدى البابليين والكهنة الشمسانيين بالتحديد نرى أنهم كانوا على دراية كاملة بأجديات هذا العلم وطبيعة النتائج التي تسفر عنها توقعاتهم وأبحاثهم ، مثلاً إذا ولد جنين بثماني قوائم جينية وذيلين فسيحكم الحاكم بسيطرة شاملة ويحتفظ الكاهن بإشارة من هذا الجنين كفآل للمستقبل ويحفظ هذه المادة في درّة كان يُطلق عليها أودانو ، وكانت تابعة لعلوم (أثير . نيرجال) وهو فرع من العلوم الجينية في الهندسة الوراثية كان سائداً في بابل بشكل واسع ، هنا نجد ذكراً صريحاً لاسم الكاهن العرّاف (الـ "بارو") الذي قدّم التقرير . يبدأ التقرير باقتباس من مجموعات النصوص التي توضح تفسير هذه الظاهرة ، يليه سرد مفصل للحدث الفعلي ويحرص أثير . نيرجال على الإشارة إلى أنه احتفظ بالعينة كدليل على وقوع الحدث ، تماماً كما تُحفظ اليوم مثل هذه الحالة الشاذة في وعاء داخل متحف للأمراض والتشوهات. وفي تقرير آخر يتضمن اقتباسات متنوعة من مجموعات نصوص "نذير الولادة" ويختتم بذكر حالة فرس وضعت مُهرين (ذكراً وأنثى) بشعر أملس يغطي الأذنين والقوائم والفم والحوافر، وهي علامة تُفسّر على أنها فأل حسن يضيف مُقدّم التقرير سأتحقق مما إذا كان الأمر كذلك ، إذ سيتم فحص الحالة وفقاً للتعليمات . من الواضح أن الحقائق لم تكن قد تأكدت بشكل قاطع فالعراف ، بينما يقدم تفسيرات لاحتمالات متعددة ، يعد بالتحقق الدقيق من الأمر وتقديم تقرير جديد حول الطبيعة الفعلية لهذا الحدث غير المألوف. وغالباً ما تتضمن تقارير النذير هذه إشارات مثيرة للاهتمام ومهمة إلى أحداث تاريخية دُمجت لاحقاً في تلك المجموعات النصية.

في الواقع، كان الحدث الذي يعقب أي علامة غير عادية أو لافتة للنظر سواء في السماء أو بين المواليد الجدد أو غير ذلك يُرصد بعناية ، ويُعتبر استناداً إلى مبدأ "اللاحق نتيجة للسابق" ، الحدثَ الذي تنبأت به تلك العلامة . لقد كان الحدث الفعلي الذي يلي ظهور العلامة هو الذي يحدد التفسير الدقيق للنذير نفسه ، وإن لم يكن يُفترض بالضرورة أن تتبع العلامةَ دائماً الواقعةُ ذاتها . وكان جلّ الاهتمام ينصبّ على معرفة ما إذا كان الحدث اللاحق إيجابياً أم سلبياً فإذا كان إيجابياً ، يُستنتج أن العلامة إيجابية ، وبالتالي عند تكرار ظهورها يمكن توقع حدثٍ سارٍ يتناسب مع الظروف الراهنة (مثل الانتصار في معركة وشيكة، أو إخماد تمرد، أو شفاء فرد من العائلة المالكة كان مريضاً، أو وفرة المحصول القادم، أو غير ذلك) ، أو الحصول عموماً على إجابة إيجابية لأي سؤال يطرحه الحاكم . وينطبق الأمر ذاته على مجموعة من العلامات مجتمعة إذ يتمثل أحد المبادئ الأساسية للعرافة في القاعدة القائلة: "ما كان إيجابياً مرة، يظل إيجابياً دائماً ".

ومن بين التقارير المتعلقة بنذر الولادة نجد تقرير مترجم من الأسطر الموجودة في الألواح يتحدث عن إشارة تاريخية ذات أهمية إستثنائية فإذا كان الجنين ذكر وأنثى معاً فهذا يشير الى نذير (صاغ . بوّو) وهو نذير شؤم عند

الشمسانيين ، حيث سيُنزع ملك البلاد من المُلك ، إذا وُلد جنين يحمل سمات الذكورة والأنوثة معاً (دون خصيتين) ، فسيحكم البلاد ابنٌ من القصر أو سيفرض نفسه في مواجهة الملك . علينا أن نفترض في هذه الحالة ولادة كائن مشوّه يجمع بين أعضاء ذكرية وأنثوية إذ يشير الكاهن في معرض تفسيره إلى سلسلة من العلامات المدونة في المجموعات ، والتي تنبئ جميعها بوضع غير طبيعي للأمور مثل تولي امرأة العرش ، أو السبي ، أو استيلاء مغتصب على السلطة ، أو اندلاع ثورة . وكثيراً ما نجد في هذه المجموعات تفسيرات متعددة مدونة بهذه الطريقة ، وهو ما يُعد مؤشراً قيّماً على الكيفية التي جمع بها الكهنةُ هذه النصوص استناداً إلى وثائق متنوعة كانت بين أيديهم . لقد ظهر اسم هذه الحاكمة الذي لم يكن معروفاً من قبل إلا من خلال هذا التقرير وقائمة أسماء أعلام ورد فيها اسم صاغ . بوّو في قائمة هامة للسلالات المبكرة التي حكمت وادي الفرات ، وهي قائمة اكتشفها ونشرها الباحث "شيل" . ومن ثم ، يمكننا الاستنتاج بأن ولادة مثل هذا الكائن المشوّه قد حدثت بالفعل في الوقت الذي جلست فيه صاغ . بوّو على العرش أو قبله بقليل . وباعتبارها واقعة غير مألوفة ، فقد كانت نذيراً بحدث غير عادي ، وارتبطت بطبيعة الحال بالظرف الاستثنائي المتمثل في اعتلاء امرأة للعرش . وتُظهر القائمة المكتشفة حديثاً أن (صاغ . بوّو) كانت مؤسسة لسلالة حكمت انطلاقاً من مدينة "أوروك" كمركز لها ويبدو أن تاريخ حكمها يقع في الفترة ما بين 2800 و3000 قبل الميلاد ، وربما قبل ذلك أيضاً . وبصفتها مؤسسة لسلالة أطاحت بسابقتها ، لا بد أن حكمة (صاغ . بوّو) قد خاضت صراعات مع مراكز حكم أخرى ولذا فإن التفسير الثاني القائل بأن "بلاد الملك ستُنتزع منه" قد يشير إلى حدث تاريخي وقع في تلك الحقبة العامة نفسها. ومهما يكن من أمر، فإن النقطة المهمة بالنسبة لنا هي أننا نملك هنا دليلاً آخر على الغرض العملي الذي كانت تخدمه مراقبة النذائر المرتبطة بالولادة .

وبالإنتقال لبعض الأمثلة على نذر الولادة المستمدة من مجموعة نصوص كهنة أور الشمسانيون نتناول هنا بعض النصوص التي تتحدث عن النذر المتعلقة بصغار الحيوانات وبطبيعة الـ (بوّو) وتأثيرها على حيوانات مثل الأغنام والماعز والأبقار والكلاب والخيول ، نرى أن الأغنام في الحقبة البابلية كانت أهم الحيوانات لما يتعلق بفحص الكبد حيث كانت تحظى بإهتمام خاص وهو ما يتوافق مع الأهمية التي تحظى بها في طقوس العرافة البابلية والتنظير الكبدي ، لهذا كانت العينة التي تؤخذ للمختبر أثناء الولادة يُطلق عليها إسم عشبو ، وكانت النموذج الذي يتم التنبؤ بالمستقبل من خلاله ..

نظراً للمكانة البارزة التي تحتلها الأغنام في سياق النبوءات المستمدة من حالات الولادة ، فإن كلمة عشبو التي تشير إلى الجنين سواء كان طبيعياً أو غير طبيعي ، وسواء كان بشرياً أو حيوانياً تدل عموماً على جنين الخروف عند ورودها دون تحديد إضافي ..

ويورد أحد النصوص التي تتناول حالة "جنين مزدوج" (أي لنعجة) ما يلي:

"إذا كان جنيناً مزدوجاً به شقوق (؟) في الرأس والذيل ، فستنعم البلاد بالأمان ..

إذا كان جنيناً مزدوجاً ومحاطاً (بغشاء أو غلاف) ، فستعم الفوضى في البلاد ، وستنتهي السلالة الحاكمة .

إذا كان جنيناً مزدوجاً ومحاطاً بما يشبه السياج ، فسيُخضِع الملكُ البلاد ..

إذا كان جنيناً مزدوجاً ومحاطاً بما يشبه السياج ، فستعم الفوضى في البلاد وتندلع الأعمال العدائية .

إذا كان جنيناً مزدوجاً ومحاطاً بما يشبه السياج ، وبه شقوق في الجسد، فستنتهي السلالة الحاكمة وتعم الفوضى والاضطرابات في البلاد .

إذا كان جنيناً مزدوجاً ومحاطاً بما يشبه السياج ، وله رقبتان ملتويتان ورأس واحد فقط، فستبقى البلاد تحت حكم حاكم واحد ..

إذا كان جنيناً مزدوجاً ، والرأسان محاطان (بغلاف) ، وله ثماني قوائم وعمود فقري واحد فقط ، فستضرب البلاد عاصفة مدمرة .

إذا كان جنيناً مزدوجاً برأس واحد فقط ، فستكون البلاد آمنة ، وسينتصر الحاكم على عدوه ، ويسود السلام والرخاء في البلاد .

إذا كان جنيناً مزدوجاً برأس واحد ، وعمودين فقريين ، وثماني قوائم ، وعنقين ، وذيلين ، فسيوسّع الملك أراضي مملكته .

إذا كان جنيناً مزدوجاً برأس واحد ، وعمودين فقريين ، وذيلين ، وجسد واحد ، فإن الأرض التي يحكمها اثنان ستصبح تحت حكم حاكم واحد .

إذا كان جنيناً مزدوجاً برأس واحد وعمود فقري واحد فقط ، وثماني قوائم ، وعنقين ، وذيلين ، فسيوسّع الملك أراضي مملكته .

إذا كان جنيناً مزدوجاً بعنق واحد فقط ، فسيوسّع الحاكم أراضي مملكته .

إذا كان جنيناً مزدوجاً بعمود فقري واحد فقط ، فسيوسّع الحاكم أراضي مملكته .

إذا كان جنيناً مزدوجاً بفم واحد فقط ، فستبقى البلاد تحت حكم الملك .

إذا كان جنيناً مزدوجاً بصدر واحد فقط ، فستتوسع البلاد ، وسيكون الحكم لملك شرعي .

ولفهم المبادئ التي تقوم عليها تفسيرات هذه النُذُر ، يتعين علينا أن نتخذ من المفاهيم المرتبطة بأجزاء الجسم المختلفة نقطة انطلاق لنا. ونظراً لأن هذه النُذُر تتعلق في المقام الأول بالشؤون العامة والرفاهية الجماعية ، ولا تتناول الشؤون الخاصة أو الفردية إلا في نطاق محدود ، فإن رأس الجنين بحكم ارتباط طبيعي يرمز إلى الحاكم ، أو يرمز أحياناً إلى مالك النعجة الأم؛ ومن ثم، فإن وجود رأس واحد لجنين مزدوج يشير إلى الوحدة أي حُكمٍ واحد في حين أن وجود رأسين يُشير إلى نوع من الاضطراب ، فإذا كان الجنين المزدوج متشابكاً لدرجة أنه يبدو محصوراً داخل حيز مغلق ، فإن الربط الطبيعي للأفكار يوحي بأن البلاد ستكون محاصرة أو غارقة في حالة من الفوضى ، أو خاضعة للهيمنة أو ما شابه ذلك. ومن ناحية أخرى ، إذا كان الانحصار يقتصر على الرأسين فقط مما يعطي انطباعاً بالوحدة بينما يكون باقي الجسمين منفصلين وغير متشابكين ، فإن هذه العلامة غير المواتية تتحول إلى علامة مبشرة بالخير. وهناك مبدأ ثانٍ في التفسير يؤدي إلى استنتاج أكثر إيجابية إذا كان الجنين المزدوج يظهر تعقيدات أقل إذ تشير سمات مثل وجود رقبة واحدة ، أو عمود فقري واحد ، أو صدر واحد ، أو فم واحد تماماً مثل وجود رأس واحد إلى الوحدة ، وبالتالي إلى ازدهار أحوال البلاد. أما في حالة الأرجل والذيل ، فالأمر يبدو معكوساً إذ يشير وجود ثماني أرجل وذيلين ورقبتين ورأس واحد إلى توسع رقعة البلاد ، في حين ينذر الجنين المزدوج الذي يمتلك ست أو خمس أرجل فقط بوقوع مصيبة وشيكة.

نواصل قراءة هذا النص ..

إذا كان الجنين مزدوجاً ، بحيث يكون أحدهما مكتمل التكوين ويخرج الثاني من فم الأول ، فسيُقتل الملك ويتمرد جيشه ، وتُدمر مزارع الزيت والمسكن الخاص به.

إذا كان الجنين مزدوجاً ، وكان الثاني يقع عند ذيل (الأول) ، مع وجود ثديين وذيلين ، فستسود الوحدة في البلاد.

إذا كان الجنين مزدوجاً ، وكان الثاني يقع عند ذيل الأول ومحاطاً به وكلاهما على قيد الحياة ، فالنتيجة مماثلة (للحالة السابقة).

إذا كان الجنين مزدوجاً ، وكان أحدهما يعلو الآخر، فالنتيجة هي النصر ، وسيدعم العرشُ العرشَ.

يُلاحظ أنه في حالات عديدة تُقدَّم تفسيرات بديلة اثنان : أحدهما ذو طابع رسمي يتعلق بالصالح العام أو بأحداث داخل البلاط الملكي ، والآخر ذو طابع غير رسمي. ويبدو أن خروج جنين من آخر ، أو وجود أحدهما داخل الآخر ، كان يُعد علامة إيجابية أو سلبية بناءً على موقع الجنين الثاني ، فإذا كان أحدهما يعلو الآخر ، فإن الربط الذهني كان يشير إلى سيطرة الحاكم على عدوه. وفي بعض الحالات، لا يكون الرابط الذهني المؤدي إلى التفسير واضحاً

وربما يتعين علينا في مثل هذه الحالات افتراض وجود تدوين لحدث وقع بالفعل بعد ولادة ذلك الكائن المشوّه. كما أن قدراً معيناً من التعسف في التفسيرات يُعد عاملاً يجب أخذه في الاعتبار ، إذ إن آخر ما يمكن توقعه في أي نظام للعرافة هو التطبيق المتسق لأي مبدأ كان. وينتقل النص بعد ذلك إلى سرد حالة النعجة التي تلد أكثر من حملين ، حيث تكون التفسيرات "الرسمية" سلبية دائماً ، وكان الكهنة في مأمن تام عند تدوينهم لهذه التفسيرات التي كانت تعسفية بحتة في هذه الحالات نظراً لأن مثل هذه الولادات المتعددة لم تكن تحدث أبداً. ومن الجدير بالذكر استعراض هذه التفسيرات لتوضيح ذلك العنصر الخيالي الذي كما أُشير سابقاً لعب دوراً مهماً في هذا النظام.

إن الجهد الفكري المبذول لتطوير ما يبدو لنا للوهلة الأولى فكرة خاطئة يُثمر في النهاية على نتائج إيجابية ، وكثيراً ما نسمع القول بأن الطب بدأ من الدين، وهذا صحيحٌ بمعنى أن علاج الأمراض كان في وقتٍ ما مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالاعتقاد بأن كل معاناة ناتجة عن روح خفية تسللت إلى الجسد وهي وجهة نظر لا تختلف كثيراً في جوهرها عن "نظرية الجراثيم" الحديثة المفسِّرة للعديد من الأمراض، فالجراثيم كائنات غير مرئية عملياً، ولا يمكن بالتأكيد إنكار طبيعتها الشريرة (المؤذية). كان علاج المرض في الطب البدائي يتمثل في طرد هذه الارواح من الجسد، وهو أمرٌ يمكننا دون عناءٍ كبير إيجاد ما يقابله في الأساليب الطبية الحديثة. كان يُعتقد أن للتعاويذ قدرةً على إخافة الشيطان أو حثّه بطريقةٍ ما على مغادرة جسد الضحية، ولكن سرعان ما اكتُشف أن بعض الأعشاب والمخاليط تساعد في تحقيق هذا الغرض ولم يكن الاعتقاد السائد في البداية أنها مفيدة للمريض، بل إنها كانت منفرّة لهذه الارواح التي تفضل ترك ضحاياها بدلاً من تحمّل تلك المركبات الكريهة الرائحة والمقززة التي كانت غالباً ما تُستخدم في الوصفات الطبية المصاحبة للتعاويذ. إن ما نعتبره اليوم علاجات طبية كان يُعطى للمريض في الأصل بهدف –وعلى أمل– إثارة اشمئزاز الشر المسبب للمرض فكانت تلك العلاجات مكمِّلةً للقوة المنسوبة لتلاوة كلماتٍ وعباراتٍ محددة، وكل ذلك بهدف إجبار تلك الارواح على التخلي عن قبضتها على المريض ومغادرة جسده. ومن هذه البدايات الخرافية، نشأ الطب وارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات الدينية السائدة آنذاك. وبالمثل، فإن العرافة عن طريق فحص الكبد رغم أنها ممارسة تنتمي إلى عهد الثقافة البدائية وتستند إلى افتراض يُعدّ قمةً في السخف من منظور العلم الحديث قد أدت مع ذلك إلى دراسة علم التشريح وفي الواقع يُمثّل فحص الكبد لأغراض العرافة بدايات دراسة علم التشريح. وكما أدى التنجيم إلى نشوء علم الفلك، أدى رصد "نُذُر الولادة" (العلامات المصاحبة للولادة) إلى ظهور علم آخر أو على الأقل مجال معرفي عُدَّ علماً حتى وقت قريب ألا وهو دراسة الفراسة (أي استدلال الطباع من الملامح) لدى البشر والحيوانات. إن الاهتمام البالغ بكافة أنواع السمات غير المألوفة لدى صغار الحيوانات والمواليد الجدد قد شحذ – بطبيعة الحال – ملكة الملاحظة، ودفع الناس إلى فحص ودراسة ملامح المولود الجديد بدقة

وعناية. وقد شكّل التشابه المفترض بين ملامح الرضيع وملامح حيوان ما وهو أمر لعب دوراً كبيراً في عملية الفحص هذه – نقطة انطلاق طبيعية ومنها لم تكن الخطوة كبيرة للوصول إلى الاعتقاد بأن هذا التشابه المفترض له دلالة تتعلق بالطفل نفسه. وبعبارة أخرى، كانت لنُذُر الولادة فيما يتعلق بالظواهر التي تظهر لدى الرضع دلالة مزدوجة فهي كانت تنبئ بحدث ذي شأن، سواء بالنسبة للصالح العام أو بالنسبة للبيت الذي تمت فيه الولادة، وكذلك بالنسبة للطفل ذاته.

ولكن الأمر المثير للاهتمام هو أن أولئك الذين رفضوا نظرية تحوّل نوعٍ ما إلى نوعٍ آخر، ظلوا متمسكين بفكرة أن سماتٍ معينة لدى الفرد يمكن ربطها وتفسيرها من خلال ملامح مشتركة بينه وبين حيوانٍ ما. ومن أبرز هؤلاء "جيوفاني بورتا"، وهو عالم مرموق للغاية من علماء القرن السادس عشر فرغم إيمانه بالسحر، كان أيضاً باحثاً علمياً أثبتت أبحاثه قيمةً كبيرة في تطوير نظرية حقيقية للضوء، كما أنه من بين إنجازات أخرى اخترع "الكاميرا المظلمة". وقد ألّف كتاباً باللغة اللاتينية بعنوان (سورينتو، 1586)، وترجمه بنفسه إلى الإيطالية (نابولي، 1598)، ثم صدرت منه لاحقاً نسخ بالفرنسية والألمانية. وفي الواقع، ظل هذا الكتاب المرجع الأساسي في هذا المجال حتى ظهور عمل "لافاتير" العظيم حول "علم الفراسة" في أواخر القرن الثامن عشر. عارض بورتا نظرية أفلاطون القائلة بأن الإنسان يحمل سمات الحيوان الذي يشبهه، وذلك استناداً إلى أن ملامح الإنسان قد توحي بوجود شبه مع حيوانات متعددة فقد تذكّر جبهته جبهة الكلب، بينما قد يشبه فمه خطم الخنزير، وقد تشبه أذناه أذني الحمار. بل إن بورتا يرى أنه لا يوجد إنسان يمتلك ملامح توحي جميعها بالمقارنة مع حيوان واحد فقط. ومع ذلك، يرى بورتا أن الشبه بين البشر والحيوانات –وهو أمر بديهي يشكل أساساً لدراسة الشخصية الإنسانية، ولكن مع تعديلٍ يزيد النظرية تعقيداً، مفاده أن كل ملمح سواء الجبهة أو العينان أو الأنف أو الفم أو الأذنان أو الشفتان أو حتى الحاجبان، وكذلك لون شعر الرأس أو اللحية– يكشف عن سمةٍ معينة من سمات الشخصية. إن تحديد السمات الشخصية يتم من خلال الجمع بين كل هذه الخصائص؛ غير أن "بورتا" يعمد إلى مقارنة كل سمة منها بما يقابلها لدى حيوان معين، موضحاً دلالتها استناداً إلى المفهوم المرتبط بذلك الحيوان. ولذا، فإن مؤلَّف "بورتا" يزخر بالمقارنات بين البشر والحيوانات على غرار مؤلفات غيره من علماء الفراسة إلا أنه يتناولها بأسلوب أكثر تفصيلاً فعلى سبيل المثال، كانت الجبهة الطويلة أو تلك التي لا تتسم بالاستواء التام أو الانبساط المفرط توحي لـ "بورتا" بتمتع صاحبها بصفات الحكمة والفطنة.

ولو لاحظنا عملية التأثير التي حدثت في انتقال الأفكار عن التنجيم نجد أنها تسللت من بابل الى اشور والى المدرسة الاورفية ومنها الى الاغريق والرومان وبالتالي لا يمكن للعلماء الغربيون الذين كانوا يعيشون تحت بطش الكنيسة ان

يترجموا الموضوع من أي وجهة نظر إيجابية تعطيه حقه في البحث الجدي ، لهذا فشلوا في فهم التنجيم كعلم نوعي كان البابليون يستخدمونه في مراحل عليا من حضارتهم وليس في بداياتها ..

وهناك جانب آخر لموضوع النبوءات المستمدة من أحوال الولادة عند البابليين والآشوريين يستحق الاهتمام ، إذ من شأنه أن يزيد من توضيح الأهمية الثقافية للأفكار التي أدت إلى نشوء هذا الفرع الواسع من فن العرافة البابلي ـ الآشوري. لقد لاحظنا، في سياق دراستنا، ميلاً لدى الكهنة العرافين لإطلاق العنان لمخيلتهم؛ مما أدى إلى توسيع نطاق السجلات التي توثق الحوادث الواقعية لتشمل أيضاً حالات شاذة لا تحدث في الواقع. وسعياً منهم للاستعداد لكافة الاحتمالات، قام الكهنة كما رأينا بتوسيع نطاق هذه النبوءات في شتى الاتجاهات وذلك من خلال تدوين حالات لولادات متعددة (توائم بأعداد متزايدة) تتجاوز أقصى درجات الاحتمال، وتسجيل حالات مبالغ فيها بنفس القدر تتعلق بزيادة في عدد الأعضاء أو أجزاء الجسم، فضلاً عن صياغة تصورات خيالية للغاية تدمج بين سمات وهيئات وأجزاء حيوانات مختلفة في حالات المواليد من البشر وصغار الحيوانات. وقد أدى حذف حرف التشبيه (مثل/كـ) في هذه السجلات إلى طمس نقطة الانطلاق لتلك المقارنات، مما جعل من الطبيعي أن تترسخ فكرة أن تلد النعجة أسداً بالفعل، أو أن تلد المرأة حيواناً ما –كأسد أو كلب أو ثعلب أو غيرها–. ورغم غرابة هذا الأمر بالنسبة لنا، إلا أننا إذا وضعنا في الاعتبار جهل الناس في العالم القديم بأصل الحمل ومراحله، ونقص المعرفة العام بقوانين الطبيعة، فإن الخط الفاصل بين الممكن والمستحيل

وبالمثل، تكون تلك الآثار باهتة. وعلى أية حال، فإن الانتقال من ملاحظة الحالات غير الطبيعية إلى الإيمان بوجود كائنات مشوهة (مسوخ) يصبح أمراً أكثر سهولة وقبولاً. وفي الواقع، ومن خلال الجمع بين كافة السمات الواردة في سجلات الكهنة، نجد أساساً منطقياً لذلك الاعتقاد الذي انتشر في الشرق القديم وكذلك في العالم اليوناني والروماني واستمر حتى اليوم في العلم الحديث بوجود شتى أنواع الكائنات المشوهة التي نجد انعكاساً لها في المخلوقات والحكايات الشعبية. وبعبارة أخرى، تشكل نذائر الولادة البابلية ـ الآشورية الفصل الأول في تاريخ المسوخ. إن مصطلح (مسخ) ذاته، كما أُشير سابقاً، يعكس وجهة النظر البابلية ـ الآشورية إذ يُنظر إلى الكائن باعتباره مرسلاً كعلامة "تشير" إلى حدث قادم. فالمسخ هو في حقيقته تجلٍّ لإرادة الإله أو قصده، وتتحدد دلالة هذا التجلي بوضوح من خلال التفسير الذي يُسبغ عليه. ولعل هذه النقطة تتضح أكثر إذا نظرنا في بعض الاحتمالات التي تضمنتها نذائر الولادة البابلية ـ الآشورية فالنعجة التي تلد حملاً برأسين أو أكثر، أو تلد مخلوقاً تتضاعف فيه بعض الأعضاء وأجزاء الجسم بينما تظل أجزاء أخرى مفردة، تُعدّ بالتأكيد حالة مسخية؛ ولا يفصلنا سوى خطوة صغيرة بين هذه المسوخ –التي تندرج ضمن فئة الحالات غير الطبيعية الممكنة واقعياً وبين التوليفات المتخيلة التي تجمع أجزاءً

أو سماتٍ لحيوانات مختلفة في كائن واحد. في الواقع، نقرأ في أحد هذه النصوص عن كائن يُدعى "إيسبو" أو حمل صغير يمتلك رأس أسد وذيل ثعلب، أو رأس كلب وفم أسد، أو رأس وعل وفم أسد ، كما نقرأ في نص آخر عن مُهور ذات رؤوس أو ألباد (أعراف) أسود، أو ذات مخالب أسود أو أقدام كلاب أو رؤوس كلاب. ولا يتطلب الأمر سوى المضي قُدماً بهذا المزيج الخيالي لنصل إلى التصور الذي أدى إلى ابتكار صور "أبو الهول" المصري أو كائنات "شيدو" أو "لاماسو" البابلية تلك الأرواح أو الكيانات الحامية التي تتولى الحراسة .

عند مداخل القصور والمعابد، حيث تظهر هذه الكائنات برأس إنسان وجسد أسد أو ثور، وتتميز تماثيل "أبو الهول" الآشورية بوجود أجنحة نسر أيضاً. وبالمثل، نجد في حالات المواليد تشوهات خلقية حقيقية سُجّلت تاريخياً، مثل طفل بوجهين وأربع أيدٍ وأربع أرجل، أو طفل بأذن أسد وفم طائر. ومن هنا، لا يتطلب الأمر سوى خطوة صغيرة للانتقال إلى تصور كائنات هجينة مثل "الهيبوكنتور" (نصف إنسان ونصف حصان)، أو "الترايتون" وحوريات البحر (نصف إنسان ونصف سمكة)، أو "الساتير" و"الفون" (كائنات نصف بشرية ونصف حيوانية)، أو وحوش متعددة الرؤوس مثل "سيربيروس."

لقد ساد الاعتقاد بأن تصور مثل هذه الكائنات الهجينة الأسطورية كان يستند إلى اعتقاد شعبي بنوع من نظرية التطور البدائية فوفقاً لهذه النظرية، نشأت المخلوقات في مرحلة مبكرة بأشكال مختلطة، ثم حلّ النظام تدريجياً محل حالة الفوضى تلك التي اتسمت بها بدايات الخلق. وقد عبّر "بيروسوس" عن هذه النظرية في سرده لقصة الخلق وفقاً للتقاليد البابلية، واصفاً تلك المخلوقات "المختلطة" التي ميزت تلك الحقبة الزمنية المبكرة بشر بأجنحة مزدوجة، وبعضهم بأربعة أجنحة ووجهين، وآخرون بجسد واحد ورأسين مع امتلاك أعضاء تناسلية ذكرية وأنثوية، وفئة أخرى بأرجل وقرون ماعز، أو بأقدام خيول وأجساد تجمع بين هيئة الحصان في النصف الخلفي وهيئة الإنسان في النصف الأمامي (أي الهيبوكنتور). كما وُجدت ثيران برؤوس بشرية، وكلاب بأربعة أجساد وذيول أسماك، وخيول برؤوس كلاب، وبشر ومخلوقات أخرى برؤوس وأجساد خيول ولكن بذيول أسماك، إلى جانب كائنات متنوعة أخرى اتخذت أشكالاً تحاكي شتى أنواع الحيوانات... باختصار، تشكيلة واسعة من الكائنات الهجينة المدهشة . إن هذا الوصف الذي تؤكده جزئياً "ملحمة مردوخ" أو الرواية البابلية لقصة الخلق، حيث نجد "رجال العقارب" و"رجال الأسماك" و"مخلوقات الماعز السمكة" والتنانين وغيرها من الكائنات الوحشية التي تُعدّ من نسل "تيامات" (رمز الفوضى البدائية ـ تصادم قمرين كانا محيطين بالأرض) يبدو وكأنه مقتطف من نصوص النبوءات المستمدة من حالات الولادة في التراث البابلي ـ الآشوري وكتيبات العرافة. في الواقع يمكن العثور على نظائر للعديد من الكائنات الهجينة التي وصفها "بيروسوس" في تلك الأجزاء التي نُشرت من هذه المجموعات. ولذا، فإن أطروحتي هي أن النبوءات

المستمدة من هيئة المواليد (أو الشواذ الخِلقية عند الولادة) قد أدت إلى نشوء الاعتقاد بوجود شتى أنواع الكائنات المسخية والخيالية. فقد أدت أوجه الشبه بين البشر والحيوانات، وكذلك بين حيوانات من فصائل مختلفة، إلى افتراض إمكانية نشوء كائنات هجينة بشتى الأشكال في الطبيعة. إن تلك التوليفات الخيالية الواردة في مجموعات كهنة بابل والتي كانت تعكس جزئياً تصورات شعبية وجزئياً ممارسات "أكاديمية" لخيال الكهنة أنفسهم قد شكلت الأساس ونقطة الانطلاق لنظرية مفادها أن مثل هذه الكائنات الهجينة كانت تمثل "الوضع الطبيعي" في فجر الزمان (الذي كان يُنظر إليه كحالة من الفوضى والاضطراب)، بينما أصبحت ظاهرة استثنائية بعد أن حل النظام والقانون محل الفوضى والاضطراب، حيث بات ظهورها ينذر بانحراف وشيك عن الحالة المعتادة للأمور. وليس من المستغرب في تاريخ المعتقدات الدينية الشمسانية والشعبية أن نجد الخيال وأوجه الشبه المتخيلة تقود إلى الاعتقاد بوجود واقع فعلي فبمجرد أن ترسخت الفكرة المستوحاة من التشوهات الكثيرة وغير الطبيعية التي تظهر بين صغار الحيوانات الأليفة وبين الرضع، لم يعد هناك حد لمدى انطلاق الخيال في هذا الاتجاه. وإذا أضفنا إلى ذلك الأهمية العملية التي أُولِيَت لنُذُر الولادة، فمن الطبيعي تماماً أنه مع تطور وانتشار أنظمة العرافة المصممة لتفسير الظواهر الغريبة المرصودة عند الولادة، أن تتطور وتنتشر أيضاً المعتقدات المتعلقة بشتى أنواع المسوخ والمخلوقات الشاذة، وذلك بالتزامن مع توسع نفوذ العرافة البابلية ـ الآشورية.

وتقدم الأدبيات البابلية أمثلة عديدة على رسوخ مثل هذه المعتقدات ويكفي هنا الإشارة إلى (أ) "رجال العقرب" العمالقة الذين يحرسون بوابة الشمس في جبل "ماشو"، والذين وُصفوا في ملحمة جلجامش بأنهم "مروعون" وأن مجرد رؤيتهم تعني الموت . (ب) "إنكيدو"، رفيق جلجامش، الذي صُوِّر كإنسان بجسد ثور وقرني ثور بري (بيسون) (ج) الوحش "تيامات" في قصة الخلق، الذي صُوِّر في الفنون بفم ومخالب أمامية لأسد، وأجنحة وأقدام خلفية لنسر، أو كتنين هائل برأس ثعبان وأقدام أمامية لفهد ومخالب خلفية لنسر، أو وُصف أيضاً كثعبان ذي سبعة رؤوس (د) المخلوقات "الهجينة" التي تجمع بين الإنسان والثور أو الأسد والنسر المذكورة آنفاً، والتي تظهر بأشكال متنوعة في الفن البابلي والآشوري، وتظهر مجدداً على هيئة "أبو الهول" في الفن الحيثي والمصري. كما يظهر "الهيبوسنتور" (مخلوق نصفه إنسان ونصفه حصان) بأشكال مختلفة في الفن البابلي خلال العصر الكاشي.

كان موريس جاسترو محقاً في تتبعه لانتقال نُذُر الولادة البابلية ـ الآشورية إلى شعوب آسيا الصغرى ومنها إلى اليونانيين والرومان، وفي ربطه بين الاعتقاد بوجود كائنات شتى ذات أشكال مسخية وأسطورية وبين هذه النُذُر باعتبار ذلك نتيجة مباشرة للتركيبات الخيالية التي تضمنتها مجموعات كهنة الشمس فإن انتشار هذا الاعتقاد ساهم في توسع نطاق نفوذ العرافة البابلية ـ الآشورية والثقافة الفراتية عموماً. ومن ثم، فإن الأطروحة المطروحة هنا تفترض

أن المخلوقات الأسطورية في الميثولوجيا اليونانية والرومانية فضلاً عن الاعتقاد الواسع بوجود مسوخ بشتى أشكالها لدى الكتاب اليونانيين والرومان، وهو اعتقاد انتقل عبر تأثير الأفكار البابلية الآشورية إلى العصور الوسطى وحتى عصرنا الحاضر وكما اثبتنا انها تعود في أصلها وجوهرها إلى نُذُر الولادة البابلية ـ الآشورية.

يُشكّل تاريخ الكائنات المسخية فصلاً مثيراً للاهتمام في سجلات التاريخ البشري، وأود في الختام أن ألفت الانتباه إلى استمرار هذا الاعتقاد حتى وقت قريب جداً من عصرنا الحالي. فلدى الرومان، وحتى في فترات متأخرة، كان يُطبَّق بصفة عامة القانون القديم القاضي إما بحرق هذه المسوخ أو إلقائها في البحر وقد تم ذلك انطلاقاً من افتراض مفاده أن الكائن المسخي يمثل نذير شؤم ينذر بالشر، وأنه أُرسل كنوع من العقاب. ويروي بلوتارخ قصةً تُظهر رغم الموقف المتشكك الذي تبناه الراوي أن وجهة النظر ذاتها كانت سائدة أيضاً بين اليونانيين. ومن اليونانيين والرومان، انتقل الاعتقاد بوجود شتى أنواع المسوخ... وكذلك النظرة التي تعتبرها علامات على الغضب الإلهي، وهو مفهوم انتقل إلى أوروبا المسيحية. وكما كان الحال تماماً عند البابليين والآشوريين، لم يكن هناك تمييز يُذكر بين التشوهات الخِلقية التي تحدث بالفعل مثل المواليد (سواء من البشر أو الحيوانات) الذين يولدون برأسين، أو بعين واحدة، أو بلا أنف، أو بوجوه مشوهة، أو بأطراف زائدة (كالأيدي أو الأقدام عند الأطفال، أو الأقدام الزائدة عند الحيوانات، وما إلى ذلك) وبين تلك الكائنات المتخيلة تماماً، أو التي يلعب فيها الخيال دوراً رئيسياً على الأقل.
فقد نشر أحد علماء اليسوعيين، ويدعى كونراد ليكوستينس عملاً مفصلاً وشاملاً عام 1557 بعنوان (سجل العجائب والآيات) صدر في بازل، جمع فيه كافة المعجزات والأحداث الخارقة والظواهر الغريبة منذ بدء الخليقة وحتى عصره. ولم يكن هذا العمل سوى واحد من مؤلفات عديدة من هذا النوع، وتتمثل سمته البارزة في خلط وتصنيف فئة واحدة تجمع بين المعجزات، والظواهر غير المألوفة في السماء وعلى الأرض، وحالات الولادة المشوهة سواء للبشر أو الحيوانات بما في ذلك المسوخ والمخلوقات الهجينة الخيالية إذ كان يُنظر إلى كل هذه الأمور باعتبارها علامات مرسلة من قِبل قوة إلهية. يُدرج ليكوستينيس في مؤلَّفه رواياتٍ لكُتّابٍ قدامى ورحّالةٍ لاحقين حول شعوبٍ ذات تكوينٍ عجيب، مثل "السكيبوديس" و"المونوميري" الذين يذكر بليني أن لديهم قدماً واحدة فقط وشعوبٍ لها رؤوس كلاب وآخرين يعيشون في غرب إثيوبيا ولهم أربع عيون، و"الإيبوبوديس" في آسيا الذين يمتلكون أقدام خيول، و"السكيثيين" (المصدر نفسه) الذين لديهم عين واحدة فقط، أو شعوبٍ بلا رؤوس، وآخرين تقع عيونهم وأنوفهم وأفواههم على صدورهم ، أو مَن لديهم ستة أذرع ، أو مَن يمتلكون حوافر وقروناً، أو نساءٍ يضعن صغارهن في هيئة بيض.

خلاصة ما توصلنا إليه من استنتاجات:

1 .تستند نُذُر الولادة البابلية-الآشورية التي يعود تاريخها إلى ما لا يقل عن عام 2000 قبل الميلاد إلى الانطباع الذي يتركه لغز انبثاق حياة جديدة من حياة أخرى.

2 .كان التشابه الملحوظ والذي غالباً ما كان لافتاً للنظر بين ملامح الرضيع وملامح حيوان ما، أو بين حيوان وآخر، عاملاً رئيسياً في تفسير تلك النُذُر.

3. فكما أدى فن قراءة الطالع من خلال الكبد (الهيباتوسكوبي) لدى البابليين والآشوريين إلى دراسة تشريح الكبد، أصبح التشابه بين الإنسان والحيوان أساساً لدراسة "الفراسة" (تحديد السمات الشخصية من الملامح)، وهي دراسة اتخذها اليونانيون والرومان وسيلةً لتحديد شخصية الفرد؛ تماماً كما استُخدم علم التنجيم البابلي-الآشوري -بعد انتقاله إلى اليونان وروما- لتحديد طالع الفرد، أي معرفة المسار العام لحياته.

4 .أدى هذا العامل نفسه -أي التشابه بين البشر والحيوانات- مقترناً بالجهل بآليات الطبيعة، إلى الاعتقاد بوجود كائنات هجينة متنوعة تتألف من أعضاء أو سمات بشرية وحيوانية مختلطة.

5 .يكمن هذا الاعتقاد وراء الكائنات الأسطورية في الميثولوجيا اليونانية والرومانية، كما يساعد في تفسير تصوير الآلهة -في مصر والهند والصين- بهيئات تجمع بين السمات البشرية والحيوانية.

6 .إن إدراك وجود تشابه بين الإنسان والحيوان هو ظاهرة عالمية؛ فإلى جانب ارتباطه بـ "نُذُر الولادة" (التنبؤات المرتبطة بالسمات الجسدية للمولود) وما أدى إليه ذلك من اعتقاد بوجود كائنات حقيقية تجمع بين الأعضاء البشرية والحيوانية، فقد تطور هذا المفهوم -بشكل مستقل عن تلك الارتباطات في ثلاثة اتجاهات أخرى: أولاً، الاعتقاد بأن عشيرة أو مجموعة بشرية ما تنحدر من أصل حيواني وثانياً، الاعتقاد بإمكانية تحول الإنسان إلى حيوان والعكس؛ وثالثاً، ظهور حكايات الحيوان في الهند التي تُصوّر حيوانات تتحدث مثل البشر.

7 .تعكس النظرية التي طرحها "بيروسوس حول حقبة زمنية وُجدت فيها كائنات هجينة متنوعة، تلك التشكيلات الخيالية الموجودة في سجلات كهنة "البارو الشمسانيين البابليين.

8. يمكن إرجاع النظرة الرومانية للمسخ أو الكائن الشاذ اعتباره "علامة" أو نذيراً بحدث كارثي مباشرةً إلى وجهة النظر البابلية-الآشورية التي تعتبر التشوهات الجسدية بشتى أنواعها والانحرافات عن الطبيعة المألوفة بمثابة نُذُر مرتبطة بالولادة.

9 .أدى الجهل التام بمسار الطبيعة وما ترتب عليه من افتراض إمكانية حدوث الحمل دون جماع إلى نتيجة حتمية تمثلت في الاعتقاد بأن النساء اللواتي يلدن كائنات مشوهة (مسوخاً) قد مارسن الجنس سواء عن عمد أو دون

علمهن مع كائنات شريرة بصفتهم مبعوثين وقد ساهم هذا الموقف في ترسيخ الاعتقاد بوجود المسوخ حتى مشارف عصر العلم الحديث.

10 .استمر العمل لفترة طويلة بالقانون الروماني القاضي بحرق المولود المشوه أو إلقائه في البحر، كما أدى ذلك أيضاً إلى معاقبة المرأة التي أنجبت مسخاً نتيجة لما قيل إنه جماع مع كائن سُفلي.

11 .لعبت النظرة التي اعتبرت المسوخ علامة مرسلة من إله غاضب دوراً كبيراً في الحيلولة دون ظهور نظرية علمية تفسر التشوهات الخلقية الفعلية بشتى أنواعها.

12. يمثل ظهور "علم دراسة التشوهات الخلقية" كفرع من فروع العلوم الطبية في القرن التاسع عشر الفصل الختامي في تاريخ المسوخ؛ وهو تاريخ يمكن تتبع جذوره وصولاً إلى "نبوءات الولادة" البابلية–الآشورية، التي تُعد واحدة من الفروع الثلاثة الرئيسية للعرافة البابلية–الآشورية. وقد انتشرت هذه الممارسات مع اتساع نطاق تأثير حضارة وادي الفرات في آسيا الصغرى وغرباً نحو اليونان وروما، كما يُحتمل أنها انتقلت أيضاً إلى الشرق الأقصى.

ازداد الاهتمام التاريخي بالتفاعل بين الشرق الأدنى القديم وغرب البحر الأبيض المتوسط، سواء في العالم الكلاسيكي أو، على وجه الخصوص، العالم الهلنستي، في مجالي الدراسات الكلاسيكية وعلم الآشوريات. وقد أسس الجيل الحالي من علماء الكلاسيكيات وعلماء الآشوريات حوارًا، ولكن لا يزال هناك الكثير مما يجب فعله. والهدف من جمع هذه السلسلة من المقالات المترابطة في التنجيم الفلكي البابلي وعلم التنجيم وعلم الفلك، ولكن ارتباطها المستمر، بشكل أو بآخر، بمسألة العلوم الفلكية البابلية وإرثها في العالم اليوناني الروماني، على المستوى الوصفي، يهتمون جميعًا باستكشاف بعض جوانب تطور وممارسة العلوم الفلكية في بلاد ما بين النهرين القديمة. في النصوص المسمارية، لم تكن هناك لغة تميز بين ما يُسمى من وجهة نظر حديثة بالتنجيم وعلم الفلك، وهما فرعان لدراسة السماء وكوزمولوجيا الوجود ، أحدهما للتنبؤ بالظواهر نفسها، والآخر للتنبؤ بالأحداث الدنيوية. في غرب البحر الأبيض المتوسط، الذي استقبل الكثير من المواد البابلية في كلا المجالين، لم يتم تمييز المصطلحات بطريقة متسقة حتى أواخر العصور القديمة. وحتى ذلك الحين، فإن استخدام مصطلحي "التنجيم" و"علم الفلك" لا يتوافق دائمًا مع تمييزنا الحديث. إن الفصل المعرفي في العصر الحديث بين علم الفلك كمعرفة مشروعة ناتجة عن منهج بحثي محدد (تجريبي، كمي، وتنبؤي) وبين التنجيم كمعتقد غير مشروع بأن الاهتمامات الإنسانية والدنيوية تنعكس في النجوم، لا مثيل له في العصور القديمة في الشرق الأدنى. فعندما تُنقل معايير التمييز، كتلك التي يمكن الاستناد إليها في العلوم الحديثة، إلى العصور القديمة، تكون النتيجة مفارقة تاريخية وسوء فهم. إن الأدلة على نمط فكري يُفترض أنه فريد ومتأصل في

العلم وحده، وفي ثقافة تمثله وتحافظ عليه، لا تُعدّ إشكالية كبيرة في أي حقبة تاريخية فحسب، بما في ذلك الحقبة الحالية، بل إنها غير موجودة أيضاً في أغلب الدراسات الأكاديمية ..

تتناول هذه الدراسات ممارسة العلم في الثقافات التي تندرج ضمن الإطار الذي حددته الأوراق البحثية المجمعة هنا، أي حضارة بلاد الرافدين القديمة أو الحضارة اليونانية الرومانية. ولذا، تُعتمد المصادر المسمارية المتعلقة بعلم الفلك والتنجيم على حد سواء في هذه الدراسات كدليل على وجود ثقافة فكرية قديمة متكاملة ومتميزة، حددت غايات المعرفة والاستقصاء المعرفي بطريقة خاصة.

تمتد الأدلة المكتوبة التي توثق نشاط الكتبة المسماريين المشتغلين بعلوم الأجرام السماوية أي علم الفلك والتنجيم على مدى قرابة ألفي عام من التاريخ الثقافي لبلاد الرافدين القديمة. وقد أدى التركيز على الظواهر السماوية عبر هذا التاريخ إلى تطوير واستخدام مفاهيم فلكية وطرق للتنبؤ بتلك الظواهر، فضلاً عن التوصل في نهاية المطاف إلى تقويم دقيق ومتسق خدم علماء الفلك حتى انقضاء التقليد المسماري في القرن الأول الميلادي. ظلت علوم الأجرام السماوية البابلية سواء علم الفلك (بالمفهوم الحديث للمصطلح)، أو التنجيم السماوي، أو لاحقاً التنجيم القائم على الأبراج (الهوروسكوب) مترابطة بل ومتداخلة فيما بينها؛ إذ كانت الظواهر السماوية محط اهتمام وبحث على مستويات عدة: باعتبارها نُذراً للمستقبل، وموضوعاً للمراقبة التجريبية المنتظمة، وهدفاً للتنبؤ الرياضي. لقد مارست هذه السمة المميزة لثقافة الكتبة المسماريين تأثيراً عميقاً امتد إلى المناطق المجاورة والبعيدة على حد سواء، متجاوزةً بذلك الحدود الجغرافية والتاريخية لبلاد الرافدين القديمة. وقد بدأت هذه العملية بالفعل خلال الألفية الثانية قبل الميلاد مع انتشار ممارسات التنجيم السماوي، ثم انتقلت لاحقاً المعايير والأساليب الفلكية، إلى جانب فكرة التنجيم المرتبط بموعد الميلاد ، لتصبح جزءاً من الثقافة الهلنستية. ورغم أن إرث التقاليد البابلية المتعلقة بالقمر والكواكب والنجوم في العالم اليوناني الروماني (فيما بعد القرن الثاني قبل الميلاد) لا يشكل بحد ذاته المحور المباشر لكل ورقة بحثية في هذه المجموعة، إلا أن الوعي الصريح أو الضمني بأهمية عملية انتقال المعرفة يرسخ سياقاً تاريخياً وثقافياً أوسع لعلوم الأجرام السماوية في بلاد الرافدين القديمة.

يكاد الاهتمام الأكاديمي بتراث العرافة السماوية وعلم الفلك البابليين يضاهي في قِدَمه معرفتنا بالمصادر ذاتها. ففي وقت مبكر من القرن العشرين، بحث كل من "سي. بيزولد "و"إف. بول "في نصوص مسمارية متعلقة بالتنجيم كانت قد حُرِّرت ونُشرت حديثاً آنذاك بحثاً عن نظائر لها في الثقافة اليونانية الهلنستية. وقد وسّع "ديفيد بينجري نطاق البحث في انتقال علوم الأجرام السماوية من الشرق الأدنى القديم ليشمل أدبيات التنجيم والنبوءات (الفأل)، ليس فقط باللغتين اليونانية واللاتينية، بل وباللغات الآرامية والعبرية والسريانية والعربية والفارسية والسنسكريتية أيضاً.

وعلاوة على ذلك، حدّد "بينجري" بدقة البُعد التاريخي لعملية الانتقال هذه، مُركِّزاً على النصوص ونظائرها في فترات زمنية متباينة لا سيما العصور الآشورية الحديثة والفارسية والهلنستية وتتبّع تلك النظائر عبر مسارات معقدة لتاريخ المخطوطات امتدت حتى العصور البيزنطية اليونانية والعصور الوسطى العربية.

إن استمرار التقاليد العلمية خارج السياقات الاجتماعية المحلية التي أنتجتها في بادئ الأمر، وانتقالها عبر ثقافات متنوعة كالانتقال من اليونان القديمة إلى الهند في حالة علم الفلك الرياضي، أو من بلاد الرافدين القديمة إلى الغرب في العصور الوسطى في حالة التنجيم كان يُنظر إليه في وقت ما باعتباره دليلاً على نزعة العلم نحو العالمية وقدرته على تجاوز حدود الثقافة والتاريخ. ومع ذلك، فإن تقاليد عريقة وممتدة زمنياً، مثل علم الفلك والتنجيم الغربيين، قد خضعت لعمليات تكييف وتعديل أثناء تلقيها وهي عمليات تكييف تحددها بدورها الاختلافات الاجتماعية والمفاهيمية المحلية. لذا، لم تؤدِ عمليات الانتقال والاقتباس إلى نشوء تقليد علمي متجانس، بل أفضت إلى تنوع أكبر في توظيف المعارف الفلكية والتنجيمية خلال الحقبة اليونانية الرومانية.

ظلت المعرفة بالجذور الثقافية والمسار العلمي لعلوم الفلك الأوروبية التي تعود إلى الشرق الأدنى القديم محدودة للغاية حتى أُعيد اكتشاف النصوص الفلكية المسمارية وفُكّت رموزها في القرن التاسع عشر. ومع الكشف الأثري عن البقايا المعمارية والمادية والنقوش الخاصة بممالك بابل وآشور القديمة، فتحت النصوص المسمارية فصلاً جديداً وهاماً لم يكن في الحسبان من قبل في تاريخ علم الفلك والتنجيم الغربي إذ كشفت ووضّحت عناصر كانت متأصلة بالفعل في التقاليد الفلكية الغربية منذ العصور اليونانية الرومانية وحتى عصر النهضة، وكذلك في علم الفلك الهندي خلال العصور الوسطى وما بعدها.

ورغم أن بعض الورثة الأوروبيين لعلوم بلاد الرافدين في حقبة ما قبل العصر الحديث كانوا يدركون جيداً تراثهم الفلكي والتنجيمي، إلا أن معرفتهم بالطابع البابلي تحديداً تمييزاً له عما كان يُنظر إليه آنذاك على أنه مصادر "شرقية" أخرى كانت محدودة وغالباً ما اتسمت بعدم الدقة. لقد نُسبت الأولوية في العلوم الفلكية إلى كل من مصر وبابل بشكل غامض نوعاً ما من قِبَل اليونانيين في العصر الهيلينستي، واستمر هذا التقليد حتى أواخر العصور القديمة؛ ومثال ذلك ما ورد عند "فيرميكوس ماتيرنوس" الذي استهل كتابه "ماثيسيس" عام 336 ميلادية بتوضيح لراعية "مافورتيوس" قائلاً : "عند تلك النقطة تجرأتُ على تقديم عرضٍ متهورٍ وعفوي بأن أدوّن لك ما توارثناه عن الحكماء المصريين والكهنة البابليين الذين يمتلكون معرفة واسعة بقوى النجوم ضمن تعاليمهم المتعلقة بالتنجيم". ويمكن تلمّس آثار هذا الارتباط حتى لدى علماء الدراسات الكلاسيكية الأوروبيين في عصر النهضة، مثل "سكاليجر" إذ ذكر في طبعته لكتاب "أسترونوميكا" لمؤلفه "مانيليوس"الذي يعود للقرن الأول الميلادي أن "يودوكسوس" كان أول من

نقل علم الفلك من المصريين إلى مواطنيه اليونانيين ورغم أن عدداً من العناصر البابلية مثل تقسيم الدائرة إلى 360 وحدة نطلق عليها اسم "الدرجات"، واعتماد النظام الستيني لقياس الزمن والأقواس، ودائرة البروج، وعدد من المعايير الفلكية كطول الشهر القمري المتوسط/الاقتراني (29 يوماً و31 دقيقة و50 ثانية و8 أجزاء من الثانية و20 جزءاً من جزء من الثانية) قد أصبحت جزءاً أصيلاً من علم الفلك اليوناني منذ أن بدأ اليونانيون في تبني الأساليب الكمية البابلية ..

طرقٍ تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد، إلا أن المصادر البابلية المحددة لهذه العناصر ظلت مجهولة حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حين تم فك رموز وتفسير الألواح المسمارية الفلكية البابلية المتأخرة التي عُثر عليها في مدينتي بابل وأوروك البابليتين إبان العصر الهيلينستي.

تتسم عملية انتقال العلوم السماوية البابلية (ما نطلق عليه اليوم علم الفلك والتنجيم) إلى العالم الهيلينستي بالتعقيد من منظور تاريخي؛ فهي تشمل كلاً من الرواية التاريخية التي تعود لذلك العصر أي كيف نظر الكتاب اليونانيون والرومان إلى التراث الفلكي القادم من الشرق– وبين المراجعة الحديثة القائمة على النصوص المسمارية. وتنطوي هذه الرواية الحديثة بحد ذاتها على جانبين متميزين ظهرا بالتتابع: أولاً، أتاح استعادة النصوص الفلكية المسمارية وعرضها للعلماء المعاصرين تقييم المزاعم اليونانية والرومانية القديمة حول تاريخ علم الفلك ومقارنتها بالمصادر الأصلية. وثانياً، أظهرت عملية إعادة بناء سياق فكري واسع –يجمع بين علوم السماء في بلاد الرافدين القديمة، وحتى اللاهوت النجمي (لعدم توفر مصطلح أدق)، ونظيراتها اليونانية واللاتينية– وجود بيئة خصبة اكتسبت فيها المعرفة والمنهجيات الفلكية دلالةً وفائدةً عمليةً في جميع أنحاء منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى. وكما ذكر جيه. إيفانز وإل. بيرغرين في مقدمة تحقيقهما للأطروحة الفلكية الهيلينستية "إيساغوجي" للعالم جيمينوس، فإن علم الفلك كان يرتبط "بروابط حيوية تكاد تشمل كل جانب آخر من جوانب الثقافة" إذ كانت له "صلات بالديانة القديمة، حيث كان الاعتقاد السائد على نطاق واسع أن الكواكب كائنات إلهية، كما استأثرت الظواهر السماوية باهتمام الشعراء الذين تغنوا منذ عهد هسيود بالآيات السماوية ودورة العام".

تُعد مسألة "لماذا" و"كيف" حدث هذا الانتقال المعرفي أمراً معقداً، ولا يعود ذلك فقط إلى خلو المصادر من معالجة هذه المسائل بشكل مباشر. فمن المرجح أن تواصل اليونانيين مع العلوم السماوية البابلية كان مرتبطاً بتفاعلهم العام مع شعوب الشرق الأدنى ونصوصهم وثقافتهم في الفترة التي تلت سقوط بلاد فارس ويشمل ذلك تعرّفهم على اليهود، الذين كما ناقش ذلك بوضوح "أ. موميليانو" غالباً ما جرى تصنيفهم في خانة واحدة مع غيرهم من الحكماء والكهنة القادمين من مناطق أبعد شرقاً. وقد أثبتت أعمال كل من "جيه. سي. فاندركام" و"إتش. إس.

كفانفيغ" ومؤخراً "إم. ألباني" و"يو. غليسمر" و"جيه. بن–دوف" و"دبليو. هورويتز" وبشكل مقنع، وجود تأثير للتقاليد الفلكية المبكرة في بلاد الرافدين بل وحتى بعض التقاليد اللاحقة، مثل ظاهرة "الثلاثية القمرية" الواردة في النصوص الفلكية غير الرياضية التي تعود لما بعد القرن السابع قبل الميلاد– على الأدب الرؤيوي (الأبوكاليبتي) اليهودي. وفي معرض استعراضهم للدراسات الأكاديمية حول نصوص التقويم في "قمران" ومؤلفات الأسوديبوغرافيا أشار كل من "جيه. بن–دوف" و"إس. سولنييه" إلى أنه "بات من المسلّم به الآن أن الأدب الذي يجمع بين العرافة والعلم في قمران والذي يُعد أحدث عهداً نوعاً ما من نصوص التقويم يمكن دراسته بشكل مثمر في ضوء النصوص العلمية القادمة من بلاد الرافدين والعالم الهيلينستي". إن عناصر علم الفلك البابلي الملحوظة في تقاليد "أخنوخ" وتقاليد "قمران"، إلى جانب الصورة الأشمل لوجود جسر ثقافي وفكري يربط بين بلاد الرافدين والعالم اليهودي الهيلينستي، تُشكّل جزءاً من تلك الوسيلة التي أُشير إليها آنفاً لانتقال المعارف الفلكية والتقويمية وتلك المتعلقة بالعرافة أو التنجيم. والمنهجيات في منطقة الشرق الأدنى وشرق البحر الأبيض المتوسط، والتي تواصل معها الإغريق.

إن الأدلة القديمة على أن المفكرين اليونانيين قد تعرفوا على التقاليد العلمية للشرق الأدنى واسعة النطاق، وإن كانت غامضة وغالبًا ما تكون مضللة، على سبيل المثال، في سياقات تتعلق بمعرفتهم بالرصد الفلكي البابلي (والمصري). قال أرسطو إن المصريين والبابليين "أجروا ملاحظات على مدى عدد كبير جدًا من السنين" وقدموا "العديد من البيانات الموثوقة للاعتقاد حول كل كوكب". في كتابه ، ذكر ديودور الصقلي في القرن الأول قبل الميلاد .
لفتت المبالغات اليونانية–الرومانية في نسبة المعرفة العلمية القديمة إلى البابليين انتباه المؤرخ وعالم الدراسات الكلاسيكية جوزيف سكاليجر ، الذي امتد نطاق اهتمامه التاريخي ليتجاوز اليونان وروما ويشمل الشرق الأدنى القديم. وفي دراسته، يصف أنتوني جرافتون كيف عثر سكاليجر على رواية تتحدث عن اقتباس اليونانيين للعلوم البابلية، وذلك في تعليق وضعه سيمبليكيوس في القرن السادس الميلادي على مؤلف أرسطو "في السماء ."واستناداً إلى سيمبليكيوس، صاغ سكاليجر قصة مفادها أن أرسطو طلب سجلات للرصد الفلكي من صهره كاليستينيس الذي يُزعم أنه رافق الإسكندر في حملته إلى آسيا وكان حاضراً في معركة غوغميلا. وتضمنت رواية سيمبليكيوس إشارة إلى ادعاء بورفيري بأن عمليات الرصد الفلكي البابلية قد حُفظت لمدة 31,000 عام. وكما يشير جرافتون، فإن النص الذي تناوله سكاليجر كان قد اعتراه خللٌ بالفعل إذ إن المقتطف الخاص بالفيلسوف الأفلاطوني المحدث بورفيري والذي استمد منه سيمبليكيوس قصته كان قد تُرجم بشكل خاطئ عائداً إلى اليونانية من ترجمة لاتينية تعود للقرن الثالث عشر أنجزها موربي ويوضح جرافتون ذلك قائلاً لقد وصف بورفيري بوضوح كاليستينيس وهو يبحث عن

معلومات فلكية ويعثر عليها. وهذا أمر منطقي تماماً ففي النهاية، أورد سيمبليكيوس هذا المقتطف أثناء مناقشة تاريخ وطبيعة علم الفلك اليوناني. غير أن سكاليجر لم يعر اهتماماً للمعنى الحرفي أو السياق الأوسع للكلمات وبالتالي اختلق وصفاً لسجلات تاريخية بابلية في نص لم يشر إليها قط. وبعد قرون من عمليات إعادة البناء والنسب هذه التي اعتمدت على مصادر وسيطة (نقلٍ عن نقل)، يمكن للمرء أن يدرك تماماً سبب الأهمية البالغة التي اكتسبها اكتشاف النصوص الفلكية المسمارية المعاصرة لتلك الحقبة بالنسبة لتاريخ علم الفلك.

ويذكر سترابو الجغرافي اليوناني الذي ازدهر نشاطه في الفترة الممتدة من منتصف القرن الأول قبل الميلاد وحتى وقت ما من القرن الأول الميلادي أسماء عدد من علماء الرياضيات والفلك البابليين (المعروفين بلقب ، وهم: سودينيس (سودي نيس) ، وكيديناس (كَدّي ناس) ، ونابوريانوس (نابور أنوس). وتأتي الأدلة التي تشير إلى أن سودي نيس قد كتب عن خصائص الأحجار من كتاب التاريخ الطبيعي لبليني، حيث يذكر أن سودي نيس كان على دراية بمواطن استخراج حجر الجزع (الأونيكس)، وبلور الصخر، والكهرمان، كما علّق على لون اللؤلؤ وحجر أستروويت أو حجر النجم. وهناك إشارة أخرى إلى سودينيس في التاريخ الطبيعي تصفه بأنه منجم كلداني وتتفق مع هذا الوصف قصاصة بردية تعود للقرن الثالث الميلادي، يُعتقد أنها تلخص تعليقاً للفيلسوف الرواقي بوسيدونيوس (الذي عاش في القرنين الثاني أو الأول قبل الميلاد) على محاورة "تيمايوس" لأفلاطون. وفي هذا النص، تُدرج تأثيرات الكواكب الخمسة والشمس والقمر وفقاً للخصائص الأرسطية (الحرارة والرطوبة والجفاف)، كما تُذكر دلالات إضافية تصف كواكب زحل والمشتري والمريخ والزهرة بأنها "مدمرة" للرجال والنساء، صغاراً وكباراً. ويُشار إلى كوكب الزهرة بصفته مدمراً للنساء ..

في حوالي عام 160 ميلادي، أورد المنجم "فيتيوس فالنس معايير لطول السنة وفقاً لعلم الفلك اليوناني والبابلي. وفي هذا السياق، ارتبط اسم سودي نيس بطول سنة يبلغ 365 + 4/1 + 3/1 + 5/1 يوماً، ويضيف فالنس أنه اعتمد على سودي نيس (وكذلك كَدّي نيس ونابور أنوس) لحساب الخسوف القمري، وأنه حدد نقاط الاعتدالين والانقلابين عند الدرجة الثامنة من الأبراج المقابلة لها. وتُعد الدرجة الثامنة من برج الحمل نقطة مرجعية بابلية معتمدة فعلياً للاعتدال الربيعي في نظام زودياك لا تُحسب فيه الدرجات بدءاً من نقطة الاعتدال الربيعي، بل من أبراج ثابتة فلكياً (نجمياً) تبدأ ببرج الحمل (الذي كان يُعرف بـ الأجير أو الرجل المأجور في الزودياك البابلي). وقد شكل هذا المعيار أي تحديد الاعتدال الربيعي عند الدرجة الثامنة من الحمل أساساً للعديد من النصوص التنجيمية الهلنستية وظل مستخدماً طوال العصور القديمة المتأخرة.

يظهر إسم كَدّي عينو في الخواتيم التعريفية لجدولين فلكيين مسماريين وهي جداول تقويمية لمواقع الإجرام حيث وصفا بأنهما بير سيتو كَدّي عينو وهو من وضع الجدولين ، ومن الملاحظ أن الأسماء والعلوم المستخدمة في علم الفلك البابلي هي ايزيدية بحته ليس بسبب تشابه الأسماء أبداً بل من خلال العلوم السرية المستخدمة الموجودة لحد هذا اليوم في العلم الايزيدي الخفي المقدّس ..

ويشير مصطلح بير سيتو إلى جداول تواريخ ومواقع القمر والكواكب التي حُسبت باستخدام طرق حسابية خطية ميزت علم الفلك البابلي المتأخر. وتختص كل من هاتين الجداول التي تذكر اسم كَدّي عينو بتحديد مواعيد المحاق (القمر الجديد) والبدر للسنوات المذكورة ففي إحدى الحالات، غطت الجداول الفترة ما بين عامي 104 و102 قبل الميلاد.

أما الفلكي البابلي الثالث الذي ذكره سترابو، واسمه نابور أنوس فقد فُسِّر على أنه الصيغة اليونانية للاسم البابلي نابو رمو أنو وهو اسم ورد في سياقٍ غير مكتمل ضمن الخاتمة النصية للوح فلكي عُثر عليه في بابل. وتُشير هذه الخاتمة إلى أن اللوح المذكور يُصنَّف أيضاً بوصفه بير سيتو أي جدولاً محسوباً وهو، شأنه شأن جداول كَدّي عينو جدولٌ يحدد تواريخ ومواقع أطوار القمر (المحاق والبدر) غير أنه يعود إلى فترة زمنية لاحقة، إذ يغطي السنوات 49–48 قبل الميلاد، مما يجعله واحداً من أحدث جداول التقويم القمري المسمارية الباقية.

إن المقاربة السليمة لجداول علم الفلك البابلي تمثل عمق تاريخي لعلم الفلك الذي يستخدمه الايزيديون اليوم ولا يستخدمه أي شعب آخر على وجه المعمورة لهذا لا يشكل الأمر مجرد تشابه بل الكلمة السليمة التي تعبّر عن الحقيقة هي أن الفلك البابلي هو عمق تاريخي للايزيدية وعلم الفلك الايزيدي اليوم هو امتداد حقيقي لبابل وعلومها ، لقد كانت محتويات هذه الجداول الفلكية معروفة عند اليونانيين لأنهم تسلحوا بها أثناء دراستهم في بابل وهذا ما تؤكده الآثار اليونانية نفسها ، واللوح الموجود اليوم في المتحف الوطني اليوناني المرقم بـ 4139 يشير الى هذه الحقيقة نفسها وهي أن الفلك والتنجيم والكثير من العلوم الشمسانية في بلاد الإغريق أتت من بابل وآشور ..

هذا اللوح اسمه أوكسيرينخوس ويعود الى القرن الثاني قبل الميلاد ويوضّح كيفية انتقال العلوم من المدرسة الشمسانية للعلوم السرية في بابل الى بلاد الإغريق ، وكانت محتويات هذه الجداول معروفة منذ القرن الأول قبل الميلاد ، وفي نفس الوقت كانت قيد الإستخدام عند اليونانيين والشعوب العراقية الأخرى التي ورثت الأرث البابلي العظيم في التنجيم ، وكانت تعتمد معايير النظام القمري البابلي الذي يرجع حسب ترجمة المخطوطات الى النظرية القمرية الأولى التي يستخدمها الايزيديون الى يومنا هذا دون باقي الشعوب ..

في الفصل 18 من كتاب جيمينوس (مقدمة في الظواهر) ، حيث يناقش العلاقات بين الفترة القمرية الشمسية. وقد تباينت التواريخ التي حُدِّدت لهذا العمل، لكن إيفانز وبيرغرين يُقدّمان حجةً مقنعةً لتاريخٍ يقع بين عامي 90 و35 قبل الميلاد، أي أنه معاصرٌ لديودوروس. في الفصل 18.9، يقول جيمينوس (وجد الكلدانيون أن متوسط حركة القمر اليومية هو 13 و10 و35 درجة . وعلى الرغم من أنه لا يُعرّف المعايير القمرية الأخرى المذكورة في هذا الفصل على هذا النحو، إلا أنها تُعدّ أيضًا معايير لدالة متعرجة بابلية نموذجية لتقدم القمر بالدرجات في اليوم ، وفي الفصل نفسه، يناقش جيمينوس دورة قمرية تُستخدم في التنبؤ بالكسوف تُسمى إكسيليغموس، هذه العلوم تجسدها أكثر من سبقة ونص ديني ايزيدي ..

والخلاصة من فصل التنجيم البابلي هي أن الذين يترجمون هذه الألواح يضعون أنفسهم في موقع معادي للمعطيات قبل فهمها بمجرد ظهور كلمة تنجيم في الألواح دون النظر الى طبيعة العلوم النوعية التي كانت سائدة في بابل ، وانتقلت منها الى باقي الشعوب ..

Sources

Les Religions de Babylonie et d'Assyrie. By E. Dhorme. Paris, 1945.

BabylonienundAssyrien. Vol. II. By B. Meissner. Heidelberg, 1925.

Babylonian Magic and Sorcery. By L. W. King. Luzac, 1896. Semitic Magic. By R. Campbell Thompson. Luzac, 1908.

The Babylonian Akitu Festival. By S. A. Pallis. Copenhagen, 1926.

The Code of Hammurabi. By R. F. Harper. Chicago, 1904.

The Assyrian Laws. By G. R. Driver and Sir J. C. Miles. Oxford, 1935.

Das weltliche Recht im Alten Testament. A. Jirku. Gutersloh, 1927.

Rituels Accadiens. By F. Thureau-Dangin. Paris, 1921.

Legends of Babylon and Egypt. By L. W. King. Schweich Lectures, 1916.

Ideas of Divine Rule in the Ancient East. By C. J. Gadd. Schweich Lectures, 1945.

Babylonian Menologies and the Semitic Calendars. By S. Langdon. Schweich Lectures, 1933.

The Origins of Early Semitic Ritual. By S. H. Hooke. Schweich Lectures, 1935.

Myth and Ritual. Ed. S. H. Hooke. Oxford, 1933.

Sumerian Mythology. By S. N. Kramer. Philadelphia, 1944.

State Letters of Assyria. By R. H. Pfeiffer. New Haven, 1935.

Die assyrische,," .," Maqlu. By G. Meier. Berlin, 1937.

Cylinder Seals. By H. Frankfort. Macmillan, 1939.

The Intellectual Adventure of Ancient Man. Ed. H. Frankfort. Chicago, 1946.

Kingship and the Gods. By H. Frankfort. Chicago, 1948.

Akkadische Götterepitheta. By K. Tallqvist. Leipzig, 1938.

Die physiognomischen Omina der Babylonier. By F. R. Kraus. Leipzig, 1935.

La Magie Assyrienne. By C. Fossey. Paris, 1902.

Aus dem Tagewerk eines assyrischen Zauberpriesters. By E. Ebeling. Leipzig, 1931.

Das assyrische Ritual By K. F. Miiller. Leipzig, 1937.

328 Assyrische-Bdbylonische Briefe kultischen Inhalts. By E. Behrens. Leipzig, 1906.

The Legend of Etana and the Eagle. By S. Langdon. Paris, 1932.

Chronicles concerning Early Babylonian Kings. By L. W. King. Luzac, 1907.

Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament. Ed. J. B. Pritchard. Princeton, 1950.

The Devils and Evil Spirits of Babylonia. By R. Campbell Thompson. Luzac. Tod und Leben nach den Vorstellungen der Babylonier. By E. Ebeling. Leipzig, 1931.

THE CIVILIZATION OF BABYLONIA AND ASSYRIA MORRIS JASTROW, JR. LECTURES DELIVERED CHDEBTHC BICHARD B. WESTBROOK LECTURESHIP FOUNDATION ASSYRIA ITS PRINCES, PRIESTS, AND PEOPLEA. H. SAYCE, M.A. DEPUTY PROFESSOR OF COMPARATIVE PHILOLOGY, OXFORD, HON. LL.D. DUBLIN, ETC. AI-THOR OF FRESH LIGHT FROM THE ANCIENT MONUMENTS, AN INTRODUCTION TO EZRA, NEHEMIAH, AND ESTHER, LONDON: THE RELIGIOUS TRACT SOCIETY, 56, PATERNOSTER Row, 65, ST. PAUL S CHURCHYARD, AND 164, PICCADILLY. 1885 Studies in Divine Kingship in the Ancient Near East. By Ivan Engnell. Uppsala, 1945.

The Early History of Assyria. By Sidney Smith. Chatto and Windus, 1928.

A History of Sumer and Akkad. By L. W. King. Chatto and Windus, 1923.

A History of Babylon. By L. W. King. Chatto and Windus, 1915.

Die Religion Babyloniens und Assyriens. By M. Jastrow. Giessen, 1912.

Babylonian-Assyrian Birth-Omens. By M. Jastrow. Giessen, 1914.

A HISTORY OF ART CHALDy^A AND ASSYRIA. Xonbon: chapman and hall, Limited. ftfe yorh : A. C. ARMSTRONG AND SON. 18S4. THE RELIGION OF BABYLONIA AND ASSYRIAMORRIS JASTROW, JR., PH.D. (LEIPZIG) PROFESSOR OF SEMITIC LANGUAGES IN THE UNIVERSITY OF PENNSYLVANIA, BOSTON, U.S.A. GINN & COMPANY, PUBLISHERS 1898 MYTHS &? LEGENDS OF BABYLONIA &f ASSYRIA , LEWIS SPENCE F.R.A.I. AUTHOR OF " THE MYTHS OF MEXICO AND PERU LIZATION OF ANCIENT MEXICO " " THE POPOL VUH "the myths OF THE NORTH AMERICAN INDIANS" " MYTHS AND LEGENDS OF ANCIENT EGYPT " ETC. WITH EIGHT PLATES IN COLOUR BY EVELYN PAUL AND THIRTY-TWO OTHER ILLUSTRATIONS THE SEVEN GREAT MONARCHIES OF THE ANCIENT EASTERN WORLD; OR, THE HISTORY, GEOGRAPHY, AND ANTIQUITIES OF CHALDAEA, ASSYRIA 329 BABYLON, MEDIA, PERSIA, PARTHIA, AND SASSANIAN, OR NEW PERSIAN EMPIRE. A HISTORY OF SCIENCE,HENRY SMITH WELLIAMS; EDWARD WELLIAMS A History of Babylonia and Assyria Volume I Robert William Rogers Published 1900 A.D. A History of Babylonia and Assyria Volume II Robert William Rogers Published 1900 A.D. EVERYDAY LIFE IN BABYLONIA AND ASSYRIA H. W. F. SAGGS Drawings by Helen Nixon Fairfield Published 1965 A.D. Assyrian International News Agency People Of Ancient Assyria Jorgen Laessoe Translated from the Danish by F. S. Leigh-Browne Published 1963 A.D. Assyrian International News Agency Assyrische Historiographie –Eine Quellenstudie Studien an der Universität von Missouri Reihe Sozialwissenschaften, Band III, Nummer 1.1916 Assyrische Historiographie THE EPIC OF GILGAMESH, N. K. Sanders Assyrian International News Agency Books Online www.aina.org Spelling and error correction by John Paulose THE STOBY OF AHIKAEFROM THE SYEIAC, AEABIC, AEMENIAN, ETHIOPIC, GEEEK AND SLAVONICYEESIONS BY F. C. CONYBEARE, J. RENDEL HARRIS, AND AGNES SMITH LEWIS. LONDON: C. J. CLAY AND SONS, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS WAREHOUSE, AVE MARIA LANE. GLASGOW: 263, ARGYLB STKBET. 1898